

تاريخ نهال فرقة حديث

تاريخ الخزانة الحمدية

من لفتح العثماني الى تاجت الزمان

الطبعة الاولى ١٣٥٠ هـ

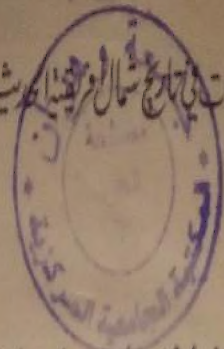
تأليف

الدكتور محمد خير فارس

1665 28-03-28/1

2227
7711130

دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث



تاريخ الجزائر الحديث

من لفتح الغماني إلى الاحتلال الفرنسي

سجل في 11/30
تحت رقم 2224

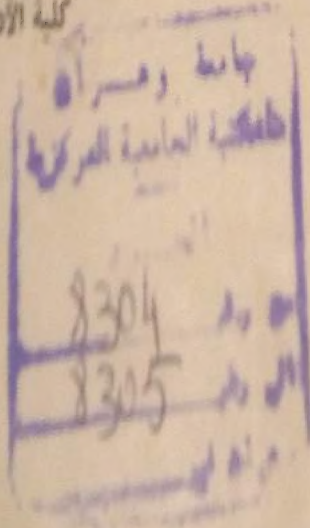
تأليف
الدكتور محمد خير فارس

مدرس تاريخ شمال إفريقيا الحديث
كلية الآداب - جامعة دمشق

ع ٤ - ٦
114
2010

10 مارس

الطبعة الأولى



سجل في 1979
تحت رقم 8305

مقدمة

ما تزال الكتابة في تاريخ شمالي افريقية الحديث خلال الفترة الممتدة بين بداية التدخل الأجنبي - العثماني والاسباني والبرتغالي - والاحتلال الفرنسي للجزائر سنة ١٨٣٠ وتونس سنة ١٨٨١ والمغرب سنة ١٩١١ قليلة ، ولاسيما ما يتعلق منها بتاريخ الجزائر . وباستثناء كتاب دوجرامون « تاريخ الجزائر تحت السيطرة التركية ١٥١٦ - ١٨٣٠ » باللغة الفرنسية ، الذي حاول فيه ان يعرض تاريخ الجزائر في هذه الفترة بصورة مفصلة ، لانكاد نجد كتاباً آخر يماثله اسهاباً سواء في اللغات الأجنبية أو العربية . وقد اصبح هذا الكتاب ، رغم أهميته ، قديماً ، فضلاً عن كونه ينطوي على نقص في الاطلاع على المصادر المحلية وعلى الأرشفة التركي .

وخلال الفترة التي تلت صدور كتاب دوجرامون ١٨٨٧ نشرت المجلات الأوروبية ابحاثاً كثيرة ، وصدرت كتب عدة ، تعرضت لجوانب متفرقة من تاريخ هذه الفترة أو لخطوطها العامة وذلك من خلال تاريخ الجزائر العام وأخص بالذكر كتاب شارل اندره جوليان « تاريخ شمالي افريقية » باللغة الفرنسية . ومما يلفت النظر اتجاه الباحثين اليوم الى نبش الأرشفة التركي والافادة من المعلومات الغزيرة والهامة التي يحويها ، ولكن هذا العمل مازال في بدايته .

وتأتي صعوبة الكتابة في هذه الفترة من تاريخ الجزائر من نواح عديدة منها :

١ - ندرة المصادر المحلية ، فلا نجد كتاباً محلياً يعالج أحداث هذه الفترة بمثل أهمية الكتب المحلية التي تعالج تاريخ تونس أو المغرب في الفترة نفسها ككتاب « المؤنس » لابن ابي دينار ،

وكتاب «تغاف الزمان» لابن أبي الفسياف، أو «الترجمة الكبرى» للزباني، و«الاستقصا» للناصري وغيرهما من الكتب والمخطوطات التي تسهل عملية البحث في تاريخ تونس والمغرب.

٢ - عدم استقرار الحكم التركي في الجزائر، على عكس ما كان في تونس والمغرب من قسام أسر تعاقبت على الحكم في هذين القطرين قبل هذه الفترة وخلالها، مما هيا لهذين القطرين خبرات إدارية محلية أفادت منها الأسر الحاكمة فيهما، فضلاً عن أن النشاط الثقافي فيهما كان أفضل وأكثر عراقة مما كان عليه في الجزائر.

٣ - صعوبة الإفادة من الوثائق التركية في الجزائر أو في تركيا، ومن الوثائق والتقارير التي لا حصر لها والمبعثرة خاصة في دول المتوسط الغربي ومدنه الأوروبية التي كان لها علاقات متنوعة وكثيرة مع الجزائر.

وتزداد الصعوبات بصورة كبيرة في وجه الباحث العربي في المشرق العربي لأن الجامعات العربية، وهي مراكز البحث الأساسية في هذه البلاد، لا تولى تاريخ شمالي أفريقية عامة وتاريخها الحديث خاصة الاهتمام الذي يستحقه، مما أضعف الدوافع والإمكانات للبحث في هذا التاريخ. ولابد من الإشارة هنا إلى جهود واهتمام معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة في تخصيص ساعات كثيرة، وتكليف عدد من حملة الدبلوم بكتابة رسائل جامعية لئيل «الماجستير» في تاريخ شمالي أفريقية الحديث. كما لا بد من الإشارة إلى الخطوة الجديرة بالتقدير التي قام بها قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة دمشق بتوجيه من رئيسه الأستاذ الدكتور نور الدين حاطوم بتخصيص ساعتين لدراسة تاريخ شمالي أفريقية الحديث. ولاشك أن هذا، بالإضافة إلى إسهام الجامعات في شمالي أفريقية وتزايد عدد الباحثين فيها سيسهم إسهاماً كبيراً في تقدم الدراسات في هذا الباب.

وهذا الكتاب هو حلقة من سلسلة دراسات في تاريخ شمالي أفريقية الحديث والمعاصر. وقد بدأتها بتاريخ الجزائر الحديث، لأن

الجزائر كانت أول قطر عربي دخله العثمانيون وانغلوا منه قاعدة لم يسيطروا عليها على باقي أقطار شمالي أفريقية، باستثناء المغرب. ولأنه كان أول قطر خضع للاحتلال الفرنسي وانغله الفرنسيون قاعدة لم يسيطروا عليها على باقي أقطار الشمال الأفريقي، باستثناء ليبيا. وقد اكتفيت بدراسة الملامح العامة لتاريخ الجزائر بسبب نقص المصادر المحلية، وعدم إمكان الإطلاع على الأرشيف التركي، وبسبب طبيعة الحكم التركي في الجزائر. ولم أتوقف عند احتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر سنة ١٨٣٠ بل تابعت الدراسة حتى استسلام الأمير عبد القادر الجزائري سنة ١٨٤٧ الذي كان يعني زوال آخر العقبان الجديرة أمام الفرنسيين وامتداد سيطرتهم على معظم المناطق الحساسة والعامة في الجزائر.

ومن الحق علي أن أشير إلى المساعدات القيمة التي قدمها لي المعهد الفرنسي للدراسات العربية التابع لجامعة باريس بشخص مديره الفاضل الأستاذ الدكتور أندره ريمون - وهو واحد من خيرة العلماء الموضوعيين الذين يعنون بتاريخ شمالي أفريقية ومصر.

وأرجو أن يسهم هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القارئ العربي، مع ما كتبه الأساتذة والزملاء في جامعات الجمهورية العربية المتحدة، وأخص بالذكر ما كتبه الدكتور صلاح العقاد في تعريف القارئ العربي بالمخطوط العامة لتاريخ شمالي أفريقية الحديث. والله ولي التوفيق.

دمشق في ١٢/١/١٩٦٦

الدكتور محمد خير فارس

مقدمة عامة

المغرب الأوسط قبل التدخل العثماني

تهذيب تاريخي :

حقق الفتح العربي لشمال إفريقيا (في القرن السابع الميلادي) الوحدة السياسية لهذه المنطقة لأول مرة في تاريخها . وجعل مركزه (إفريقيا) أو المغرب الأدنى (تونس) . إلا أن الفوضى التي عصفت في هذه المنطقة منذ أواخر العهد الأموي عرضت هذه الوحدة للتمزق ، إذ لقيت الدعوات المناوئة للأمويين ، ومن بعدهم العباسيين ، كالخوارج والشيعة ترحيبا ، ولا سيما في المغربين الأوسط والأقصى ، وسمح العباسيون لمجاهدة هذا الموقف الخطر بقيام دولة حجازية (الأغالبة) تتمتع باستقلال ذاتي .

وبين القرن التاسع والقرن الثاني عشر حين تحققت وحدة شمال إفريقيا من جديد على يد الموحدين ، تعاقب في المغربين الأدنى والأقصى حكومات عديدة في حين كان المغرب الأوسط في أغلب الأحيان مسرح صراع على النفوذ بين القوى السياسية الحاكمة في القطرين المجاورين ، وكان المغرب الأوسط يبدو ، بالقياس إلى جيرانه ، منطقة يغلب عليها الطابع الريفي والبدوي ، ولا يحتوي إلا على قليل من المراكز الحضرية . الصالح الموحدي

وعندما ظهر ضعف الموحدين منذ أوائل القرن الثالث عشر ، ولا سيما إثر هزيمتهم القاسية في معركة العقاب (لاس نافاس دوتولوسا) سنة ١٢١٢ ، بدأ المغربان الأدنى والأوسط يميلان نحو الاستقلال عن الموحدين لتسهي

بذلك الوحدة الثانية • وعندما انهارت دولة الموحدين في منتصف القرن الثالث عشر قام على انقاضها ثلاث دول : الدولة الحفصية في المغرب الأدنى ، وبنو عبد الواد في تلمسان في المغرب الأوسط ، وبنو مرين في المغرب الأقصى • وكانت دولة بني عبد الواد أضعف الدول الثلاث اذ لم تكن تملك الأساس التاريخي أو الاقتصادي الذي كان لمملكة تونس • وليس لها قوة بني مرين العديدة • وعلى أي حال فإن أبا من هذه الدول لم تكن على مستوى الموحدين • يقول جوليان « ... عرفت هذه الدول حظوظاً مختلفة ، ومرت بساعات من المجد والازدهار النسبي • ولكن لا يمكن اعتبارها ، على أي حال ، الا دولا من الدرجة الثانية ، لم يظهر فيها أحد له حيوية وقوة شخصية الموحدين • كانت كل دولة منها تحاول أن تعيد لحسابها امبراطورية الموحدين ، وقد نجح بعضهم ولكن لبضعة أشهر • ان تاريخ المغرب حتى نهاية هذه الممالك ، أي حتى منتصف القرن السادس عشر ، انما هو جهد باطل لاجلاء الماضي ... » (١) .

وكان شمال افريقية قد تعرض منذ القرن الحادي عشر لغزو بني هلال وسليم الذين تركز نشاطهم في المغربين الأدنى والأوسط ، وتعاونوا في اواخر القرن الثاني عشر مع بني غانية المرابطين اسياذ جزر البليار ضد الموحدين الذين كانوا يسيطرون على شمال افريقية كله • وقد نشر المتحالفون الدمار في المنطقة • واذا كان المغرب الأدنى ، بفضل التقاليد الحضارية والادارية العريقة ، قد نجح في التخفيف من اثار هذه الصدمة والاحتفاظ بوجود سلطة ، فإن فقدان المغرب الأوسط لسلطة مركزية قد جرده من وسيلة دفاع قوية وتركه مسرحا لنفوضى القبائل الغازية والمحلية تعيث فيه فسادا وتشر فيه الخراب ، فخربت المدن وائلت الزرع واصبح المغرب الأوسط بصورة عامة منطقة نهبوال ، وظل حتى الاحتلال التركي يعاني من

(1) Ch. A. Julien : Histoire de l'Afrique du Nord. Tome 2 P. 132.

فقدان سلطة مركزية قوية ، ومن تصارع القوى المحيطة به في أرضه ، ومن انتشار القبائل العربية فيه •

دولة بني عبد الواد أو الدولة الزيانية :

وهي دولة بربرية قامت في غرب المغرب الأوسط في أواخر النصف الأول من القرن الثاني عشر وعاصمتها تلمسان •

وبنو عبد الواد أو عابد الوادي - وهي صفة لجدهم المتبيل - هم على قول ابن خلدون من زناتة ، القبيلة البربرية الكبيرة التي كانت منتشرة في مختلف أنحاء شمال افريقية ولكن معظمها في المغرب الأوسط ، حتى انه - كما يقول ابن خلدون - ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة (١) •

بدأ استقرار بني عبد الواد في منطقة تلمسان وظهر أمرهم في عهد الموحدين • وقد ربطوا مصيرهم بمصير الموحدين واخلصوا لهم ولا سيما في عصر الاضطرابات المدمرة ، إثر الغارات التي شنّها ابن غانية (٢) على المغربين الأدنى والأوسط في اواخر القرن الثاني عشر واولائل القرن الثالث عشر • وفي الوقت الذي تدمرت المدن المجاورة لتلمسان (٣) فقد نجحت تلمسان في الدفاع عن نفسها وافادت من خراب جيرانها • فأصبحت « ... قاعدة المغرب الأوسط وأم هؤلاء الأحياء من زناتة المغرب ... » (٤) •

نال بنو عبد الواد نتيجة ذلك حظوة الموحدين وحصلوا على امتيازات

الموحدين

(١) ابن خلدون : كتاب العبر ١٠٠٠ ج ٧ ص ٤

(٢) علي ابن غانية وهو حاكم جزر البليار وكان كاسلافه مواليا للمرابطين ، بدأ هجومه على المغرب الاوسط سنة ١١٨٤ واحتل بجاية ثم الجزائر والمدية وعليانة وتلمسان وهران ، وتعاون في ذلك مع عرب بني هلال • ولكن الموحدين هزموه وتوفي سنة ١١٨٨ • وفي سنة ١٢٠٠ عاود اخوه يحيى الهجوم على المغرب الاوسط بالتعاون مع عرب بني هلال وسليم ودمر كثيرا من المدن من بينها تاهرت سنة ١٢٠٩ واستمر يحيى بن غانية والتصاره

يشيعون الدمار في المغرب الاوسط حتى سنة ١٢٣٣ •

(٣) ولا سيما مدينتي تاهرت وارشكول •

(٤) ابن خلدون ج ٧ ص ١٦١ •

أرضية وسياسية ، ولم يتأثروا بضعف الموحدون لأنهم كانوا قد وطدوا أقدامهم في منطقة تلمسان ، ونهايتهم زعيم قوي عرف كيف يجنب قبيلته أخطار الفوضى الناجمة عن ضعف هؤلاء ، ويرسي أسس دولة استطاعت أن تعيش - بالرغم من الظروف الصعبة - ثلاثة قرون ونصف ١٢٣٥ - ١٥٥٤ .

بدأت مملكة عبد الواد بحكم يغمراسن الطويل ١٢٣٥ - ١٢٨٣ في ظروف خاصة تركت على هذه الدولة بصماتها . كانت دولة الموحدون قد تفككت ، فقد استقل بنو هود في الأندلس وخطبوا للعباسيين ، واستقل الحفصيون في المغرب الأدنى وجانب من المغرب الأوسط . و أعلن يغمراسن استقلاله في تلمسان ، وبدأ بنو مرين يمارعون الموحدون على ملك المغرب الأقصى . وكانت العلاقات بين هذه القوى آنذاك معقدة ومتقلبة . كان مركز يغمراسن حرجاً : فالتنافس التقليدي بينه وبين أبناء عمومته المرينيين كان يدفعه إلى الوقوف ضدهم إلى جانب الموحدون ، ولم يكن هذا في صالحه . فتوة الموحدون تهازل ونجم المرينيين في صعود . وكان يغمراسن يطمح إلى امتلاك المغرب الأوسط فيصطدم بمطامح الحفصيين الأقوياء .

لقد وفد بنو الظروف التي رافقت قيام مملكة بني عبد الواد في الظاهر ملائمة : فالمرينيون والموحدون منهمكون في الصراع على المغرب الأقصى ، وقاعدة الحفصيين بعيدة ، وعلى رأس بني عبد الواد زعيم قوي ماهر وصفه ابن خلدون أنه كان « ... من أشد هذا الحي بأساً واعظمهم في النفوس مهابة وجلالة واعرفهم بمصالح قبيله واقوامهم كاهلاً على حمل الملك واضطلاعاً بالتدبير والرياسة مهدت له بذلك آثار قبل الملك وبعده ... » (١) ولكن الظروف الداخلية في مملكة بني عبد الواد خاصة والمغرب الأوسط عامة لم تكن تسمح بقيام دولة قوية . ففوضى القبائل العربية ، ومنافسة بعض بطون زناتة كبنو توجين وآل منديل امراء مغراوة من جهة ، والظروف

(١) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٦٢ .

الجغرافية من جهة أخرى ، مسؤولة عن هذا الفشل . فمنطقة وهران والمغرب الغربي هي مناطق ملائمة للحياة الرعوية ، ومساحة الأراضي الزراعية محدودة وهي معرضة باستمرار للغارات ، الأمر الذي حرم مملكة بني عبد الواد من أساس فلاحي قوي كما لغيرها ، وكان هذا هو السبب الأهم - في نظر جوليان - في عدم استقرارها وعدم نجاحها . فهي نتيجة لهذا مؤلفة من مجموعات بشرية متفرقة ، وفي الغالب متنافسة على المراعي ، واقتصادها متشابه وغير متنوع لا يسمح لها بالوصول إلى التوازن . أضف إلى ذلك أن يغمراسن - ربما لمطموحه أو لموقف خصومه من آل توجين وآل منديل ، ومطامع جيرانه الأقوياء - لم يستطع أن يجنب نفسه الدخول في نزاع مبكر مع جيرانه . وظلت مملكة بني عبد الواد طيلة تاريخها محصورة بين فكي كماشة ومهددة على الدوام من جيرانها ، تخضع أحياناً للاحتلال أو الحماية وأحياناً تتمتع باستقلال يشوبه الاضطراب الداخلي والتهديد الخارجي .

(٢) وتاريخ مؤسس هذه المملكة يغمراسن يبرز المشاكل الأساسية التي ظلت توجه تاريخها . فالصراع مع الحفصيين تارة والمرينيين تارة أخرى ، أو مع القوتين معاً أحياناً ، والصراع مع البطون الزناتية الأخرى المنافسة بموع القبائل العربية المتحالفة مع خصومه ، كل هذا يحدد الخطوط العامة لتاريخ بني عبد الواد .

كان الحفصيون يطمحون في وراثة ملك الموحدون (١) وكان يغمراسن بالرغم من استقلاله ما يزال موالياً للموحدين ، الذين كانوا يبالغون في إكرامه ليكسبوا عوناً ضد بني مرين . وكان هذا يضايق الحفصيين الذين رحبوا باستمالة خصوم يغمراسن من آل توجين ومنديل فهاجموا تلمسان واضطر يغمراسن إلى الهرب إلى الصحراء . ولما لم يكن باستطاعة الموحدون تقديم العون له فقد قرر التفاهم مع الحفصيين واتصل بهم بواسطة أمه (سوط النساء) وأبدى استعداداً للتعاون معهم وقبول سيادتهم إذا ما قبلوا عودته إلى

(١) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٦٤ .

قاعدة ملكه • وقبل الحفصيون عرض يفراسن ولكنهم - ليقدوا طموحه
ويأتوا خروجه عليهم - أقاموا بالقرب من تلمسان منافسه من آل توجين
ومنديل ••• وعهدوا اليهم واذنوا لهم في اتخاذ الآلة والمراسيم السلطانية
على سنن يفراسن فريعتهم ••• (١) ودخل المغرب الأوسط بذلك كله في
طاعة الحفصيين •

أثار خضوع يفراسن للحفصيين نائرة الموحدين فهاجموا تلمسان
بقيادة الخليفة السعيد ولكنهم هزموا وقتل الخليفة • وعاد يفراسن أمام
تزايد قوة المرينيين إلى التعاون مع آخر الخلفاء الموحدين ضدهم ولكن سقوط
الموحدين سنة ١٢٤٨ تركه وجهاً لوجه أمام المرينيين • فاضطر بعد سلسلة
هزائم أمام المرينيين - الذين وصلوا حتى أبواب تلمسان - إلى التهادن معهم،
دون أن يزاوله الشعور بالخوف منهم • وحاول يفراسن أن يستغل تدخل
المرينيين في الأندلس، فسعى إلى عقد تحالف مع بني الأحمر ملوك غرناطة
الذين بعد أن استجدوا بالمرينيين بدعوا يتآمرون ضدهم، واشترك ملك
قشتالة المسيحي في هذا التحالف، وعثا حاول المرينيون مع يفراسن لاقاعه
بالتخلي عن هذا التحالف • فعاد النزاع من جديد ولم يكن في صالح
يفراسن الذي اقتنع في آخر أيامه بوجوب تغيير سياسته فأوصى ابنه وولي
عنده عثمان قبل موته بالأقلاع عن سياسة المجاهدة مع المرينيين وإن يتخذ
منهم موقفاً دفاعياً، وإن يصرف جهده إلى التوسع نحو الشرق على حساب
الحفصيين ••• بابني ابن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على
الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمرأكش لا طاقة لنا بلفاتهم فإياك
واعتماد لقائهم وعليك باللباز بالجدران متى دلفوا إليك وحاول ما استطعت
في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به
ملكك وتكفيء حشد العدو بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية
مقللاً للذخيرة (٢) •

(١) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٦٧ •

(٢) ابن خلدون : ج ٧ ص ١٩٠ •

سعى أبو سعيد عثمان ١٢٨٣ - ١٣٠٤ إلى تطبيق نصيحة والده فتهاذن
في بادئ الأمر مع المرينيين وانصرف إلى اخضاع منافسه من آل توجين
وآل منديل، ومحاولة الاستيلاء على المتيعة وبجاية • ولكن المرينيين بعد أن
عقدوا الصلح مع ملك قشتالة ومع بني الأحمر نقضوا الهدنة واستؤنف
الصراع • وبعد ثلاث هجمات مرينية على تلمسان قرر المرينيون أخيراً سنة
١٢٩٩ الانتهاء من أمرها، فأحاطوها بسياج من الأسوار وأقاموا إلى جانبها
مدينة سموها المنصورة ابتوا فيها ••• الدور الواسعة والمنازل الرحبية
والقصور الأنيقة واتخذوا البساتين واجروا المياه ••• فكانت من أعظم الأمصار
والمدن واحفلها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق اسواق واحتفال بناء وتشيد
منعة ••• ووصل إليها التجار بالبضائع من الآفاق ••• (١) واستمر الحصار
ثمانية أعوام وثلاثة أشهر ••• نالهم - أي أهل تلمسان - فيها من الجهد
والجوع ما لم ينل أمة من الأمم واضطروا إلى أكل الجيف والنقططوالقران
حتى لزعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الأناس ••• (٢) ولم يضع
موت أبو سعيد عثمان المفاجيء حداً للمقاومة • ولما لم يعد لأهل تلمسان طاقة
فرروا الخروج عن مدينتهم مستميتين، عندما وصلهم نبأ اغتيال السلطان
المريني يوسف بن يعقوب على يد أحد عبيده، وقيام خلاف على العرش
المريني، مما أدى إلى رفع الحصار، ونجحت تلمسان •

وكان على السلطان أبي زيان ١٣٠٤ - ١٣٠٨ وأبي حمو موسى
١٣٠٨ - ١٣١٨ وأبي تاشفين ١٣١٨ - ١٣٣٧ أن يعملوا على إعادة توطيد
مركزهم الداخلي بعد أن تزعزع إبان الغزو المريني، وأن يعدوا أسباب
الدفاع عن تلمسان ضد هجوم مريني محتمل • وشرعوا في الوقت نفسه
في تنفيذ وصية يفراسن في محاولة التوسع على حساب الحفصيين وتركزت
هجماتهم ضد المتيعة وقسنطينة وبجاية، مستغلين فترة ضعف نسبية كانت

(١) المصدر السابق : ج ٧ ص ٤٥٨ •

(٢) المصدر السابق : ج ٧ ص ١٩٨ •

تمر بها الدولة الحفصية ، وتشجع القبائل العربية الثائرة على الحفصيين .
 لجأ الحفصيون الى التعاون مع المرينيين ، وتخرج مركز ابو تاشفين واضطر
 الى العودة الى سياسة الدفاع ولا سيما بعد أن تخلت عنه القبائل العربية التي
 كان يضمد عليها . ونجح المرينيون سنة ١٣٣٧ في احتلال تلمسان بعد
 حصار دام عامين فخفضت لهم عشر سنوات حتى تحررت سنة ١٣٤٨ بعد
 فشل المرينيين في المغرب الأدنى . ثم عادوا لاحتلالها سنة ١٣٥٢ ولم تتحرر
 حتى سنة ١٣٥٩ .

أعاد أبو حمو الثاني تأسيس الدولة بعد تحرير تلمسان واطلق عليها
 اسم الدولة الزيانية . وظلت هذه الدولة أكثر من نصف قرن تتحمل ثقل
 الضغط المريني الذي أخذ ينحو منحى جديدا . فقد عمد المرينيون الى
 الإيقاع بين أفراد الأسرة الزيانية واصطاعوا البعض منهم وتقديم المساعدة
 لهم ضد منافسيهم من خصومهم . وتدخل المرينيون أكثر من مرة في تلمسان
 ولكنهم لم يهتموا باحتلالها قدر اهتمامهم بتصب من يواليهم من الأمراء
 الزيانيين ، ولم تتخلص تلمسان من التهديد المريني حتى اوائل القرن
 الخامس عشر ، إذ نجح السلطان ابو مالك عبد الواحد ١٤١١ - ١٤٤٠ في
 مطاردة المرينيين حتى فاس . ولكن توسع عبد الواحد في الجزائر الشرقية
 الحفصية فتشع باب الصراع مع الحفصيين الذين قوي أمرهم . هاجم
 السلطان الحفصي ابو فارس ١٣٩٤ - ١٤٣٤ تلمسان ودخلها عام ١٤٢٤
 ونصب عليها اميرا زيانا مواليا للحفصيين (الأمير محمد المعروف بابن النحمة)
 الذي مال ب بعد ان وطد أمره في تلمسان ان رفض السيادة الحفصية . اتبع
 الحفصيون الأسلوب المريني في إثارة الدسائس والمنافسات بين الأمراء
 الزيانيين . ونتج عن ذلك الكثير من الفتن والفوضى ، وكثر تعاقب الحكام
 وكان حكم أكثرهم قصيرا أو مضطربا واستمر الأمر على هذا النحو حتى
 ظهور الاسبان والأتراك في المغرب الأوسط ، فدخلت المملكة الزيانية في دوامة
 الصراع الاسباني التركي حتى قضى عليها الأتراك عام ١٥٥٤ .

العلم

الفصل الأول

التدخل الأجنبي في شمال إفريقيا

التدخل الأسباني

اختلف التدخل الأسباني في شمال إفريقية تبعاً لتطور الأوضاع العامة
 في اسبانية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر .
 ولتطور الأوضاع العامة في شمال إفريقية في الفترة نفسها .
 ساعدت الحرب مع المسلمين على ظهور الروح القومية في اسبانية .
 وقد ارتدت هذه الحرب طابع الحرب الصليبية ، مما وسم الروح القومية
 الاسبانية والسياسة الخارجية الاسبانية ازاء شمال إفريقية بطابع التعصب
 الديني . كان تدخل الاسبان في شمال إفريقية امتدادا للحرب مع المسلمين ،
 تلك الحرب التي يطلق عليها الاسبان اسم حرب الاسترداد Reconquista .
 ولم تكن شمال إفريقية في نظر الاسبان نقطة الوئوب لاحتلال اسبانية فقط
 (في القرن الثامن) ، وإنما كانت أيضا السند العسكري القوي الذي اخر
 عملية الاسترداد عدة قرون بالرغم مما كان عليه مسلمو اسبانية من ضعف
 وتمزق . وقد تركت الملكة ايزابيل في وصيتها مايلي " ... اني أرجو
 الأميرة ابنتي (جين) والأمير زوجها (فيليب) وأمرهما باطاعة وصايا أمنا
 المقدسة الكنيسة طاعة تامة وان يكونا حماة والمدافعين عنها حسبما يقتضي واجبهما ،
 وألا يكفيا عن متابعة فتح إفريقية ومحاربة الكفار في سبيل الأيمان " (١) .

(1) Maura : La question au Maroc au point de vue espagnole P. 1

وكان رجال الدين الاسبان ولا سيما رجال محاكم التفتيش ينفذون على الدوام نار التعصب ، وقد اخذوا باضطهاد المسلمين بقسوة ولا سيما بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ .

كانت وثيقة استسلام غرناطة تضمن للمسلمين احترام عاداتهم وممتلكاتهم وقوانينهم وديانتهم ، وشيئا من الاستقلال الاداري الذاتي . وقد احترم هذا العهد عدة سنين ثم انتهى بضغط من ايزابيل ملكة قشتالة ومستشارها المتعصب الكريدينال كزيميس الذي بدأ بشن حملة وحشية على المسلمين بغية طردهم او تحويلهم عن دينهم ، وقد أدى ذلك الى قيام المسلمين بثورة في منطقة غرناطة سعى كزيميس واعوانه الى القاء مسؤوليتها على عاتق المغاربة .

كانت اسبانية في اواخر القرن الخامس عشر تتألف من مملكتي قشتالة وأراغون . وكانت قشتالة بحكم موقعها الجغرافي تتجه نحو الأطلسي ، وبحكم دورها في الصراع مع المسلمين تهتم بما يجري في المغرب . أما مملكة اراغون فقد كانت بحكم امتلاكها جزر البليار وصقلية وسردينيا ، ولوجود احد افراد اسرة اراغون على رأس مملكة نابولي ، تتجه نحو المتوسط ، وكانت سياستها تهدف الى تأمين طريق بحري آمن بين ايسبلية وصقلية القبية بالحبوب ، وكان لابد لها لتحقيق ذلك من نقاط ارتكاز على سواحل شمال افريقية .

وقد هيا زواج فرديناند ملك اراغون بايزابيل ملكة قشتالة وحدة اسبانية رغم أن هذا الزواج لم يدمج المملكتين معاً ، فقد ظل لقب « ملوك » اسبانية موجوداً . ولم يكن فرديناند ملكاً على قشتالة الا بوصفه زوج ايزابيل ، وكانت صور الاثنين تظهر على العملة والأسلحة والرايات . وقد أفادت قشتالة وحدها من ضم غرناطة ومن المكشوف الجغرافية . ولكن اذا لم يكن هناك سياسة اسبانية داخلية واحدة ، فقد كان هناك سياسة اسبانية

خارجية واحدة يوجهها فرديناند الذي نجح في اثارة اهتمام قشتالة بمسائل القارة وشبه الجزيرة الابيطالية .

ومنذ مطلع القرن السادس عشر توزعت مشاغل اسبانية الخارجية بين أكثر من ميدان : في امريكا وشمال افريقية وابيطالية ، ثم في القارة الأوروبية بعد تسلم ملك اسبانية شارل ، حفيد فرديناند وايزابيل ، تاج الامبراطورية الجرمانية المقدسة باسم شارلكان . كان عمل اسبانية وسياساتها الخارجية يقتصران الى التركيز ، وهذا ما يفسر نشاط السياسة الاسبانية في شمال افريقية ، أو فتور هذا النشاط . أو يفسر ان صح التعبير تخطيط السياسة الاسبانية الافريقية .

وكذلك كان للاوضاع القائمة في شمال افريقية اثر كبير على السياسة الاسبانية :

(كانت الدول الثلاث الحاكمة في اقطار الشمال الافريقي في حالة ضعف شديد ، مما ساعد على تفكك السلطة السياسية وانتشار الفوضى ، وصارت اقطار المغرب العربي ولا سيما المغرب الأوسط فيفساء سياسية يتعذر تحديدها .

تقلصت سلطة بني عبد الواد وافلت معظم المغرب الأوسط من قبضتهم ، وتمزقت امارتهم بسبب منافسات الأسرة الحاكمة ودسائس البلاط ومؤامرات كبار الموظفين ، وتدخل الحفصيين في شؤونهم . واستقلت المناطق الواقعة بين مملكة عبد الواد والممتلكات الحفصية ونجزأت بفعل الأحداث المحلية : ضعف السلاطين الزيانية والحفصية ، فوضى القبائل المحلية ، نشاط الطرق الصوفية . فاستقلت واحات فكك وقبائل الوارسنيس ، وخضعت بلاد القبائل لسلطان كوكو (قرية آيت يحيى قرب ميشليه) وسيطر حاكم قسنطينة الحفصي على المنطقة الواقعة بين بون (عنابة) والقل بعد أن تخلص من السيطرة الحفصية ، واصح المزاب والحفصة اقطاعاً لعرب الدواودة ، وقامت في تفرق سلالة جديدة مدن سيطرتها على واحات وادي غير . وألفت الموالي

بين جزيرة والمغرب نوعاً من الجمهوريات المستقلة انصرفت الى النشاط البحري
وممارسة القرصنة .

وقد نشطت القرصنة على سواحل شمال افريقية بتأثير عوامل عديدة

أهمها :

١ - الأزمة السببية والاقتصادية التي كان من أهم عواملها هجرة قبائل
مسيحيين من بلاد اسلم ، وقد امتدت هذه الأزمة منذ منتصف القرن الرابع
عشر .

٢ - هجرة مسلمي الأندلس الى شمال افريقية واستقرارهم في المواني
واسهامهم في تمويل سفن القرصنة وتشجيعها بدافع الريح من جهة
وبدافع الانتقام ممن طردوهم من موطنهم من جهة أخرى .

كان هذا الضعف والفتك في شمال افريقية شجعاً للمطامع الاسبانية ،
وقد كتب سكرتير ملك اسبانية عام ١٤٩٥ :

« ... ان البلاد ، يقصد شمال افريقية ، في حالة يذو وكان الله
يريد ان يسحقها لجلالتكم ... »

وقد تركز التدخل الاسباني في المغرب الأوسط والأدنى ، وذلك بعد
معاهدة نوردي سيلاس عام ١٤٩٤ التي عقدت بين اسبانية والبرتغال برعاية
البابا ، والتي خصصت لاسبانية المناطق الواقعة شرقي بون دوفيلير (حجر
بديس) المغربية .

ويمكننا ان نستخلص من سبق دوافع التدخل الاسباني :

١ - دوافع دينية ، لا يمكن انكار أهميتها ، فهي ولادة الصراع مع المسلمين
حالة حرب الاسترداد وقد انتهت تجاروا مع دعوات البابا الى الحرب
العالمية في النصف الثاني للقرن الخامس عشر ، إثر سقوط القسطنطينية
عام ١٤٥٣ ووصول الأتراك الى اسوار البندقية في أواخر هذا القرن . ولعب

المعصون من رجال الدين الاسبان ، وعلى رأسهم الكاردينال كريستيس .

مهدورا بارزا في اعداد الحملات الاسبانية وتوجيهها . وقد اشاء الاسبان من

نحو ملك غرناطة ابي عبد الله وعدد من أعيان الأندلس الى وهران وترحب

السلطان الزياني محمد الثاني بهم . وحاول السلطان الزياني أن يخفف من

وقع هذا العمل في نفوس الاسبان بسبب عجزه عن مجابهتهم فسافر الى

اسبانية مصحوباً بهدايا ثمينة ، ونجح الى حد ما في تخفيف غضب ملك

اسبانية^(١) . الا أن ثورة المسلمين في غرناطة عام ١٥٠١ وهجمات القراصنة

المسلمين على الجزر والسواحل الاسبانية ربيع ١٥٠٥ زود التعصين الاسبان

بالحجج اللازمة ، ولاسيما وأن نشاط القرصنة هذا كان يشجعه ويسهم فيه

مسلمو الأندلس المطرودون أو المهاجرون من اسبانية . وكان هؤلاء المهاجرون

يحملون حقدهم على الاسبان ويقصون على اخوانهم في شمال افريقية قصص

الحروب والاضطهاد والقتل والنهب والاعتداء على حرمة المساجد والمقدسات .

فأثاروا عواطف المغاربة وطلبوا مساعدتهم لانقاذ اخوانهم الذين حال فقرهم
دون مغادرة اسبانية ، كما أن الأمراء الأندلسيين الذين لجأوا الى بلاطات المغرب

وتلمسان وتونس كانوا يستصرخون حكام هذه البلاد كل يوم ليمدوا يده

المساعدة لـ اخوانهم مسلمي اسبانية . وبانتظار قيام رد فعل مغربي ضد اسبانية

بدأ سكان مواني شمال افريقية بشنون حرباً بحرية ضد السفن والمواني

الاسبانية . وفي كل المواني الصغيرة التي اسوطن فيها المهاجرون سلحت

سفن خفيفة كانت تقوم منفردة او متجمعة في أساطيل صغيرة بمهاجمة السفن

التجارية والمواني الاسبانية التي اقترت من سكانها . وكان المسلمون الذين

أجبرتهم ظروفهم على الفناء في اسبانية واجبروا على تغير دينهم ، يصلون

سراً برجال البحر المسلمين ، ويعدوهم بالمعلومات اللازمة ليقوموا بهجماتهم

دون ان يتعرضوا للاخطار . وقد روع سكان المواني الاسبانية ورفضوا شكوى

يسمى خير الدين « أملاك في الحقبة الحمراء » ما لا يقع تحتها في أصل تلك الحقبة
 ووردت هكذا في الوثائق الوثائقية التي كانت تحتها من السلطان المملوكي في مصر
 على أنها مودع . وقد وردت هكذا في الوثائق التي كانت تحتها من السلطان المملوكي في مصر
 (١) كانت كلمة بروسا - وهي تسمى في الحقبة الحمراء - تطلق فقط على خير الدين وليس

يقوله الخاصة ، ولكن يمكن من مخاضه الخطر الأسامي بمنزلة من قبل ،
 القاصي ، وأدرك خير الدين بعد نظر أنه لن يستطيع أن يخاطبه الموقف
 حرجاً فقد كانت مدته تسمى ونشرها كما نزلت بلاد القليل بقيادة أحمد
 بنجامهم في تلمسان وعادت قواتهم إلى أسبانيا ، إلا أن الموقف الدائم على
 الجزائر إلى استيول ، ولكن كان من حسن حظهم ، أن اكتفى الأسامي
 الجزائريون وطردوا خير الدين وقوته السطحية ، وفكر خير الدين فعلاً بتأدية
 التاميين ، وبدخل الأسامي الذين كان بإمكانهم أن يستمروا ظهروا فيهم بوضوح
 وكان خير الدين يخشى تورطه في المناطق الخطورة للجزائر ، وتورطه في سائر المدن
 أبداً عن خير الدين أو تلك الخطورة التي كان يفكر فيها ، حتى كان قويا .
 ذلك أن عروجا كان قد مضى به خيرة المطربين ، كما أن قسماً وقسماً
 يقل عروج تادي به الخيد خلفاً له في وضع كان في غاية الصعوبة ،
 كان خير الدين يملكه في مدينة الجزائر ، ولا وصل بنا

في البحر المتوسط في هذا القرن الثالث بالصرع .
 السادس عشر . وكان هؤلاء من هذا نوع من القوى النعالة في تاريخ الصراع
 التاريخ المملوكي بوصفه بوضوح القوة البحرية المملوكية في القرن
 مائتين أو فوجان ظهوره كان مؤسس دولة ، وبخاصة من أبرز شخصيات
 لم تكن . خير الدين والدنيا - كما سنبينه ابن أبي الفداي - مجرد
 خير الدين بروسا (١) :

أو القلم به .
 الذين بقوه ومهارة وبعد نظر غلب عن عروج أو لم يثن له الوقت للتفكير
 بكثير من امكاناته . وكان هذا العمل عروضا لا يجرؤ لو لم ياتيه أخوه خير
 والجميع يعرفونه بدهشة خطر أخيه . وكان هذا العمل عروضا لا يجرؤ لو لم ياتيه أخوه خير
 يورق هذا رأي طرأ في الأسرار الساسية والاقتصادية في حقبة في سنة لم
 الشخصية وعلى حدة مصدرة من الأعوان وضع عشرة عشر في سنة لم
 الأسامي ، الأسامي ، ولكن عمل عروج كان مستقلاً يعتمد على عجزه
 أنه أدرك أن عمله أن يحتل أوسع قسم من الداخل ، كما يفتح سببا على

بالسفير الفرنسي صله صداقة ومودة وقد وضع قفله الى جانب فرنسا .
وفي سنة ١٥٣٥ حصل السفير الفرنسي في استنبول على وعد باستئثار
الدولة العثمانية ونيابة الجزائر في الحرب ضد الاسبان * ولم يكن هذا تحالفا
صريحاً لأن الطرفين لم يكونا راغبين في تحالف صريح لأسباب مضمونة .
ومنذ سنة ١٥٣٦ بدأت السفن الجزائرية والفرنسية تسترل في هجمات
مستمرة ضد جزر البليار والشواطئ الاسبانية .

حملة شارلكان على الجزائر

وفي سنة ١٥٤١ استغل الاسبان فرصة الهدوء في القارة اثر عقد
الصلح مع فرنسا فقررُوا مهاجمة الجزائر والاستيلاء عليها . وتولى شارلكان
بنفسه الاشراف على اعداد الحملة وقادتها . وتعتبر هذه الحملة من الحملات
الكبرى في القرن السادس عشر اشترك فيها بلاء اسبانية والمانية وايطالية كما
اشترك فيها أخو البابا وفرسان القديس يوحنا . تألفت الارمادا الاسبانية من
٦٠٠ سفينة تحمل ١٢ الف بحار و ٢٤ الف جندي . ولكن اعداد الحملة لم
تنته حتى تشرين الأول ، وبالرغم من ان الأدميرال اندريه دوريا اعلن ان
الزول على الساحل الافريقي ليس ممكناً الا في الصيف فان شارلكان صمم
على الهجوم . ويبدو أنه كان يأمل في نجاح الاتصالات السرية التي كان يقوم
بها حاكم وهران مع خليفة خير الدين حسن اغا ، لاغرائه بتسليم المدينة دون
مقاومة (١) ، نزلت الحملة الاسبانية في مصب الحراش واستولى الاسبان على

(١) عرض حاكم وهران على حسن اغا باشوية الجزائر ، ويبدو مما كتبه حاكم وهران انه وجد
لحسن اغا استعداداً لقبول هذا العرض . وأنه - اي حسن اغا - وعد بتسليم
المدينة وذلك بشرط ان يواجهها الامبراطور بقوة كبيرة ليفتي حسن اغا هزيمته . ويرى
توماسون ان هذا يفسر تثبيت شارلكان بالقيام بهذه الحملة في اشد الفصول خطورة بالرغم
من نصائح دوريا وكل القباطنة الكبار ، وبالرغم من توسل أخيه فرديناند والبابا ، كما
يفسر الاخطاء التي ارتكبها بصورة تدعو للاستغراب القواد الكبار الذين كانوا على رأس
الحملة مثل دوق دالب وفرناندو كورتيز ودو غونزال انظر De Grammont P. 58
وبعد نزل الحملة أرسل الامبراطور مبعوثاً الى حسن اغا يطلب فيه تسليم المدينة
ويشير المؤرخون المحليون ان حسن اغا رفض باباء هذا العرض في حين ان الاخباريين الاسبان
يشيرون ان حسن اغا كان سيسسلم لولا انه لقي معارضة قوية في مجلس الحرب .

المرتفعات المحاذية للجزائر ، ونصب شارلكان حمية على تل عريف باسم حصن
الامبراطور . تعرضت الحملة لمعاكسة شديدة وامطار غزيرة اقلعت وجرفت
خيمها وموتنها وفسدت ذخيرتها ، وساعدت على فشل الهجوم الاسباني على
الجزائر وعلى تحطيم قسم كبير منه ، بالإضافة الى تخريب الأسرى المسلمين
الذين كانوا يعملون مجددين في السفن الاسبانية . وامثالاً لاشاطي من سرتال
الى دنيس بحطام الاسطول وجثث القتلى والعرقى . وكانت غنائم الجزائريين
كبيرة بحيث صار يضرب بها المثل عند الحديث عن الغنائم الكبيرة . تجمع
باقي الاسطول والحملة برئاسة الامبراطور في رأس مائشو وعقد الامبراطور
مجلس حرب ليرى ما اذا كان عليه تأجيل الحملة أم أنه ما يزال هناك أمل
لمعاودة الهجوم . وكانت الأغلبية في صالح التأجيل في حين اصر حاكم وهران
وأيد كورتيز على معاودة الهجوم ، وقد حسم الأدميرال دوريا الموقف لصالح
التأجيل حين بين أن الطقس السيء سيستمر . وكان خير الدين يراقب منذ
زمن طويل استعدادات الحملة وقد رغب منذ شهر حزيران ارسال مئة سفينة
حربية يوجه نصفها نحو شواطئ افريقية ويوجه النصف الآخر ضد
الاسطول الاسباني الذي كان آنذاك مبغراً في مواني نابولي وصقلية واسبانية
ولكن شكوك الديوان منعة من تنفيذ مخططة وحين توصل في شهر تشرين
الاول الى التغلب على المعارضة وأقنع اسطوله علم بانسحاب الاسبان وهكذا
فان هذا التأخير انقذ الاسطول والامبراطور .

كانت هذه الكارثة المريعة التي مني بها شارلكان ضربة خطيرة للنموذ
الاسباني في غرب البحر المتوسط ولا سيما في الجزائر ، وكانت حملته آخر
مشروع كبير ضد السواحل الجزائرية ، أصبحت الجزائر بعدها في نظر
أوروبا مدينة لا تقهر ، وظل ذكرها لمدة طويلة يحول دون اقدام أية دولة
أوروبية على محاولة من هذا النوع ضد الجزائر . وشعر الجزائريون كذلك
بالمنعة . وجاء في مخطوطة جزائرية « . . . وفرج الله تعالى عنهم وفرح أهل
الجزائر بهذا النصر العظيم . . . وبقيت الجزائر كالعروس تحتال في حليها

وحلها من رخاء الأسفار وأمن الأقطار ولم يبق لهم عدو يخافون منه وشاعت
هذه القضية في مشارق الأرض ومغاربها وبقي رعب المسلمين في قلوب أعداء
الدين مدة من الزمن بأمن الملك المأمن (١) . . .

وكان من نتائج هذا النصر في الداخل أن نبذ السلطان محمد سلطان
تلمسان السيادة الأسبانية ، فدخل حاكم وهران مؤيداً منافسه وهو أخوه عبد
الله سنة ١٥٤٣ ولكن ما أن انسحب الأسبان حتى استدعى أهل تلمسان
سلطانهم المعروف . ولما عادت الحرب في أوربة بين فرنسا وشارلكان استأنف
التعاون الفرنسي العثماني الجزائري وانضم الأسطول الجزائري بقيادة خير
الدين إلى الدوق دانيجيم في حصار نيس والاستيلاء عليها ، واستقبل الأسطول
الجزائري في ميناء طولون حيث أمضى بها الشتاء . ولما توقف النزاع الفرنسي
الأسباني المسالوي عام ١٥٤٤ بعد صلح كريسي عاد خير الدين إلى المشرق
حيث توفي في استنبول عام ١٥٤٦ ، وتقديراً لخدماته العظيمة عينت الدولة
العثمانية ابنه حسن باشا بكتريك على الجزائر .

حسن باشا :

وهو ابن خير الدين من امرأة جزائرية وهذا يعني أنه من المولدين
(القولوغلي) وهذا استثناء لن يتكرر في تاريخ الجزائر العثمانية . إذ أنه
لم يصدق أن تقلد أفراد القولوغلي مناصب كبيرة ولا سيما منصب حاكم
عام . ولكن سمعة خير الدين في تركيا والجزائر معا غطت على كل شيء .
عين حسن باشا في بادئ الأمر كاتب لوالده في الجزائر عام ١٥٤٤ ، ثم ترقى
إلى منصب بكتريك بعد وفاة والده عام ١٥٤٦ وكلف بين عام ١٥٤٦ وعام
١٥٦٧ ثلاث مرات بهذا المنصب .

وخلال الفترة الأولى ١٥٤٤ - ١٥٥١ ركز حسن باشا اهتمامه على

(1) Delphin : Histoire des Pachas d'Alger de 1515 a 1745 Journal
Asiatique 1922 P. 162 - 233.

تحصين مدينة الجزائر التي كشفت هجوم شارلكان عام ١٥٤١ ضعف
تحصيناتها . وانصرف إلى معالجة مشكلة تلمسان . وكان خير الدين قد
أوصى ابنه أن يعمل بحزم وقوة في الحرب حيث تعرض النفوذ التركي
للضعف . وصل حسن باشا الجزائر سنة ١٥٤٤ وشرع على الفور يتخذ
الاستعدادات للحرب ولكن كان عليه أولاً أن يوطد النظام في الجزائر
نفسها وفي صفوف الجيش الذي استطاع في عهد الخلفين (حسن آغا والحاج
بشير) أن يتحرر من كل سلطة . تبين لحسن باشا أن بقاء الأسرة الزيانية
ووجود الأسبان في وهران يعيقان حل مشكلة تلمسان . كانت المناقشات بين
سلاطين بني زيان قد كثرت ، واعتمد المتنافسون في نزاعهم على القوتين
المسيطرتين على القطر الجزائري : الأتراك في الجزائر والأسبان في وهران .
وكان الأمير الزياني عبد الله مايزال يحلم بعرش تلمسان بمساعدة الأسبان
وبعض القبائل العربية كبني راشد ولكن مناوئاته انتهت بالفشل وتوفي
بالأسر . إلا أن حاكم وهران بعد أن عاد من أسبانية برفقة قوة أسبانية قرر
مهاجمة تلمسان سنة ١٥٤٦ بعد أن ضمن مساعدة عدد من القبائل . وفي
الوقت نفسه قرر حسن باشا التحرك نحو الغرب . وقبل أن يلتقي الترك
والأسبان علم حسن باشا بموت والده فأقر العودة إلى الجزائر . واستغل
حاكم وهران الفرصة فاحتل مازجران واتجه نحو مستغانم ولكنه اضطر إلى
التوقف فترة بسبب نقص الذخيرة . واستغل الأتراك هذه الفرصة فغزوا
موقعهم . وعندما عاود حاكم وهران الهجوم أصيب بالفشل واضطر إلى
الانسحاب إلى وهران بعد أن تكبد خسائر فادحة .

وفي أواخر الأربعينات كان نجم السعديين قد علا في سماء المغرب
ودخل محمد الشيخ (المهدي) فاس ١٥٤٩ . فسعى حسن باشا إلى التقاطهم
معه لتكوين جبهة موحدة ضد الأسبان . وفي سنة ١٥٥٠ وجه حسن
باشا قوة مؤلفة من ١٤ ألف جندي من الأتراك ورجال القبائل بقيادة
حسن كورسو توجهت نحو مستغانم . وكان من المتفق أن يلتقي الأتراك

بالسعديين في عين تيموشيت ليتوجها معاً نحو وهران ومن ثم يشرعان في توجيه حملة ضد إسبانية . ولكن المغاربة استغلوا هذا التحالف واستولوا على تلمسان سنة ١٥٥٠ ثم على مستغانم ، وتقدموا في وادي شلف . وظهر ان التوسع السعدي موجه ضد الأتراك وليس ضد الاسبان . وكان هذا بداية الصراع التركي المغربي الذي سيمتد فترة طويلة . سارع حسن باشا على الفور الى العمل ونجح جيش تركي في استرجاع مستغانم وتلمسان وطارد السعديين حتى نهر ملوية . ومع ذلك لم يعمل حسن باشا على القضاء على الأسرة الزيانية واكتفى بتصيب امير زياني موال (الحسن بن عبد الله الثاني) سنة ١٥٥٠ .

عمل حسن باشا على تحصين مدينة الجزائر وتجميلها فبنى برج مولاي حسن الذي عرف باسم حصن الامبراطور ، وأنشأ مشفى للإنكشارية ، وحمامات فخمة عامة ومجانية .

صالح ريس

وفي سنة ١٥٥١ استدعى حسن باشا من الجزائر لأسباب غير واضحة (١)

(١) يعزو دوجرايون اعتماداً على الوثائق الفرنسية استثناء حسن باشا انه كان بناء على مساعي سفير فرنسا في استنبول دارامون الذي تأكد منه زمن سوء نية حسن باشا ازاء الفرنسيين . ويرى دوجرايون انه في حين كانت علاقات فرنسا مع الباب العالي تتوق يوماً بعد يوم وفي الوقت الذي كان فيه طرفون يعمل لحساب هنري الثاني ملك فرنسا الذي كان يعتمد عليه ضد الاسبان فقدما له هدايا قيمة ليهاجم نابولي حيناً وجزيرتي البيا وكورسيكا حيناً آخر ملحقاً بالاسبان غزائهم كيرة . في هذا الوقت كان حسن باشا يظهر لمبعوثي فرنسا نية سيئة متأثراً بموقف ابيه في السنين الأخيرة من حياته وكان مسيو دارامون قد ارسل الى الجزائر أثناء حملة حسن باشا ضد وهران ليعرض عليه مساعدة الاسطول الفرنسي على أساس الهجوم على وهران . ثم ازال حملة في اسبانية لكن دارامون رأى عروضة تقابل استقبالاً سيئاً عند حسن باشا . وعندما عاد دارامون الى استنبول عرض بمباراة على الدويون المخاطر التي يمكن ان تتعرض لها وحدة الدولة العثمانية من جراء تزايد قوة البلطكر بكوات ونجح في ازالة شكوك الدويون وهكذا تقرر استدعاء حسن باشا .

وخلفه صالح ريس أحد قباطنة خير الدين (١) ، الذي نجح في توسيع سلطته العثمانية داخل البلاد واخضع تقرت وورقلة .

تهأت لصالح ريس فرصة مواتية للتخلص من الزيانيين ومن الخطر المغربي الجديد ، وذلك عندما طلب منه الأمير الوطاسي ابو حصون مساعدته بعد أن دخل السعديون فاس للمرة الثانية عام ١٥٥٣ . وكان ابو حصون قد وقع في يد الجزائريين عندما كان عائداً من البرتغال على سفينة برتغالية أسرها الاسطول الجزائري وقد وعد ابو حصون انه سيكون تابعاً للأتراك .

وجه صالح ريس مع ابي حصون قوة جزائرية نجحت في دخول فاس وتصيب ابي حصون سلطاناً فيها . ويبدو أن الأتراك كانوا يودون الاحتفاظ بفاس والعمل باسم السلطان الوطاسي ، ولكن ثورة سكان فاس اجبرت ابا حصون على ان يطلب من الأتراك مغادرة المدينة . ومهما يكن من أمر فقد نجح صالح ريس في القضاء على الأسرة الزيانية في تلمسان التي دخلت نهائياً سنة ١٥٥٤ في اطار الحكم التركي في الجزائر . كما نجح صالح ريس في انتزاع بنون دى فيليز (حجر بريس) المغربية من الاسبان ، وسلمها لأحد قباطته يحيى ريس الذي بدأ يشن الغارات من هذا المركز ضد اسواطىء الاسبانية .

وفي عام ١٥٥٥ نجح صالح ريس في انتزاع بجاية من الاسبان ولم يستطع حاكم نابولي نجدة حاكمها في الوقت المناسب . ولما لم يكن بإمكان فيليب الثاني ملك اسبانية القيام بحملة على الجزائر بسبب افلاس خزائنه فقد اكتفى باعدام حاكم بجاية الاسباني ككبش فداء لتهديته خاطر الرأي العام الذي اثاره فقدان هذا الميناء الهام . وعلم صالح ريس اثناء الحملة على بجاية ان

(١) ولد في الاسكندرية وتدرج في مدرسة خير الدين البحرية وعين بكتريك في الجزائر سنة

السعديين قد دخلوا فاس من جديد وقتلوا أبا حسون ، وانهم يسمعون لتفاهم مع الاسبان ضد الأتراك . وقيل ان السعديين عرضوا على الاسبان التعاون لطردهم الأتراك من الجزائر . ولم يضع صالح ريس وقته فوضح للسلطان ضرورة العمل بسرعة وقوة ضد وهران والمغرب ، ووافق السلطان وارسل قوة بحرية كبيرة . رغب صالح ريس في العمل بسرعة قبل ان يعلم الاسبان بوصول هذه التجديدات ، وفي الوقت الذي كان يستعد فيه لاصدار الأوامر بالتحرك نحو وهران ، توفي فجأة وتسلم القيادة حسن كورسو بمبادرت الخاصة دون انتظار أوامر استبول وشرع على الفور في الزحف على وهران . وثناء الحصار الذي ضايق الاسبان وصلت أوامر استبول برفع الحصار واعداد الاسطول الى البوسفور لمجابهة اسطول اندريه دوريا الذي كان يعمل في الأرخبيل ويهدد البوسفور . ويرى دوجرامون أن السلطان استاء من اغتصاب حسن كورسو للسلطة ، وأنه لم يكن يرغب ان يبقى تحت أوامر المتعصب مثل هذه القوة الكبيرة⁽¹⁾ . عين السلطان باشا جديدا « تيكلي » على الجزائر . ولكن حسن كورسو خشي من العقاب ووثوقا من تأييد الجيش كشف عن وجهه وأعلن رفضه لأوامر السلطان ، وأعطى الأوامر لقادة المدن الساحلية بمنع نزول الباشا الجديد . وفشل تيكلي باشا في النزول في عنابة وبجاية والجزائر ، وهدد قادة هذه المدن باطلاق النار على سفينة الباشا إذا ما حاول الاقتراب . لجأ تيكلي باشا إلى رأس مائفو وشرع بالاتصال سرا برعاء الطائفة الذين كانوا مستائين مما حصل . كان زعماء الطائفة من رفاق خير الدين القدامي ، وكانت العادة حتى الآن ان يختار السلطان منهم الحكام والقادة . وكان الجند ينفسون عليهم ذلك لأن روايتهم فليسة ، ويرغبون في مشاركة الطائفة مغنم القرصنة . وكان الرؤساء يشعرون بطمع الجند في ثرواتهم التي جمعوها فيما لو نجح الجند

(1) De Grammont P. 83

باستلام السلطة . وهكذا تم التفاهم بسرعة بين الرؤساء وتيكلي وسرعوا في العمل فورا . وكان قباطنة السفن يتولون على الدوام مهمة حراسة الميناء والمرسى وابواب البحرية . وقد نجحوا في الليل في احتلال الشوارع المجاورة وفاجأوا حراس القصر والأسوار ووضعوا بدلا منهم افرادا من جماعتهم ، واستيقظت المدينة على أصوات مدافع الرؤساء ، واعتقل زعماء المتمردين من الجند واعدموا . واصدر تيكلي الذي دخل المدينة ليلا أوامره بقتل حسن كورسو وفواد عنابة وبجاية . خضع الجند موقتا أمام المفاجأة ولكنهم أضربوا الانتقام وباتوا يترقبون فرصة مناسبة . وفي أواخر نيسان استغلوا انتشار الطاعون وغيب الرؤساء في البحر فقتلوا الباشا وعينوا أحد زعمائهم . أثار مقتل تيكلي غضبا عظيما في استبول واضطر السلطان الى الاستعانة بنفوذ حسن باشا المحبوب من سكان الجزائر والأثير لدى الرؤساء الذين نشأ بينهم ، واعادته من جديد الى الجزائر .

عودة حسن باشا

وصل حسن باشا الى الجزائر سنة ١٥٥٧ مع عشرين سفينة حربية كون بحارتها مع بحارة الجزائر قوة كافية لوضع حد لتمرد الجند الذين خضعوا دون مقاومة .

وكان الموقف قد تعقد من جديد على الحدود الجزائرية المغربية . فقد استولى المغاربة الذين كانوا يعملون بتفاهم مع الاسبان على تلمسان وحاصروا الحامية التركية في المشور . سارع حسن باشا الى العمل فور وصوله ونجح في طرد المغاربة من تلمسان وتوغل في الأراضي المغربية ، ولكنه لم يجرؤ على التقدم نحو فاس خوفا من أن يقطع الاسبان طريق مواصلاته ويهاجموه من الخلف . وقد علمت هذه الحملة حسن باشا أنه من الصعب عليه القيام بعمل جدي في المغرب ما دام الاسبان في وهران ونهبا عزم على طردهم من وهران قبل اجتياز الملوية . وعند حسن باشا الى

المؤامرة ليخلص من خصمه العبد محمد الشيخ فأرسل جماعة من الجند
التركي دخلوا المغرب مدعين أنهم هاربون من الجيش التركي ويحجوا في
كسب نفقة محمد الشيخ ثم قاموا باغتياله ونجح بعضهم في العودة الى الجزائر
يحملون معهم رأسه عام ١٥٥٧ •

ولما أطمان حسن باشا من جهة المغرب شرع في العمل ضد الاسبان
الذين كانوا يحاولون الاستيلاء على مستغانم ، التي أصبحت قاعدة الاسطول
التركي يهدد منها وهران • كان حاكم وهران دالكوديت ناقماً لفوات فرصة
ضرب حسن باشا من الخلف حين كان يهاجم المغرب ، وذلك بسبب نقص
قواته • وكان دالكوديت يدرك أن استرجاع الأتراك لتلمسان يهدد
الوجود الاسباني تهديداً خطيراً • فقرر الاستيلاء على مستغانم التي
جعلها الأتراك قاعدة لهم للهجوم على وهران ، وكان يأمل أن يجعلها قاعدة
للهجوم على الجزائر •

اعتمد دالكوديت على تأييد بعض القبائل ، كما اتفق مع المغاربة على أن
يهاجموا الأراضي الجزائرية باتجاه مليانة عندما يشرع الاسبان في العمل
وذلك للحيلولة دون وصول نجدات من الجزائر الى مستغانم • كان المشروع
خطيراً ، ولكن المغاربة لم يستطيعوا تنفيذه لنقص استعدادهم وأدى تقيهم
إلى كارثة نزلت بالاسبان •

• اتجه دالكوديت نحو مستغانم بقوة مؤلفة من اثني عشر ألف جندي مع
عدد من رجال القبائل ، واصطحب معه مدفعية ممتازة ، وأربع سفن ضخمة
محملة بالمؤن والذخائر •

استولت السفن الجزائرية على سفن التسموين امام انظار الجيش
الاسباني ، وقد أدت هذه الخسارة الاولى الى اضعاف معنوية الجيش الذي
بدأ يعاني من نقص التسموين • وخرج العليج علي قائد تلمسان مع حاميتها
التركية وانقض على ميمنة الجيش الاسباني ليحول دون وصول المؤن إليه •

هاجم دالكوديت مازغرغان واستولى عليها ووصل إلى مستغانم • ودارت معركة
رهيبه ابدت فيها مستغانم مقاومة ضارية • ووصلت قوات حسن باشا في الوقت
الناسب واطبقت مع قوات العليج علي على الجيش الاسباني ، واستولى
الاسطول الجزائري قواته الى البر لتهاجم مسيرة الاسبان • وشارك الاسطول
الجزائري ببقائه القوات البرية ، وحاققت الهزيمة بالاسبان الذين هوجموا
من كل صوب ، وقتل دالكوديت وجرح ابنه دون مارتين وأسر ، وابعد
معظم الجيش الاسباني واسر الباقون • أدت هذه الهزيمة الساحقة الى اعتناع
الاسبان عن القيام بعمل هجومي في المغرب واكتفوا بالدفاع عن وهران التي
أصبحت منطقة محاصرة •

شرع حسن باشا فور عودته الى الجزائر في انشاء قوة يستطيع الاعتماد
عليها في ضبط الانكشارية والحلول محلهم عند اللزوم والاستخدامها في
الهجوم على المغرب من جهة اخرى • فانشأ قوة من العلوج ووضع على
رأسها أحد اعوان والده القدامى • وفي الوقت نفسه حاول الحصول على
تأييد قوة محلية فتزوج من ابنة سلطان كوكو ابن القاضي • وكان هذا
الزواج يخدمه من ناحية اخرى في الاستانة بقوة ابن القاضي لمواجهة قوة
زعيم قبائلي آخر • عبد العزيز بن عباس • الذي أعلن استقلاله في بجاية •
وخلال عامين نغل حسن باشا بصراع مرير مع ابن عباس ثم مع خلفه أخيه
المقراني ، ولما شعر حسن باشا أنه عاجز عن القضاء على خصمه بالقوة فضل
سياسة التفاهم ، وكان حسن باشا قد علم أن سلطان المغرب يستعد للاغارة
على تلمسان وأن ملك اسبانية يجمع ارمادا قوية • وكانت المعلومات التي
وصلت الى حسن باشا صحيحة حيث كانت قوة بحرية كبيرة تعد في موانئ
اسبانية وايطالية وصقلية • وكان هدف هذه القوة استعادة طرابلس وإبقاء
قوة بحرية فيها تعمل مع بحرية صقلية ومالطة في منع السفن العثمانية من
دخول المتوسط الغربي وذلك لغزل الجزائر وجعلها مضطرة للاعتماد على
قواها الخاصة في مواجهة الهجوم الاسباني - الايطالي • ولكن اعداد هذه

الحملة كان سيئاً واستغرقت عملية تجميع السفن ، التي لم تجز وفقاً للخطة ، وقتاً طويلاً . وأضاعت الحملة وقتاً ثميناً في الهجوم على جزيرة جربة . وثناء ذلك وصلت قوة بحرية عثمانية كبيرة بقيادة الأميرال بيالي باشا انضمت الى قوات طرغوت والحقت بالحملة هزيمة قاسية .

أزاحت هذه الهزيمة عن كاهل حسن باشا عبثاً قليلاً وصار بإمكانه الآن متابعة استعداداته لمهاجمة المغرب فشرع في تكوين قوة من رجال القبائل كان ينوي أن يوكل إليها حراسة الجزائر أثناء غيابه لعدم ثقته بالانكشارية . أحس الانكشارية بالخطر فقاموا في صيف سنة ١٥٦١ باعتقال حسن باشا واعوانه وارسلوه مقيداً إلى استنبول . رافق حسن باشا عدد من زعماء الجند كانت مهمتهم ان يوضحوا للديوان والسلطان الأسباب التي دفعتهم الى هذا التصرف منهمين حسن باشا أنه كان ينوي القضاء على الأوجاق والاعتماد على جيش محلي يفرض الاستقلال عن السلطان . وتولى زعماء الجند الثائرين حسن اغا وكوسا محمد علي السلطة . ولكن السلطان ارسل أحمد باشا مع قوة بحرية لمعاينة المتمردين والقضاء على الفوضى ونجح أحمد باشا في اعتقال زعماء التمرد وارسلهم الى استنبول حيث اعدموا .

ولما توفي أحمد باشا سنة ١٥٦٢ أعاد السلطان حسن باشا مرة أخرى ، فشرع في الحال في متابعة خطته لتحرير وهران من الأسبان ، وفرض الحصار عليها وعلى المرسى الكبير سنة ١٥٦٣ . إلا أن مقاومة الحامية الأسبانية أتاحت الفرصة لاسطول نجدة اسباني يقوده أمير البحر اندريه دوريا ، فنجح في انقاذ المرسى الكبير واستولى على حجر باديس على ساحل المغرب الشمالي ، واضطر الاتراك الى الانسحاب بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة . ولم تتع الفرصة لحسن باشا للقيام بهجوم جديد فقد تلقى أوامر السلطان بالاستعداد للاشتراك باسطوله مع الاسطول العثماني في مهاجمة جزيرة مالطة سنة ١٥٦٥ . وبالرغم من أن هذا الهجوم قد فشل فقد ابدى فيه حسن باشا بلاء حسناً فعينه السلطان قبطان باشا الاسطول العثماني .

وقيل ان حسن باشا عين سنة ١٥٧١ من جديد بكمراك في الجزائر ولكنه لم يلتحق بمنصبه بسبب مرضه الذي انتهى بوفاته سنة ١٥٧٢ .

وبين ١٥٦٧ - ١٥٦٨ عين محمد باشا ابن صالح ريس بكمراك ، وقد واجه لدى تسلمه السلطة مشاكل حادة فقد كان الطاعون يعصف في المدينة منذ أربعة أعوام ، وكانت المجاعة تشارك الوباء الفئك بالسكان ، وانتشرت المصوصية والفوضى في ضواحي المدينة وقد تصرف محمد بحزم فأمن تموين السكان بواسطة البحر ، وقضى على المصوصية ، وحل الخلاف بين الجند والطائفة بسماحة للجند بالاشتراك في العمليات البحرية كمحاربين ليحصلوا على نصيب من الغنائم ، ولم يكن هذا الحل موفقاً فقد ظل رجال البحر حريصين على الأفراد بعملياتهم وسمحوا لعدد محدود من الجند بمشاركتهم ، وعمل محمد على تحصين المدينة من الناحية الغربية فبنى برجين هامين . وسحق محمد ثورة قسنطينة بوحشية واعدم أو باع كعبد كل من وقع بيده . وقيل ان هذا كان سبب عزله وتعيين العليج علي بدلاً منه .

العليج علي :

يعتبر العليج علي مع خير الدين من أعظم ممثلي السلطنة العثمانية في الجزائر . يقول برنار « ما من أحد عمل أكثر مما عمل العليج علي على توطيد السيطرة العثمانية في حوض المتوسط الغربي كله »^(١) والعليج علي من كالأبر ، وقد عمل في البحر منذ حداثة سنه ، وقد أسره قرصان جزائري واستخدمه مجدداً على سفينة . وكان أفرعاً وتعرض بسبب عاهته الى سخرية رفاقه المجدفين من الأسرى المسيحيين واهانتهم ، حتى أنهم كانوا يتجنبون الأكل الى جانبه ويمنعونه من الجلوس معهم . وربما كان هذا أحد العوامل التي دفعت الى اعتناق الاسلام ليتخلص من هذه المضايقات المزعجة ، وان قيل أن السبب الرئيسي في تغيير دينه هو الرغبة في الانتقام من أحد الأتراك الذي اشتد في معاملته وضربه .

فقد مهارة العليج علي في أمور البحر نظر رؤسائه فمضوه ضابطا
 لأحدى السفن . وقد لبث مدة يقوم بالقرصة لحسابه الشخصي وبرز
 بصفة خاصة أثناء حصار مالطة . وفي سنة ١٥٦٨ عين بكربك في الجزائر .

يسير المؤرخون الغربيون الى أن الحزن كان يسيطر على العليج علي
 بالرغم مما بلغه من جاه وثناء . وفسروا ذلك أنه لم يكن بسبب عاهته
 وإنما لدا على تخليه عن دينه الأصلي . ويستشهدون بشهادة سفير فرنسا
 في استبول وكان من اصدقاء العليج علي . ويؤكد هذا السفير ان العليج عليا
 كان يمارس سرا الديانة المسيحية ، كما يفسر المؤرخون تشاخصه مع انكشارية
 الجزائر بأنهم كانوا يشكون في صدق اسلامه وانهم لذلك سعوا لدى السلطان
 لاستدعائه من الجزائر ، وكان العليج علي رفيقا ازاء أسرى الحرب
 من المسيحيين ، وكان يتمتع عن عرضهم للبيع ولا يفرض عليهم اشغالا
 شاقة .

ولكن خدمات العليج علي البارزة في كل المجالات التي عمل فيها ،
 وتقدير السلطان له الذي تجل بمنحه لقب بكربك الجزائر وقبطان باشا
 وفليج (سيف السلطنة) ورفضه عروض فليب الثاني الساعية الى كسبه الى
 صفه كل ذلك يدل على اخلاص العليج علي للسلطان والاسلام .

الصراع التركي الاسباني على تونس

تأثر العليج علي من فشل العثمانيين أمام مالطة ، وكان كخير الدين
 يحلم أن تشمل السيطرة العثمانية شمال افريقية كله . وقد سعى لتحقيق
 هذا الحلم وركز اهتمامه في بادئ الأمر على تونس . كانت الظروف في
 ذلك الوقت أفضل بكثير مما كانت عليه أيام محاولة خير الدين الأولى ضد
 تونس سنة ١٥٣٤ : فقد كان القرصان طرغوت ، الذي بدأ العمل في مياه
 تونس وطرابلس لحسابه الخاص ، ثم ربط نفسه - كخير الدين - بالدولة
 العثمانية ، قد نجح في الاستيلاء على طرابلس وأصبح واليا عليها سنة ١٥٥١ ،

وبدأ يتوغل في الأراضي التونسية على حساب الحفصيين . كما كان يعمل
 في الوقت نفسه ضد الاسبان ، ونجح سنة ١٥٦٠ بمساعدة اسطول عثماني
 في الحاق هزيمة بالاسبان الذين احتلوا جزيرة جربة سنة ١٥٥٩ . وهكذا
 أصبحت تونس محصورة بين ممتلكات العثمانيين في الجزائر وطرابلس
 وكأنها بين طرفي كمانشة . وكان الحفصيون في غاية الضعف ، وكان الاسبان
 يحتلون حلق الوادي وكان أهل تونس يلاقون منهم الشدائد .

وفي سنة ١٥٦٩ ساحت للعليج علي فرصة ملائمة : فاسبانية تواجه
 صعوبات داخلية من جراء ثورة المسلمين في غرناطة ، وثورة هولندية وحدث
 خلاف بين السلطان الحفصي ابي العباس أحمد وبين وزيره ابي الطيب
 الخضار ، وأحسن الوزير بالخطر فاقبل بالعليج علي يحرضه على احتلال
 تونس ويهون عليه أمرها ، ويتعهد له بتقديم العون . وفي سنة ١٥٦٩ هاجم
 العليج علي تونس وهزم الحفصيين في سهل باجة ، ولم يجد صعوبة تذكر
 في احتلال تونس بعد أن فر السلطان ابو العباس أحمد لاجئا الى الاسبان
 في حلق الوادي . أخذ العليج علي من أهل تونس البيعة للسلطان العثماني
 ونصب عليها أحد قواده (رمضان) وأبقى معه حامية عثمانية . ثم عاد الى
 الجزائر ليعيد تنظيم اسطوله ويهيئ حملة لاستراخ حلق الوادي من الاسبان .

أثار سقوط تونس رد فعل شديد في اسبانية وإيطالية ، فقد أصبح
 باستطاعة العثمانيين التحكم في المضيق الصقلي وتهديد ايطالية ومواصلاتها مع
 اسبانية . ورافق هذا الحدث الخطير هجوم العثمانيين على قبرص التابعة
 للبندقية ثم وثورة المسلمين في الأندلس بتشجيع من الجزائر . وقد قربت
 هذه الأحداث بين البندقية واسبانية . وبالرغم من صعوبة الاتفاق بين
 الطرفين بسبب العداء التقليدي بينهما ، وبالرغم من مساعي فرنسا لمنع قيام
 هذا الاتفاق ، فقد نجح البابا في تدليل جميع الصعوبات ، وتحالفت الدولتان
 وانضم اليهما البابا وعدد من الامارات الايطالية . كان فليب الثاني يرغب
 في أن يواجه هذا التحالف لاسترداد تونس ، وبالرغم من أن الحلفاء وافقوا

واهتم المملوح علي بتسلح البحارة وتدريبهم على الأسلحة النارية . وقد لعب هذا النشاط البحري انظار كل القيمين الأجانب ، وازدادت مكانة المملوح علي حتى ان الباشا أصبح فيليب الثاني ان يسعى لأصراثة بمنحه منفيها كبراً في اسبانية أو صقلية . وكان البابا يرى أن هذه المحاولة ان لم تنجح فإنها على الأقل ستثير شكوك السلطان بالأميرال وهو الشخص الوحيد القادر على دعم امور السلطنة . ولكن هذه المحاولة فشلت وكانت النتيجة انها اثار غضب المملوح علي بدلاً من ان تخفبه^(١) .

وفي سنة ١٥٧٤ توجهت قوات عثمانية من طرابلس والجزائر والقيروان وانضمت اليها قوات عثمانية من تركية بقيادة سنان باشا والمملوح علي . ونجح المملوح علي في الاستيلاء على حلق الوادي بعد أن فرض عليها حصاراً محكماً ونجح سنان باشا في احتلال تونس . وبلا ذلك اخضاع القنطر التونسي كله . واعلن سنان باشا انتهاء الحكم الحفصي ونقل السلطان الحفصي الى القسطنطينية . كان لسقوط تونس دوي هائل في اوردية ، وتوقع الجميع رد فعل اسباني اقوى ، ولكن فيليب الثاني خيب ظن الجميع ، ويعود هذا الى شخصية فيليب التي تختلف عن شخصية والده شارل كان . ذلك أن فيليب الثاني لم يكن ابداً (ملكاً جدياً) ولم يمارس قط قيادة جيش ولم يظهر في ساحة معركة ، كان ملكاً ادارياً وكان يمانى آنذاك من ضائقة مالية ، ومن مشاكل توردية في ايطالية والبلاد المنخفضة ، ومشاكل سياسية مع انكلترة وفرنسة ، وكانت انظاره توجه نحو عرش فرنسة وبريطانية ، وقد عوضه ضم البرتغال وامبراطوريتها الواحدة سنة ١٥٨٠ عن حصارته تونس . كل هذا يفسر انصراف فيليب الثاني عن البحر المتوسط وشمال افريقية ، ورضيته في وضع حد للصراع مع المشايين ، ولم يدخر رسماً لذلك سواء بالمال أو بالوجود . ولكن المملوح علي كان يقاوم ذلك وكان على الدوام يجيب « ان نصبح لأي اقتراح للمسلم قبل اخلاء الأراضي الافريقية من الكفار »^(٢) .

(1) De Grammont : P. 110
(2) De Grammont : P. 118

على العمل مع ضد المشايين في شمال افريقية فان البابا والبندقية أصروا أن يبدأ الحلفاء أولاً ضد العثمانيين في المتوسط الشرقي لاقتاذ قبرص . وفي سنة ١٥٧١ جرت معركة ليبانت الفاصلة (قرب خليج كورنت) ، واهتز الحلفاء نصرًا باهراً الا أنه جاء متأخراً وشن عال ، فقد صنع المظلم الحفلة من استقلال هذا النصر وسقطت قبرص بيد العثمانيين . وقد لعب المملوح علي دوراً بارزاً في هذه المعركة . فقد اقتد (٤٠) سفينة بمناورة بارعة جريئة وحصل نتيجة لذلك على لقب قليج وعينه السلطان قبطان باشا الاسطول العثماني مع احتفاظه بمنصب يكلربك الجزائر .

٨٠ انهار الحلف بعد انسحاب البندقية ، الا أن هذا لم يش فيليب الثاني عن مشاركة افريقية ، فشرع في اعداد حملة كبيرة اوكل قيادتها الى أخيه الأمير دون جوان النمساوي ، وهو ابن غير شرعي لشارل كان . وكان مما شجع فيليب الثاني لجوء السلطان الحفصي اليه وطلبه مساعدته ، الا أن شروط الاسبان كانت قاسية : فقد طالبوا باقسام المملكة بينهم وبين الحفصيين ، فرفض أبو العباس الشروط وآثر الانسحاب . ولكن أخاه محمد بن الحسن قبل الشروط الاسبانية ، وفي سنة ١٥٧٣ باغت دون جوان تونس واستول عليها دون قتال يذكر وانسحب الحاكم العثماني الى القيروان . كان دون جوان يطمع في أن يحكم تونس باسم أخيه فيليب الثاني ، ولكنه اضطر امام الحاج فيليب الثاني الى مفاداة تونس واكتفى بترك حامية وحاكم اسباني يشارك السلطان الحفصي في حكم تونس .

٨١ لم يكن بإمكان الدولة العثمانية أن تسكت على ضربة تونس ، وكان المملوح علي قد أصبح قبطان باشا فعمل بسرعة على اعادة بناء الاسطول العثماني وتنظيمه وإزالة آثار معركة ليبانت . فاستقدم جميع الرؤساء الى استبول ووزعهم على ورشات صناعة السفن وكلفهم بالاشراف على مدارس التدريب . ونجح بفضل ذلك خلال عامين في اعادة بناء الاسطول وقدم للسلطان مئتي سفينة حربية جيدة الصنع والتجهيز وافضل من السفن التي فقدت في ليبانت .

الأثرانك يمدون حملة جديدة ضد المغرب فاجأهم بآلاتهم الصاعقة التي
احرزوا المغاربة على البرتغاليين في معركة وادي المخازن سنة ١٤٧٨ . بعد ذلك
عن مشروعاتهم . وارسل حاكم الجزائر وفد تهنئ . وارسل السلطان
العثماني وفدا مماثلا . ولكن استقبال السلطان السعدي الجديد ، المعروف
المؤلف العثماني كان قاترا . وتشغل عنه وتأخر في الرد على السلطان . استغل
الملك علي توقف المصور فساد الى تحريض السلطان لارسال حملة الى
المغرب . وفاد الملك علي بنفسه اسطولا توجه به لهذا الغرض الى الجزائر
في صيف ١٥٨٠ . ولكن المصور السعدي الذي علم بتأ هذه الحملة عن
طريق الاكليل أرسل وفدا مغريا لاسترضاء السلطان ونجح الوفاء المغربي
في تطيب خاطر السلطان الذي أصدر أمرا الى الملك علي بالتوقف . فوقف
ولكنه لم يقصد امه وتابع استعداده . ومحاو لا ان يتي السلطان عن سياسة
التفاهم مع السعديين . ولكن السلطان استدعى الملك علي من الجزائر سنة
١٥٨٢ . وشملت الدولة العثمانية بعد ذلك في اوربة والبلاد العربية .

اهتم الملك علي في أواخر أيامه بالحرب في بلاد الفرس وفي البلاد
العربية ، واولى الصراع ضد البرتغاليين اهتماما كبيرا . وقد لقي صعوبات
كبيرة في انشاء قوة بحرية في البحر الأحمر وتزويدها بما يلزم ، وفكر
بمشروع فتح قناة السويس وبدأ بتنفيذه . وكان بإمكانه انجازها لو استمر
السلطان في منحه عائدات مصر التي طلبها لاتمام المشروع (١) .

وكان موت الملك علي سنة ١٥٨٧ نهاية مرحلة البكبريكوات النظام
ونهاية المشاريع العظيمة المشائية في شمال افريقية .

(١) De Grammont : P. 123

التدخل في المغرب

لم يؤثر ابتعاد الملك علي عن الجزائر في متابعته لشؤون الأحوال في
شمال افريقية ، فبعد سقوط تونس بدأت النظارة تطلع الى المغرب الذي كان
حكامه السعديون يشايون الاسبان ضد العثمانيين .

وجد الملك علي في لجوء الأميرين السعديين عبد الملك وأحمد الى
الجزائر ثم الى القسطنطينية عوناً على اقناع السلطان بتبني مشروعه في الاعداد
لاحتلال المغرب . وكان الأميران السعديان قد نالا حظوة لدى السلطان
بانسراكتهما في حملة تونس وقد ساعدهما الحظ في أن يكونا أول من ابغى
السلطان بآ هذا الظفر الكبير قبل وصول الخبر الرسمي اليه . واستغلا
فرحة السلطان بهذا النبأ فطلب منه المساعدة على العودة الى المغرب وخلع ابن
إخيهما المتورك ، وقد دعمهما الملك علي ونجح في اقناع السلطان
باصدار أوامره الى حاكم الجزائر رمضان (١) ليضع تحت تصرف الأميرين
السعديين كل ما يلزمهما ، وتعهد الأميران السعديان بدفع تكاليف الحملة
التركية . وعندما أن يكون المغرب قابلا للسلطان العثماني .

نجح عبد الملك بدخول فاس بمساعدة العثمانيين سنة ١٥٧٧ . ولكنه
مصرعان ما تنكر للأثرانك بعد عودة الحملة التركية الى الجزائر . وبينما كان

(١) أثناء وجود الملك علي في استنبول كقبطان باشا نائب عنه في حكم الجزائر عدة خلفاء :
عرب احمد باشا ١٥٧١ - ١٥٧٤ رمضان باشا ١٥٧٤ - ١٥٧٦ وحسن فينيز باشا ١٥٧٦ - ١٥٨٠
جعفر باشا ١٥٨٠ - ١٥٨٢ رمضان باشا ١٥٨٢ (مرة ثانية) ١٥٨٢ اطاحت به ثورة الطائفة
برئاسة عاصي الزنوط الذي تولى حكم الجزائر ريثما أعيد حسن فينيز باشا الذي استمر بحكم
الجزائر حتى موت الملك علي سنة ١٥٨٧ حين عي بدلا منه قبطان باشا . وقد عرفت
هذه الفترة حالات متعاقبة من الفوضى قام بها الجند والطائفة بالإضافة الى ثورات الاهالي .

الفصل الثاني

الحكومة العثمانية

حكومة الجزائر العثمانية :

لم يكن للمعتمدين خطة عامة واحدة لإدارة حكم البلاد التي خضعت لهم أو دخلت في طاعتهم ، بل تأثرت سياستهم الإدارية بصورة عامة بالأوضاع الداخلية التي كانت قائمة في كل بلد قبل احتلالها ، ويتطور الإحصاء الداخلي في البلاد بعد احتلالها ، وبالمعروف التي تم فيها الفتح . وكان التنظيم الإداري العثماني يركز في البلاد المفتوحة على قبولها وجود مثل السلطان أو نائبه (الباشا) ، وحامية تركية تكون محدودة العدد في الأحوال العادية ، ودفع الضرائب ، وجبايتها هي المهمة الأساسية للباشا والجزائية . وفيما عدا ذلك تبقى السلطة العثمانية بعيدة عن الحياة العامة للبلاد المحكومة ، فلم يكن للدولة العثمانية سياسة عامة مرسومة في الاقتصاد والتعليم الخ . . . تحاول فرضها في كل أنحاء السلطنة ، بل تترك للناس حرية التصرف في مثل هذه الشؤون ، وتترك لمثلها حرية المبادرة ليصرفوا على نحو يسمح لهم بتأدية التزاماتهم المادية (الضرائب) والسياسية (الأمن والتبعية) إزاء الدولة . ولقد وصفت الدولة العثمانية بحق أنها كانت أداة استهلاك لا أداة إنتاج . فالحكم العثماني يحاول قدر الامكان التخفيف من أعباء الحكم والإدارة ، واصطناع أقل ما يمكن من الأدوات وهو هكذا ترك سكان البلاد المفتوحة يتابعون حياتهم المألوفة محققين بلغتهم وعقائدهم وقومياتهم وطرقهم في الانتاج . لهذا كان الحكم التركي ظاهريا أكثر منه حقيقيا ولا سيما في المناطق النائية حيث يتضائل تدخل السلطة المركزية الى درجة العدم .

كانت الجزائر في أوائل القرن السادس عشر تحت حكم بني مرين ، ومن الخطر الاستباقي الخطاري ، وقد وضع خروج ، وقام أجواء غير السوية ، أسس الدولة الجزائرية الحديثة التي تقوم على القضاء على الفوضى الداخلية وتوحيد القوى الجزائرية لمجابهة ودفع الخطر الأجنبي . وبسبب ضعف إمكانات الأخوة بربروبا وعجزهم عن مجابهة الفوضى الداخلية والخطر الأجنبي بادر خير الدين الى الاستمالة بالقوة الإسلامية الكبيرة ، والدولة العثمانية ، لتحقيق هذين الهدفين . وهكذا دخلت الجزائر في طاعة العثمانيين بمبادرة خير الدين دون ان تكلفهم كبير مجهود . ولهذا السبب اعتبرت ولاية ممتازة وسمح خير الدين أول حاكم عثماني لها لقبها عظيما بـ كبرى ، وكان بمثابة نائب عن السلطان . ولعل هذا سبب تسمية الجزائر بـ (بنية) .

كانت نياية الجزائر الذين من صنع رجال البحر الذين ظلوا يتبعون على حكم الجزائر أكثر من نصف قرن ، وطبعوا تاريخ الجزائر العثمانية بطابعهم ، وظلت طيلة الحكم العثماني قوة بحرية يتركز نشاطها وموردها الرئيسي على البحر .

أعطى الحكم العثماني للجزائر اسمها الحديث الذي بدأت تعرف به ، والذي كان يقتصر على اسم المدينة التي صارت مقر الحاكم العثماني . كما أدخل العثمانيون مفهوم الحدود السياسية في شمال إفريقيا ، ورسوموا للجزائر حدودها الحالية التي لم تتغير تقريبا منذ ذلك الوقت .

من الحكم العثماني في الجزائر تقلبات وتغيرات عديدة لا تعرف الا القليل عنها بسبب ندرة المصادر وقلة المعلومات . ومعظم هذه المعلومات القليلة التي وصلتنا يعود الى عصر الدايات ، ولا سيما الفترة المتأخرة منه . ويمكن ان نسير في تاريخ الحكم العثماني للجزائر اربع مراحل :

مرحلة البكر بكون ١٥١٨ - ١٥٨٧

مرحلة الباشوات ١٥٨٧ - ١٦٥٩

مرحلة الأغوات ١٦٥٩ - ١٦٧١

مرحلة الدايات ١٦٧١ - ١٨٣٠

عهد البكر بكون :

ويعاصر عهدهم عهد السلاطين العظام ، وعصر القوة العثماني ، ولهم نصيب كبير فيما بلقته الدولة من قوة في هذا العصر .

وكلمة « بكر بك » تعني بك البكون وتعتبر برتبة (ميرمران) أي أمير الأمراء ، وهو من المناصب الرفيعة في الدولة . وعندما منح السلطان خير الدين هذا اللقب لم يكن يتمتع به سوى عدد محدود من كبار الشخصيات العثمانية . وكان هذا المنح دلالة امتياز لخير الدين وللملاية التي يحكمها كاتب للسلطان ، فقد اعتبرت الجزائر ولاية ممتازة ، واعتبرت قاعدة الحكم العثماني والنشاط العثماني في شمال افريقية وفي غرب البحر المتوسط ، وأشرفت على إخضاع باقي شمال افريقية للسلطة العثمانية ، وظلت المسؤولة عن توجيهات الحكم في طرابلس وتونس حتى نهاية عصر البكر بكون سنة ١٥٨٧ .

* كان البكر بكون من كبار رجال البحر الذين يعود الفضل اليهم في تنظيم القوة البحرية العثمانية وفي التفوق البحري العثماني في المتوسط ، وفي ادخال الجزائر وتونس وطرابلس في دائرة الحكم العثماني .

وبالرغم من أن السلطان هو الذي كان يعين هؤلاء البكر بكون ، فإن علاقتهم به لم تكن علاقة تبعية مثل غيرهم من الولاة العثمانيين ، بل كانت ، ان صح القول ، علاقة تحالف : فهم الذين وضعوا او رسموا السياسة (الشمال افريقية) ، وهم الذين كانوا يخططون للعمل العثماني في غرب المتوسط وهم الذين يشرفون على تنفيذ هذه المخططات .

وقد جمع معظم البكر بكون بين وظيفة البكر بك ومنصب قبطان باشا ، ولعله لهذا السبب ، ولأن البحر كان طريق الاتصال الوحيد بين استنبول وشمال افريقية ، كان قبطان باشا هو الذي يتولى امر الاتصال بين السلطان ونيابات الجزائر وتونس وطرابلس (١) .

وكان البكر بكون يحكمون النيابة مباشرة أو بواسطة نوابهم (خليفة) ولم يكونوا يتقدمون كثيراً بأراء الديوان (٢) الذي سيتضح فيما بعد الحاكم الفعلي للجزائر ، وكانوا يمارسون سلطتهم على باشوات طرابلس وتونس ، وسلطانهم مطلقاً وكلمتهم نافذة يتصرفون (كمملوك الجزائر) على حد تعبير هايدر ، وكانت سيطرة البكر بكون على القوتين العسكريتين الأساسيتين في الجزائر ، الانكشارية (القوات البرية) وطائفة الرؤساء (القوات البحرية) قوية بصورة عامة وإن لم يخل الأمر من تشويش صادر عن هذه او تلك .

(١) ابن أبي الفتيان ج ٢ ص ٢ .

(٢) وفي هذا العصر وجد ديوانان : ديوان الباشا وكان يضم بعض القضاة كممثلين للجنود وهو بمثابة هيئة استشارية فقط للبكر بكون ، وهم الذين يقررون ، وديوان الجنود وكان يهتم فقط بأمر الجنود ولا سيما مسألة الترقية وقد تنافس حلفاء بين ديوان الباشا وديوان الجنود ، والحق كما يرى دوجرامون أن ديوان الجنود الفتي ديوان الباشا منذ أوائل القرن السابع عشر ، وكان هذا اقتصاباً وليس قاعدة . وليس هناك أية وثيقة أو كتابة نستطيع بالاعتقاد أن آل بربروسا كانوا باحثون رأي الجنود في تصرفاتهم . وقد حدث أكثر من مرة أن حاول ديوان الجنود أن يستولي على السلطة ولكن هذه المحاولات لم تضر حتى عصر الباشوات ذلك لأن القباطنة الكبار الذين خلفوا خير الدين حافظوا على هذه التقاليد وعارضوا بقوة كل محاولة اغتصاب . وكان كل البكر بكون بدون استثناء يشعرون بخطور الجنود على النيابة لعدم انضباطهم وكثرة مطالبهم ، وكانوا يتوقعون أن يكونوا سبباً لقوى دائمة ، وإن غرائز السلب والعنف لديهم ستثير عداوة السكان ، وإن السكان المستعوقين من الضرائب والمعاملة القاسية سيظلون في حالة ثورة دائمة ولن يكون بالإمكان حكمهم إلا بالعنف والارهاب . ولم تكن هذه هي غاية البكر بكون الذين كانوا يرغبون في إقامة امبراطورية محلية . ولهذا كانوا يسعون للتخلص من هذا العنصر الخطر ليحل محله جيش يتألف من جنود محليين من القبائل الموالية . ولكن هذه المحاولات كانت تشير بشكوك الدولة العثمانية التي كانت تخشى أن يؤدي ذلك الى استقلال البكر بكون .

وفي هذا العهد امتد الحكم العثماني في الجزائر الى الحدود المغربية والتوسعية وتوغل الأتراك في عهد صالح ريس الى واحات ورقلة وتقرت

كانت الأحداث في غربي البحر المتوسط تتطلب وجود شخصية قوية في الجزائر ، ومن رجال البحر بالذات . كما كانت تقتضي وجود تعاون وثيق وصادق بين السلطنة ونوابها في الجزائر ، ذلك أن ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية جرى في الوقت الذي اتحدت فيه مملكة اسبانية مع الامبراطورية الجرمانية المقدسة بتاج واحد حملته ملك اسبانية باسم شارلوكان . فكان معنى هذا ارتباط موقف اسبانية بموقف الامبراطورية المعادي للدولة العثمانية . ولهذا كان على الجزائر أن تتسق عملها مع عمل الدولة العثمانية ضد العدو المشترك . وقد تأثرت علاقة الدولة العثمانية بالجزائر بتطور هذا الصراع .

بدأت نقطة التحول منذ سنة ١٥٦٥ حيث فشل الأتراك في حصار مالطة ، هذا الفشل الذي يشبهه بعض الكتاب الغربيين بغيره فرددون أو معركة سناليجراد ، اذ سجل بداية الانطواء التركي وتراجع البحرية العثمانية كما كان مقدمة لهزيمة ليبانت الحاسمة التي وضعت حدا للتفوق البحري التركي . ومنذ أواخر السبعينات بدأت المفاوضات بين العثمانيين والاسبان لوضع حد للصراع الدائر بينهما في المتوسط . وشهدت هذه الفترة انحطاط البحرية العثمانية ، وانفعال الأتراك مع الفرس ، في الوقت الذي اشتغلت فيه اسبانية في المحيط الأطلسي وغرب أوربة في صراع مع هولندية وفرنسية وانكسرت ، قل خطرهما على الجزائر . ولما مات العلي علي سنة ١٥٨٧ قدرت الدولة العثمانية أن الوقت قد حان لادخال الولايات الثلاث في شمال افريقية في اطار التنظيمات العثمانية العادية ، فأُلغيت بلكريكية الجزائر وحولت الولايات الثلاث الى نيابات يديرها باشا يعين لمدة ثلاث سنوات . ولم تعد الجزائر الحصن الأممي للسلطنة العثمانية بل صارت ولاية مثل غيرها . ويفسر هاريسيل كواومب هذا التغير في شكل الحكم العثماني بخوف السلطان

من أن يتجه البلكريكات ، بسبب قوتهم وضعف البحرية العثمانية ، نحو الاستقلال . ولهذا اخرج تونس وطرابلس عن نفوذهم وعين باشا موقفا . بدل البلكريكات الذي لم يكن لحكمه حد زمني . فيقوي بذلك تبعية الجزائر للسلطان من جهة ، ويهدئ من شكوك الانكشارية ويقلل من خوفهم من سياسة تجنيد الأهالي التي حولها عدد من البلكريكات . ويعبر هذا الاجراء جزءا من سياسة عامة اتبعها العثمانيون في كل ولاياتهم . ولكن هذه السياسة لم تحل دون أضاف العلاقة بين السلطنة والنيابة بل أسهمت في تزايد الفوضى في الولايات .

عهد الباشوات ١٥٨٧ - ١٦٥٩ :

ويعبر هذا العهد عهد الموظفين الذين كانت استيول ترسلهم دون أن يكون لهم أساس أو سند محلي بين القوى التي كانت تسيطر على مقدرات الجزائر ، كما كان الحال في عهد البلكريكات الذين كانوا من رجال البحر ويعتمدون على رجال الاسطول ، كما يعتمدون على شخصياتهم القوية ومآثرهم الحربية في الداخل أو في البحر ، وعلى علاقاتهم الوثيقة بالسلطان في فترة تميزت بالجهاد ضد اعداء الدولة والاسلام . وبالرغم من هذا فإن ضعف الانكشارية أو الطائفة بدأ في الظهور منذ عهد البلكريكات . وقد أثار هذا الضعف متاعب احسن باشا وللعلي علي . وتميزت الفترة التي ابتعد فيها العلي علي عن الجزائر تسلم منصب قبطان باشا بكثرة هذا الضعف . فلما بدأ عهد الباشوات الغربيين عن هذه الشبهة المضطربة لم يلقوا من رجال الطائفة والانكشارية دعما ولا احتراما ، ذلك أن الأوجاق ورجال الطائفة ما كانوا ليقبلوا توجيهات موظفين موقنين لا سند لهم في النيابة .

وفي حين انصرف رجال الطائفة الى البحر ليمارسوا القرصنة على نطاق واسع ، ازداد تطاول الانكشارية على الباشوات والأهالي معا . وقد حاول خضر باشا ١٥٩٦ أن يتحرر من وصاية الانكشارية بمساعدة القولاو على

الذين ابتعدوا عن الحياة العامة ، وبمساعدة القبائل المستعدة للثورة على الدوام ، ولكن المحاولة ظلت دون نتيجة . واضطر الباشا أن يتقبل مشاركة الديوان (المؤلف من رؤساء الجند) له في السلطة . وكان الباشا يعلن القرارات الرسمية على النحو التالي : « نحن باشا وديوان ميليشيا الجزائر السني لانقلاب » (١) . ولكي يبقى الباشا في منصبه كان عليه أن يسير الديوان ويقر قراراته .

ان تسلط الجند على امور الباشوات خلق حالة فوضى واضطراب عمت النظر الجزائري بكامله . وقد ظهرت اثار هذا التسلط بمظاهر ثلاث :

١ - ثورات القولوغلي .

٢ - ثورات القبائل .

٣ - الصراع بين الجند والطائفة .

كان عدد القولوغلي في ازدياد مستمر ، وكان الأتراك يخشون ان ينضم هؤلاء الى جانب الأهالي - أحوالهم - وأن يؤدي تزايدهم المستمر وتعاونهم مع الأهالي الى انتزاع السلطة من الأتراك والحلول محلهم ، فكانوا حريصين على ابعادهم عن المناصب العامة ، مكفين بمنحهم دوراً عسكرياً خاصاً بقيادة ضباط أترك مع اخضاعهم لمراقبة دقيقة دائمة . ولكن القولوغلي لم يرضوا عن هذا الحرمان وكانوا على الدوام يطالبون بحقوق مماثلة للأتراك والسلاح في أيديهم معتمدين على مساعدة (البلديين) أي أهل المدينة تارة ، وعلى (البرانيين) أي القبائليين تارة أخرى ، كما كانوا يحظون بتشجيع الباشوات أحياناً ورؤساء الطائفة أحياناً أخرى ، في محاولة للتخلص من تسلط الانكشارية أو كسر شوكتهم . وفي سنة ١٥٩٦ ناز القولوغلي يتسعين من خضر باشا وتأييد من (البلديين والبرانيين) وغرقت مدينة

(I) De Grammont : P. 125

الجزائر بالدم طيلة أشهر . وبالرغم من أن هذه الثورة لم تحقق أهدافها فانها اجبرت الجند على التخفيف من غلوهم ازاء القولوغلي . وقد اسهم البرانيون في هذه الثورة اسهاماً كبيراً وبدأ منذ ذلك الوقت التحالف الطويل بين القبائليين والقولوغلي . ويرى دوغرامون أنه لو أظهر خضر باشا مزيداً من الجرأة والحزم لاستطاع آنذاك التخلص بضرية واحدة من فوضى الانكشارية ولاقام سلطة الباشوات على جيش وطني (١) .

وتحرك القولوغلي من جديد سنة ١٦٣٣ ذلك أن الديوان - خوفاً من تزايد عددهم - قرر طردهم من مدينة الجزائر مع اعطائهم مهلة شهر لمغادرة نياحة الجزائر كلها . ولم يكن من السهل تنفيذ هذا القرار ، وتجمع المتنبون في ضواحي الجزائر وعادوا سنة ١٦٣٣ بمجموعات صغيرة متزيين بزى فلاحين يحملون اسلحتهم خفية ، وانقضوا فجأة على الانكشارية واستولوا على عدد من المراكز في المدينة ، وعلن الأهالي تأييدهم لهم . ولكن القولوغلي اختاروا وقتاً غير مناسب لثورتهم ، إذ كان الرؤساء في البحر آنذاك قحزم القولوغلي من تأييدهم القوي . ووافق الأتراك بسرعة من المفاجأة فأسرعوا بإغلاق ابواب المدينة وشرعوا في مطاردة القولوغلي الذين لجأوا الى القصبة في محاولة للاستيلاء على مستودعات السلاح فيها أو لتأمين مخرج الى الأرياف . وحدث أثناء ذلك انفجار مستودع بارود سيف القلعة وعدداً كبيراً من المنازل ونقض على بضعة آلاف شخص ، وفك الجند بمعظم أسلحتهم ولجأ الناجون الى بلاد القبائل .

ثورة بلاد القبائل :

كانت بلاد القبائل تحرص على الدوام على التمسك باستقلالها بقيادة زعمائها المحليين من آل القاضي وبني عباس . وقد سبب الكثير من المتاعب للبيكربكوات . وقد استخدم البيكربكوات القوة والدبلوماسية

(I) De Grammont : P. 140

لاستخدام هذه المناطق ، فحضمت موقفاً . وفي عهد الباشوات ظهرت أسباب
 أخرى أدت إلى قيام ثورة في بلاد القبائل استمرت بصورة متقطعة طيلة هذا
 العهد . كان الباشوات يطمعون في أن يجمعوا مزيداً من الثروة في أقصر
 وقت ، ففرضوا على بلاد القبائل ضريبة سنوية كبيرة لم يكن الأهالي مستعدين
 لقبولها . وقام الانكشارية بطرد عدد كبير من (البرانيين) من مدينة
 الجزائر . وقد غذى هؤلاء اثر عودتهم الى موطنهم الأصلي نرا الحقد ضد
 الأتراك . وعندما وطد الديوان سيطرته على جهاز الحكم حل كتاب الزواوة
 الذين بلغ عددهم ١٥٠٠ رجل سنة ١٥٨٠ . وقد عمل هؤلاء المدبرون على
 استخدام الأسلحة النارية على تدريب مواطنيهم على استخدام هذه الأسلحة
 التي كانوا يحصلون عليها عن طريق المبادلات التجارية غير المشروعة مع
 الأجانب وتعلم القبائلون بسرعة صنع هذه الأسلحة محلياً . وكان القبائلون
 يجدون على الدوام حلفاء مفيدين ضد الأتراك ولا سيما من القولوغلي ورجال
 الطائفة ، فقد تزوج أحد زعماء الطائفة علي بتشين ابنة سلطان كوكو
 وأحاط نفسه بحرس من الزواوة ، وقد ساعده هذا التحالف على الاستيلاء
 على السلطة سنة ١٦٤٣ وكاد أن يؤدي ذلك الى تبديل كبير في القوة
 العسكرية الجزائرية ، لولا أن علي بتشين توفي قبل أن يتاح له فرصة
 هذا التبديل ، وقيل انه مات مسموماً . وقد سعى الاسبان لتشجيع القبائلين
 أمليين الاستيلاء بمساعدتهم على بعض النقاط الساحلية ، ولكن هذا التعاون
 لم يكن مثمراً . وقد حقق القبائلون الهزيمة اكثر من مرة بالأتراك
 واجتاحوا سهل التيجة وقطعوا طرق الاتصال الرئيسية مع بيلكية المشرق
 وفرضوا الحصار اكثر من مرة على مدينة الجزائر . ونجحت ثورة بلاد
 القبائل المناطق الأخرى في شرقي الجزائر وغربها . وهكذا عمت الفوضى
 خارج مدينة الجزائر كما في داخلها . وتنافست عائلات الضرائب التي كانت
 تحيي من الداخل الى درجة أنه بالرغم من تضخم واردات القرصنة فإن
 واردات سنة ١٦٣٤ لم تكن اكثر من واردات سنة ١٥٨٠ . واذا ما تعرض

(الرؤساء) فشل يصح الباشا عاجزاً عن دفع رواتب الجند وحينئذ يخرج
 للجزل والسجن .

٢٠ كان تكوين الطائفة يختلف عن تكوين الجند كما كان مجال عمل كل
 منهما مختلفاً ، وكانت مصالحهما مختلفة من جهة ومكاملة من جهة أخرى .
 كان كل منهما لازماً للآخر ولكن أياً منهما لم يكن مستعداً برضائه لقبول
 سيطر الفريق الآخر ولهذا كان التصادم مألوفاً بين الفريقين ولكنه كان ينهي
 في كثير من الأحيان الى حل وسط يكفل الطرفين حريتهما ومصالحهما .
 كانت القيادة السياسية والعسكرية في عهد البكركوات للطائفة فقد كان حكام
 النابية من رجالها وبالرغم من التفاهم اتم بين البكركوات والسلطان فان طاعة
 الجند لم تكن دائمة ويبدو أن الدولة قد وجدت في ارسال باشوات من
 استبول لا يتسمون لأحد الفريقين حلاً لهذا الخلاف . ولكن ظهر ان هذا
 الحل زاد الأمر سوءاً فقد رفض الطرفان الخضوع للباشا ، وحاول كل منهما
 التسلط على الباشوات .

وكان الجند هم الفريق الأقوى في المدينة لأنهم كانوا يتولون
 مسؤولية الأمن في المدينة وفي النابية كلها . وكان فريق منهم على الأقل
 يبقى في الجزائر بينما يقوم الفريق الآخر بمهام مؤقتة ، مالية وعسكرية ،
 خارج المدينة . اما الرؤساء فكانوا منصرفين الى شؤون البحر
 ومضطرين لتلقيب عن الجزائر في الأوقات الملائمة للنشاط البحري . ولهذا
 كان تأثير الجند أكبر على الشؤون الداخلية في حين كان تأثير الطائفة أشد
 على الشؤون الخارجية ، ولا سيما علاقات الجزائر مع اوروبا والدولة العثمانية .
 وكانت الطائفة تسعى لاجاد قوى داخلية توازن قوة الجند لتمنعهم من الانفراد
 بالسلطة اثناء انشغال الرؤساء ولهذا كانوا يؤيدون القولوغلي أحياناً والقبائل
 احياناً أخرى وكان للطائفة كلمة مسموعة في الديوان وخاصة فيما يتعلق
 بشؤونهم البحري . وابتدحت للطائفة سنة ١٦٤٤ فرصة الاستيلاء على السلطة .
 ففي ١٦٤٤ رفضت البحرية الجزائرية الاسهام مع البحرية العثمانية في

مهاجرة جريئة مألوفة وذلك بسبب خلاف نشأ سنة ١٦٣٨ أثناء الحرب مع
 إسبانيا . أرسل السلطان مبعوثين إلى الجزائر مكلفين بإعدام علي بتشين أبرز
 زعماء الطائفة وأربعة من الرؤساء البارزين . وما أن وصل المبعوثون إلى
 الجزائر وكشف أمر مهمتهم حتى ثارت الطائفة بقيادة علي بتشين واستولوا
 على السلطة . لم يدعم الجند الباشا المعزول ولكنهم طالبوا علي بتشين باعتباره
 حل محل الباشا أن يدفع لهم مرتباتهم ولما كان علي بتشين عاجزاً عن إرضاء
 مطالب الجند ولم تكن لديه القوة الكافية لاختصاصهم فقد غادر الجزائر سراً
 إلى بلاد القبائل ، وكان يرتبط مع سلطان كوكو برباط المصاهرة . ونجح علي
 بتشين في العودة إلى الجزائر على رأس جيش من بلاد القبائل . وبسبب
 حاجة السلطان إلى البحرية الجزائرية سعى إلى استرضاء علي بتشين بلال
 ولكن لم يرضه لقب الباشا وعين باشا جديداً . وبعد وصول هذا الباشا توفي
 علي بتشين فجأة وقيل أنه مات مسموماً وأقيمت له جنازة رسمية ملكية وحل
 أخوه رمضان محله في زعامة الطائفة (١) .

كان الباشا يعين لمدة ثلاث سنوات ولكن من النادر أن يكمل مدته .
 وقد تعاقب على الجزائر خلال هذه المدة أكثر من أربعين باشا تجدد تعيين
 بعضهم أكثر من مرة ، وتعرض الكثير منهم للعزل والسجن على
 يد الأوجاق ، وكان عهد معظمهم قصيراً . فقد استمر حكم يوسف
 باشا سنة ١٦٤٠ أربعين يوماً ثم أعيد للمرة الثانية في العام نفسه ،
 ثم عزل وسجن سنة ١٦٤٢ بسبب تأخره عن دفع رواتب الجند ثم عاد
 للمرة الثالثة سنة ١٦٤٧ لم وبين ١٦٥٥ - ١٦٥٩ تعاقب على الحكم
 أكثر من مرة كل من أحمد باشا وإبراهيم باشا . وكانت هذه الفترة مليئة
 بالاضطراب والفوضى مما دفع الأوجاق إلى إنهاء حكم الباشوات .

كان باشوات الجزائر مثل غيرهم من الباشوات العثمانيين يشعرون

(1) De Grammont : P. 192 - 193 - 194

مناصبهم بلال ، ولهذا كان مهمهم الوحيد جمع الثروة . وكانت واجبات
 الباشا والتزاماته تسمح له بأن يقوم بأوسع عمليات النهب ، فهذه الأساس
 جمع الضرائب التي تسمح له بدفع رواتب الجند وتجهيزهم ، وهي القوة
 الأثرية الوحيدة ذلك لأن الأشغال العامة والتعليم ورواتب الموظفين
 كلها لم تكن تقبر من واجبات الدولة وقد استغل الباشوات هذه
 الوظيفة المالية كما استغلها أعوانهم ، حكام الأقاليم ، الذين يساعدونهم
 في هذه الوظيفة . فكانوا يتلاعبون أو ينشأخرون في دفع رواتب الجند
 ويفرضون دفع مبلغ محدد على العلماء وعلى عدول المحكمة وغيرهم من
 الأعيان ، ولما كان الباشوات يتعاقبون على السلطة بكثرة وفي فترات متقاربة
 فقد ارهقوا سكان الجزائر بجمعهم ونهبهم ولعل هذا كان سبب تجريدهم
 من كل سلطة عام ١٦٥٩ .

منذ هذا العهد أدارت الجزائر ظهرها لاستبول وصار لها سياسة
 خاصة لم تكن على الدوام مطابقة لسياسة الدولة العثمانية وكان هذا ناجماً
 عن تسلط ديوان الجند على الباشوات وبسبب تمرد البحرية الجزائرية على
 أوامر السلطان ورغبتها في اتباع سياسة مستقلة . كان الديوان يعقد جلسة
 أسبوعية خاصة لبحث الأمور الخارجية . وهو الذي يبت في أمور الحرب
 والسلم والمحالقات والمعاهدات ، وكان قليل الاكترت فيما إذا كانت ملائمة
 لسياسة الدولة العثمانية أم لا ، وكان هذا بمثابة عصيان مكشوف . وعشاً
 كان السلطان يرسل مبعوثين لتسوية هذا الأمر فقد كان هؤلاء المبعوثون
 يتعرضون للمعاملة السيئة المهينة . ولم يكن بالإمكان معاقبة المسيئين لأن هذا
 قد يؤدي إلى ثورة .

وفي سنة ١٦٣٨ ، أصيبت علاقة الجزائر بالدولة العثمانية . كانت
 الدولة العثمانية في حالة حرب مع البندقية وطلبت مساعدة البحرية
 الجزائرية . وتعرضت البحرية الجزائرية في الأرخبيل لعاصفة اجبرتها على

(1) Ch. A. Julien : Histoire de l'Algerie Contemporaine

المنصور إلى فولون في الأرخبيل . استغل البنادقة الفرصة فهاجموا السفن الجزائرية والحققوا بها خسائر فادحة كان لها أثر كبير في إضعاف البحرية الجزائرية . وحدث أن السلطان المسماني قبل التفاهم مع البنادقة مما أثار سخط الجزائريين الذين فرروا عدم الاشتراك مع المسمانيين في الأعمال البحرية .

وفي سنة ١٦٤٤ عندما قرر السلطان مهاجمة جزيرة مالطة طلب اسهام البحرية الجزائرية فرفض الجزائريون وشاركهم موقفهم هذا التونسيون والطرابلسيون مما أدى إلى فشل الهجوم . ويبدو أن السلطان اشترى رضا البحرية الجزائرية بتخصيص مبلغ سنوي مقابل اشتراكهم في العمليات القائمة .

عهد الأغوات ١٦٥٩ - ١٦٧١ :

يعتبر هذا العهد عهد تسلط الجيش على الحكم ، ويمثل أحلك فترة في تاريخ الحكم المسماني في الجزائر وفي تاريخ الجزائر . ويعود السبب في قيام حكم الأغوات إلى سياسة الباشوات المالية ، فقد اتهم الجند ابراهيم باشا بتهب المعاشات والضرائب . وكان السبب المباشر في تجريد الباشا من سلطاته هو محاولة ابراهيم باشا أن يستوفي الفطر على المنح التي كان السلطان يرسلها لمساعدة الأسطول الجزائري ، مما أثار رد فعل شديد دفع الديوان إلى اتخاذ قرار بإلغاء امتيازات الباشا ، وهي : دفع المعاشات ، تعيين القواد ، ممارسة القضاء على أهل البلد . ولم يترك للباشا سوى اللقب الشرفي . وأخذ الأغوات منذ سنة ١٦٥٩ يمارسون السلطة التنفيذية .

ومن الغريب أن هذه الثورة التي قامت للدفاع عن حقوق الطائفة انتهت لصالح الجند حتى سنة ١٦٧١ . ويبدو أن تجريد الباشا من سلطاته لم يحدث دفعة واحدة ففي بادئ الأمر جرد الباشا من مهمة جباية الضرائب ودفع الرواتب ، وكلف بها خليل بلوكباشي وظل الباشا يرأس حكومة

الجزائر والمناطق التابعة لها في حين تمتع خليل بلوكباشي بكل امتيازات السلطة . ولكن في عهد علي آغا ١٦٦٥ - ١٦٧١ جرد الباشا من كل سلطاته بما فيها حكومة مدينة الجزائر . ومنذ ذلك الوقت ظل الجمع بين وسمه الحاكم ودفع رواتب الجند ساريا ، وكان علي آغا أول من حمل لقب حاكم لأنه كان يتمتع بالسلطة دون أية مشاركة . وكانت أوامره أوامر حاكم ، ويقع حيث يقع حكماء الجزائر . وقد جمع حوله كل الأجهزة والوظائف الذين كانوا حول الباشا من قبل . ويشهد مؤرخ جزائري من كتاب القرن الثامن عشر بحكم علي آغا «... الذي اتخذ قرارات حكيمة فأثرى التجار وعاش الجميع بالرفاه...» . وعني علي آغا بأمر السفن اللازمة للقرصنة وكثر بناء البيوت الجميلة وشيدت القصور الضخمة وسط البساتين وازدهرت الزراعة وقامت صناعات جديدة (١) .

ولكن نظام الأغوات كان ينطوي على نقاط ضعف خطيرة . فقد كان الجند يتخبون كل شهرين آغا جديدا بحسب الأقدمية . وعلى الأغا أن يخضع لهذا التغير . فإذا رغب في الاحتفاظ بالسلطة تعرض لثورة الجند واقتل كما حدث للبلوكباشي خليل مما أدى إلى ضعف السلطة والفوضى الكاملة . وأصبح القتل الاجراء الوحيد لتبديل الأغوات . وقد قتل الأغوات الأربع الذين تعاقبوا على السلطة بين ١٦٥٩ - ١٦٧١ .

خلل للمقيمين الأجانب أن استلام الجيش السلطة سيجلب لهم الأمن وإن القرصنة ستلقى ضربة ممتدة وكانت الدلائل الأولى تشير إلى شيء من هذا . فقد استمع الديوان إلى شكاوى التجار الأجانب ومطالبهم ومنحهم تسهيلات عديدة (تعرفة جمركية جديدة ، انقاص الرسوم) . ويبدو أن الأغوات كانوا يميلون إلى تشجيع التجارة في موانئ القدر ولكن عوامل عديدة تدخلت لوقف السير في هذا الاتجاه :

(١) Delphin : Journal Asiatique 1922 P. 162 - 233

١ - لم يكن بإمكان الأغوات وقف نشاط القرصنة الجزائرية معجزهم عن فرض سيطرتهم على الطائفة القوية من جهة ولأن القرصنة كانت ضرورية لوجود الأوجاق ولأن موارد القرصنة كانت ضرورية لحكومة كالحكومة التركية في الجزائر لها جيش كبير وليس لها تجارة أو صناعة أو زراعة لأسباب تتعلق بطبيعة هذه الحكومة وبمفهومها عن الحكم ، وبسبب عجزها عن تحقيق السيطرة الكاملة على النوبة وتوفيرها الوسائل اللازمة للتنمية .

٢ - لأن الدول الأوروبية نفسها لم تساعد هذه السياسة الجديدة فقد كانت السفن الأوروبية عامة والفرنسية خاصة (لأن علاقات فرنسا التجارية مع الجزائر كانت أقدم وأوسع ، ولأن الأغوات بدؤوا استعدادات طيبة إزاء فرنسا بصورة خاصة) ما فتئت تهاجم السفن الجزائرية في عرض البحر بدون سابق إنذار سواء كان هناك معاهدات صلح مع الجزائر أولا ، ولأن التجار الأجانب لم يكونوا مستعدين للالتزام بتعليمات الحكومة الجزائرية والقيود التي كانت تفرضها على أنواع من التجارة بسبب حاجات البلاد وأوضاعها الداخلية . وكانت هذه الاعتداءات والمخالفات تسبب الكثير من المشاكل لحكام الجزائر ، وتضعف من موقفهم الداخلي إزاء الطائفة والجيش والأهالي .

٣ - لأن الأغوات كانوا عاجزين عن توفير الاستقرار الداخلي وكانوا عرضة في كل حين لمجابهة تمرد الطائفة أو الجند أو القبائل فقد دفع البلوكاشي حياته ثمناً لرغبته بالاحتفاظ بمنصبه بعد انقضاء مدته مخالفاً بذلك تقاليد الأوجاق ، وقتل خلفه رمضان سنة ١٦٦١ بالرغم من نجاحه في التفاهم مع الجند على تمديد فترة حكمه وذلك لأنه رغب في أن يستأثر بجانب كبير من الغنائم . وقتل شعبان أغا سنة ١٦٦٥ الذي تميز عهده بكوارث طبيعية (زلازل و طاعون) وتعرض البحرية والمواني الجزائرية للهجمات الأوروبية التي كان أخطرها نزول الفرنسيين في جيجل سنة ١٦٦٤ مما أزال كل مبرر لثقائه عدة أطول . وقتل علي أغا سنة ١٦٧١ بالرغم من سياسته الحكيمة

بسبب ما أبداه من تساهل إزاء فرنسا تجاوز حدود المعاهدات والتسهيلات التجارية إلى معاقبة عدد من زعماء الطائفة بالأعدام علناً ويحضور ممثل فرنسا الذي تقدم بشكايات ضدهم بالرغم من أن الفرنسيين استمروا في مهاجمة السفن الجزائرية وتهريب الأسرى من الجزائر . وقد بلغ الضيق أشده بالطائفة حين تعرضت السواحل الجزائرية لهجمات البحرية الانكليزية التي ألحقت أضراراً كبيرة بالسفن والمواني الجزائرية . وقد حملت الطائفة علي أغا مسؤولية هذه الأضرار واتهمته أنه لا يهتم بأمور البحر كما اتهمه الجند بتكديس ثروته الشخصية .

وتلا مقتل علي غا انتشار الفوضى الكاملة في الجزائر . فخلال ثلاثة أيام عين الجند خمسة أو ستة أغوات ، ولكن هؤلاء استمروا عن قبول هذا المنصب الخطير . وسارعت الطائفة التي كانت تقرب الفرصة السانحة لانتزاع السلطة من الجيش فأنتهت عهد الأغوات وفرضت احد زعمائها سنة ١٦٧١ حاكماً للجزائر تبدأ بذلك عهداً جديداً هو عهد الدايات .

عهد الدايات سنة ١٦٧١ - ١٨٣٠ :

الداي كلمة تركية تعني (خال) ولكنها فيما يبدو لم تستخدم للدلالة على عمل وظيفي الا في الجزائر وتونس . وكانت في بادئ الأمر لقباً شرفياً مثل كلمة ألب عند الأتراك القدامى يتطلب الحصول عليه إثبات جدارة في البحر والحرب في المتوسط ثم استخدم هذا اللقب الشرفي لوظيفة عسكرية في الجيش الانكشاري في الجزائر وتونس ، ويشير ابن أبي الضياف الى أن سنان باشا نظم الانكشارية في تونس «... وجعل على كل فئة منهم أميراً يسمى (الداي) لقب مشعر بالتعظيم...» (١) وقد بدأ الدايات في تونس بمبارسون السلطة منذ سنة ١٥٩١ . أما في الجزائر فقد تسلم الدايات السلطة منذ سنة ١٦٧١ عندما حلت سلطة زعماء الطائفة محل الأغوات وقد أطلق علي

(١) ابن أبي الضياف : ج ٢ ص ١٧ .

أول داي من الرؤساء وهو حسين ريس الطريقي لقب « دولتي » وسمي
 خلفه بابا حسن « الحاكم » و « دولتي » وبالرغم من أن جمع حسين
 ميزومورتو قد جمع بين وظيفتي الداي والباشا فإن هذا الجمع لم يتم بهمة
 نهائية إلا في عهد الداي علي ^{١٧١٨ - ١٧١٩} ^{١٧١٨ - ١٧١٩} رأى الداي علي الذي استلم
 منصبه بعد فترة اضطرابات دامية أن البشوات الذين كانت استبول ترسلهم
 كانوا - بالرغم من كونهم مجردين من أية سلطة - سيئاً دائماً للاضطرابات
 سواء بسبب تأمرهم المستمر لاسترجاع سلطتهم أو لأن مثيري الاضطرابات
 كانوا يستخدمونهم كستار . وفي سنة ١٧١١ رفض الداي علي السماح
 للبشوات الجدد بدخول الجزائر وارسل سفارة الى استبول عرضت على
 الحكومة العثمانية المصاعب الحادة الناجمة عن تعدد السلطات ونجحت جميع
 السفارة وهداها في اقناع المسؤولين العثمانيين ، وتقرر جمع وظيفتي الباشا
 والداي لشخص واحد ^(١) . وقد حاولت الدولة أن ترسل باشا من استبول
 في عهد الداي عدي باشا ١٧٢٤ - ١٧٣٤ ولكنه رد على نفس السفينة التي
 وصل عليها سنة ١٧٢٩ ^(٢) . استمر انتخاب الدايات من قبل الطائفة حتى
 سنة ١٦٨٩ . كان الدايات الأربع الذين حكموا بين ١٦٧١ - ١٦٨٩ من
 زعماء الطائفة وقد عملوا على تقليص نفوذ الديوان ولم يدعوه للاعتماد الا
 محافظة على الشكل ، ولم يكونوا يتقيدون بقراراته الا حينما تكون هذه
 القرارات مفيدة لهم . وفي عهدهم نشطت البحرية الجزائرية مما أدى الى قيام
 عمليات انتقامية اوربية هولا سيما فرنسية قاسية سنة ١٦٨٢ - ١٦٨٣ وسنة
 ١٦٨٨ وقد الحقت هذه العمليات اضراراً كبيراً في البحرية الجزائرية وفي
 مدينة الجزائر ، واضعفت الطائفة وقللت رصيدها بين السكان مما سمح للجند
 باستعادة مركزهم سنة ١٦٨٩ . الا أن الأوجاق لم يعد كما كان متحداً
 متماسكاً ، فقد قل عدده وصارت عملية التجنيد أكثر صعوبة وانحط مستوى

(1) De Grammont : P. 276

(2) Delplin : Journal Asiatique 1922 P. 162 - 233

المجندين الاجتماعي ، اذ انصرف التجنيد تقريباً على قطاع « الطريق » في
 مواني آسيا الصغرى والمغربيين في اريافها . وصار هؤلاء أقل اهتماماً
 بالمحافظة على الامتيازات السياسية وبأدولوا عليها بارادتهم مقابل زيادة الرواتب
 والعطايا التي يهبها لهم مجيء حاكم جديد وكان هذا مدعاة للمقامرة والنورات
 لتبديل الحكام ، لأنه مناسبة لكسب جديد . ومنذ ذلك الحين صار من العيب
 أن يحاول الدايات حماية اشخاصهم بحصانة قبطان الباشا الذين كانوا يدفعون
 ثمنه للباب العالي وأصبحت حياتهم تحت رحمة مزاج الجند المقلب والوخشي
 وكان هذا كما يقول دوجرامون تغيراً في الطابع وذلك أنه حتى الآن يفضل
 نوع من الاحترام الديني كان التعيين الذي يسمح للسلطان بحفظ حياة
 أولئك الذين يعتبرون كممثلين لشخصه المقدس ^(١) . ففي الماضي قل باشا
 واحد من بين ٣٠ باشا حكموا من ١٥١٨ - ١٦٥٩ في حين ان كل الأعوان
 قتلوا وكذلك أكثر من نصف الدايات .

وظل الديوان من الناحية النظرية ينتخب الدايات ولكن الأمور كانت
 في الواقع تجري على نحو آخر . فعندما يتأزل الداي بارادته أو حين يموت
 موتاً طبعياً - وهذا نادر - فإن خلفه المعين سلفاً يتخذ الاحتياطات اللازمة
 ويتم التمييز دون معارضة . ولكن عندما يسقط الحاكم بواسطة التمرد
 يعلن المتمردون من يختارونه من بينهم ويصاحب ذلك معارك رهبة . وكان
 السكان يراقبون هذه الأحداث بقلق وخوف وتقف السوارع وتغلق الأبواب
 وتقام المماريس حولها ذلك لأن الجند يستغلون فترة الفوضى هذه فيستثمرون
 في السوارع وينصرفون الى النهب . وعندما يتسلم الداي الجديد الحكم
 يطلق اعوانه في المدينة لتهذه الحالة . وليس هناك شروط ينبغي توافرها
 فيمن ينصب دايًا . وكانت الطائفة تختار الدايات من زعمائها ، في حين
 كان الجند يختارونهم حسب الظروف ، وإن كان أغلب الدايات من كبار

١. موظفي الدولة كالبكوات (وهذا نادر) والأغوات، ومن كانوا يشغلون
وزراء كخوجة الخيل والخزنجي.

وسجل حلول الدايات المنتخبين محل الباشوات الذين كان
السلطان يرسلهم من استبول ضعف الصلات بين الجزائر واستبول وإن
لم يلغها، ذلك أن الدايات لم يتكروا لسيادة السلطان ما دامت السيادة اسمية
لا تقيدهم في التصرف. فقد كان الأمر يقتصر على أن يرسل سفيرا
يلق السلطان انتخابه لهذا المنصب، ويلقى منه فقطان الشرف وفرمانا بتعيينه
باشا. كما كان الدايات يرسلون وفود تهتة لدى تولي سلطان جديد،
والسلطان يقبلون بالأمر الواقع ماداموا لا يملكون القوة اللازمة لفرض
كلمتهم. وعلى أي حال كانت الجزائر تشارك في حروب الدولة العثمانية
فيرسل قوة بحرية إلى شرقي البحر المتوسط تضم إلى الأسطول العثماني
كما حدث في الحرب الروسية التركية سنة ١٧٦٨ - ١٧٧٤، وكما حدث
في معركة نافارين سنة ١٨٢٧، أو تقطع علاقاتها مع اعداء الدولة العثمانية،
كما حدث أثناء حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨. وكانت الجزائر تتلقى
من تركية جنودا انكساريين كان الدايات بحاجة اليهم للمحافظة على سلطتهم
كما كان السلطان يرسلون معونات مالية لتقوية البحرية الجزائرية.

كانت سلطة الداي مطلقة، وإن كانت - نظريا - مقيدة بالديوان، فهو
الذي يبت في مسائل الحرب والصلح، وهو الذي يختار وزراءه بنفسه،
وكانت الوزارة تتألف على النحو التالي: الخزنجي وهو المكلف بالشؤون
الداخلية والمالية، ويسير مباشرة بعد الداي ويخلفه في حال غيابه أو مرضه.
وكيل الخرج ويشرف على البحرية ودور صناعة السفن والمواني
والمحذفين، وكان يحكم وظيفته يتلقى الكثير من الهدايا من القناصل والتجار
وخوجة الخيل وهو بمثابة مدير أملاك الدولة. والبيت المالجي وهو
مسؤول عن تسجيل العقود والمواثيق التي بدون وريث، ولم يكن يسمح

بدفن أي إنسان دون موافقة من المملع بالأغا وهو قائد الجيش. رئيس
الاسلام وهو بمثابة وزير العدل والشؤون الدينية، والباشكاتب وهو بمثابة
أمين عام. ويتألف من هؤلاء مجلس الداي الخاص. وإن كان الدايات
يتجنبون جمعهم، وفي أغلب الأحيان كانوا يتجنبون لقاءهم مفضلين الاتصال
بهم بواسطة ترجمان القصر. ويقع الداي في قصر الجنية، وهو قصر
البناء الحالي وقد اتخذته الحكومة الوطنية بعد الاستقلال مقرا للوزارة
الأوقاف بعض الوقت. وفي سنة ١٨١٦ نقل الداي علي خوجة مقره إلى
قلعة القصبة في أعلى المدينة ليتقي خطر الجند. ويتقاضى الداي مبدئيا راتب
أكبر رتبة في الأوجاق، وله في الوقت نفسه موارد إضافية، كالرسوم التي
يتقاضاها على تعيين الموظفين ولا سيما البكوات، وهدايا القناصل ورؤساء الدول،
وكان له حصة من اسلاب القراصنة، ويحصل على مزايا من بعض الأعمال
التي كان يسهم فيها. وكانت ثروة الداي تؤول بعد مقتله إلى خزينة الدولة.

وبالرغم مما كان الداي يتمتع به من قوة وسلطة فإنه كان يعيش في
ظل خطر الموت من جراء قيام فتنة عسكرية، ويخضع في حياته لبروتوكول
خاص. فقد كان منذ انتخابه ينفصل عن أهله، ويحظر عليه أن يحيا حياة
عائلية في منزله الخاص سوى ليلة واحدة في الأسبوع. ولأن حياة الدايات
كانت على الدوام عرضة للخطر كانوا يتصفون بالشك والحذر والقسوة مع
خصومهم ومنافسيهم أو مع من كانوا يتوجسون منهم شرا. وقد وصف
الكاتب الأسباني جوان كائو الداي أنه «... رجل غني ولكنه ليس سيد
خزنته، أب يبدل اطفال، زوج بدون امرأة، طاغية بدون حرية، ملك
العبيد، عبد أتباعه...».

إدارة الجزائر:

كانت الجزائر مقسمة إلى أربع بلكيات (ولايات) وعلى
رأس كل بلكية باي يعينه الداي، وغالبا ما كان اختباره يقع

على من يدفع أكثر . وكانت مهمة الباي الأساسية حيازة الضرائب ويضد في ذلك على جند من الأوجاق ومن قبائل المخزن . وبالرغم من أن البايات كانوا حكاما مطلقين في بيلاياتهم ، إلا أنهم كانوا تحت رقابة الداي الدائمة . وكانوا عرضة للعزل أو اقتل عند ظهور أول بادرة طموح . وكان عليهم أن يدفعوا كل عام مبلغا كبيرا من المال يحدد في مدينة الجزائر . وكانت هذه الأموال تدفع على عدة دفعات أو يدفعها الباي بواسطة وكيله الذي يحضر إلى الجزائر مرتين في العام - في الربيع والخريف - أو بواسطة موظف آخر اسمه وكيل السباهية ، كان عليه أن يحضر إلى الجزائر كل شهر أو شهرين أو ثلاثة أشهر . وكان على الباي أن يحضر بنفسه إلى العاصمة في الربيع الذي يلي تعيينه ، ثم مرة كل ثلاثة أعوام . وكان الغرض من ذلك أن يمارس الداي على البايات رقابة مستمرة ودقيقة . وكان حضور الباي إلى العاصمة مغامرة خطيرة فقد كان عليه أن يدفع مبلغا كبيرا من المال أو أن يتخلى عن وظيفته أو عن حياته أحيانا . وبين ١٧٩٠ - ١٨٢٥ عزل ٨ بكوات واعدت ستة عشر .

أما بيلايات الجزائر ، فهي :

١ - الجزائر وكانت تسمى دار السلطان ، وتشمل مدينة الجزائر وضواحيها وسهل التيجة ، وترتبط بالداي مباشرة ويديرها بواسطة آغا السباهية (أو الصباحية كما يسميهم ابن أبي الضياف) ، وترك لمدينة الجزائر تنظيم خاص تحت رقابة الخزنجي . وكان لكل مجموعة عرقية ، ما عدا أهل بلاد القبائل ، ولكن مهنة رئيس « أمين » يشرف على مجموعة ، ويتبع هؤلاء الأمراء عمدة المدينة (شيخ البلد) .

٢ - بيلكية الغرب وقد تبدلت عاصمتها أكثر من مرة ، فقلقت من مازونة إلى معسكر سنة ١٧١٠ ثم إلى وهران سنة ١٧٩٢ بعد تحريرها من الأسبان وكانت تمتد حتى حدود المغرب .

٣ - بيلكية الشرق ومقرها فسطاطة وتمتد حتى حدود تونس .

٤ - بيلكية تطري وكانت أصغر البيلايات ، ومقرها المديية . وكان حاكمها أقل استقلالاً وأكثر خطراً من بايات وهران وفسطاطة بسبب قربها من العاصمة . وكان الداي يرافق باي تطري عن كثب . ولاصغر هذا الباي وتقليل خطره سحبت منه إدارة مدينة المديية وأوكل أمرها إلى رئيس عينه الأغا . مما أوجد تعقيدا في إدارة هذه البيلاية .

وتقسم البيلاية إلى عدة أوطان ، تشمل بصورة عامة عدة قبائل أو دواير (جمع دوار) على رأسها قواد يعينهم البك ، وكان معظمهم من الأتراك ويزودون بسلطات مدنية وعسكرية وقضائية . وكان القائد بدوره يعين الشيوخ المكلفين بإدارة القبيلة أو أحد بطونها أو الدواير . ويختارهم بصورة عامة من أعوان القبيلة . ويرافق هذه التعيينات هدايا يحددها العرف بصورة عامة . وكان طبعاً أن يسترد من اشترى وظيفته ما دفع من جيوب الفلاحين . ويصدق في بعض المناطق أن يكون الوطن من قبيلة قوية واحدة وفي هذه الحالة يمنح الباي إدارتها لواحد من المتنافسين يتأكد من ولائهم .

لا يمكن أن تكون سلطة الأتراك تشمل في الواقع كل القبائل في الجزائر . فهناك قبائل قوية ، أو اتحاد قبائل ، على رأسها أسر متنفذة بقيت تحتفظ بقدر كبير من الاستقلال الذاتي . وهناك مجموعات قبيلة يحكمها بعدها في الأجياد أو في مناطق الجنوب أو في الجبال الوعرة كانت في أغلب الأحيان مستقلة . كما كان هناك اتحادات قبيلة على أساس ديني كأولاد سيدي الشيخ . وبصورة عامة لم تكن السلطة التركية الفعلية تشمل سوى ١/٢ الجزائر . في حين ظلت سلطتهم في مناطق القبائل رجراجة . وكما بقي الأتراك خطر هذه القبائل كانوا يتبعون معها سياسة فرق تسد فيثيرون المناقشات بينها . واصطنع الأتراك بعض القبائل عرفت باسم قبائل المخزن ، اعتموها من الضرائب واطلقوا يدها في اضطهاد أو (أكل قبائل الرعي) ، كما أقاموا على

غرق المواصلات مستمرات عسكرية (زمالة جمع زمول) وأحاطوا جبال
القبائل الخطيرة بجرام من المراكز العسكرية ، واستخدموا تدابير اقتصادية
فعلية ضد القبائل التي لا تطاعها السلطة . ومن حسن حظ الأتراك أن المناطق
غير الخاضعة (جبال القبائل والجنوب) كانت مناطق لا تستطيع العيش في
انقطاع مطلق ، فقد كانت بلاد القبائل كثيفة السكان وعليها - لتحصل على
الجنوب اللازمة - أن تبادل فائض إنتاجها من الزيت والتين وبعض مصنوعات
المحلية . وكان عدد من أبناء هذه المناطق يضطر للهجرة والعمل في الحقول
والساقين ، أو كجنود في خدمة البيليكية . وقد اشتهر من هؤلاء الجنود
أتراك قبيلة زواوة .

كانت أوضاع قبائل الجنوب الاقتصادية متشابهة ، ولهذا كان لابد لها
من ارتداد الأسواق التي كان الأتراك يخضعونها لأشراف دقيق . وكان
الأتراك يستغلون هذه الأوضاع للضغط على هذه القبائل وانزال العقاب بها
أو إجبارها على دفع الضرائب . وعندما تسوء علاقات الأتراك مع قبيلة ما كانوا
يمقلون أبناءها الموجودين في الأسواق ولا يطلقون سراحيهم إلا بعد تسوية
الخلاف . وعندما يطبق الحصار الاقتصادي إزاء قبيلة يمنع التعامل معها تحت
طائلة افسى العقوبات . ففي سنة ١٨٢٥ باعت إحدى القبائل في بيلكية تطرى
جوبا لأولاد نايل مباشرة دون علم السلطان فوقبت عقابا قاسيا (١) . وسعى
الأتراك إلى كسب عدد من الأعيان المتنفذين إلى جانبهم فأطلقوا لهم العنان
في استقلال الملاحين مقابل ولاء اسمي ومبلغ من المال وتوطيد النظام .

وحاول الأتراك كسب العناصر الدينية التي كانت ذات نفوذ كبير ،
فقد قبل أن أكثر من ثلثي الجزائري كان تحت إشراف المرابطين المباشرين (٢) .

(1) P. Boyer : l'evolution de l'Algerie Mediane P. 52

(2) P. Boyer : Contribution à l'étude de la politique religieuse des
turcs dans la regence d'Alger (XVI - XIX siecles).
Revue de l'Occident Musulman et de la Mediterranée
P. 16

وقد طرأت على علاقات الأتراك بهذه العناصر المتنفذة عدة تبدلات نتيجة
عوامل خارجية وداخلية فقد بدأ التعاون التركي مع المرابطين منذ عام عروج
وخير الدين المدين كانا يتمتعان ب ثقة المرابطين لأتهما كانا يسلان أبطال الجهاد
بسبب هجماتهم على السفن المسيحية ومخاطراتهم في نقل المسلمين من ليبيا
إلى شمال أفريقية . وقد ساعد تأييد المرابطين على توطيد مركز عروج وخير
الدين وتوغلهم في الداخل وإن كان هذا التوغل قد سبب ردود فعل لدى
بعض المرابطين المتنفذين في الداخل . وقد حرص خلفاء خير الدين على
كسب هذه العناصر الدينية عن طريق إعفاءات ضريبية وهدايا تقدم لهم في
المناسبات الدينية ، وعن طريق الجبوس ، ومنح الزوايا والأضرحة حرمة
خاصة وحظر ملاحقة اللاجئين إليها ، ومنح عدد كبير من المرابطين نصيباً
من غنائم القرصنة (١) . ولاشك أن هذه السياسة كانت لاستغلال مركز
هؤلاء المرابطين لصالح الحكم التركي وليس بدافع احترام مركزهم الديني ،
أذ يجب ألا ننسى أن الانكشارية كانوا هم أنفسهم يتمتعون إلى طريقة خاصة
بهم وهي البكتاشية ، كما أن الكثير من رجال الطائفة المتنفذين كانوا من
المرتدين الذين لا يقيمون كبير وزن للاعتبارات الدينية . ولهذا كانت
الحكومة تبطش بالمرابطين الذين يحاولون التدخل في شؤونها ،
وكان الأتراك يستغلون الخلافات بين المرابطين والطرق الصوفية .

وبصورة عامة كان المرابطون في الأرياف يلعبون دور وسيط الخير
بين الأتراك بوصفهم حماة الاسلام ، وبين القبائل نصف المستقلة . ولكن
الصلات بدأت تتراخي لتتحول بصورة تدريجية إلى حالة عداوة ولعل السبب
الاهم في ذلك هو التطور الذي حدث في سياسة الأتراك الداخلية في القرن الثامن
عشر . فحتى ذلك الوقت كانت نيابة الجزائر تعتمد بصورة رئيسية على
موارد القرصنة ، وبالرغم من أهمية الضرائب كمورد هام إلا أن حملات

(١) المصدر السابق : ص ٢٨

أحياء لم تكن لتأخذ الطابع الواسع والوحشي الذي بدأت تأخذه في هذا القرن . ويعود السبب في ذلك إلى انحطاط الحرية الجزائرية وتضاؤل وارد القرصنة ، مما دفع النجاة إلى زيادة الاعتماد على الموارد الضرائبية . فأخذت قبضة المماليك في الداخل في منتصف القرن الثامن عشر ، وسعوا إلى إخضاع المزيد من القبائل (١) . وقد أدت هذه السياسة إلى وضع المرابطين في موقف حرج ، وسرعان ما تحولوا من وسطاء خير إلى مدافعين عن السكان ثم إلى صرغين للثورات التي بدأت بصورة خطيرة منذ بداية القرن التاسع عشر في شمال قسنطينة وغربي بيلكية الجزائر وفي جميع أنحاء بيلكية وهران .

كانت بيلكية وهران أخطر المناطق لقوة نفوذ المرابطين والطرق فيها . ونكمن هذه الخطورة في أن زعامة الطرق في هذه المنطقة كانت من أصل شريفي مما يجعلها تتأثر بالأسرة الحاكمة في المغرب ، كما كان مركز زعامة هذه الطرق كالدرقاوية والتيجانية والطيسية في المغرب وليس في الجزائر . وكان هذا يعتبر تهديداً خطيراً بسبب العلاقات العدائية بين المغرب والجزائر ، وبسبب الصلات القبلية والاقتصادية بين سكان هذه البيلكية وسكان المغرب . وكان مما يخفف من هذا الخطر حتى أواخر القرن الثامن عشر وجود الأسبان في وهران ، الذي أعطى الوجود التركي طابعاً دينياً ، وجعله ضرورة سياسية ، واضطراب الأحوال الداخلية في المغرب وعجزه عن استئصال هذا الوضع الملائم في بيلكية وهران . ولكن استرداد الأتراك وهران ، وسياسة الأتراك الضرائبية ، حول الموقف في هذه البيلكية إلى وضع المجاهدة بين الأتراك والمرابطين .

كانت الدرقاوية والتيجانية أقوى الطرق في الجزائر . وكان مركز الدرقاوية الرئيسي في الوردنس وجنوب تطري ، ولها أتباع في غربي

الجزائر ، وعلاقات بسطان المغرب . وكان شيخ الطريقة شرفي بن أبي الدرقاويون مقاومة عنيفة للأتراك حتى صار تبع « عاسي » والذي تبع « درقاوي » (١) . وفي بداية القرن التاسع عشر أنشأت الدرقاوية ثورة خطيرة في منطقتي قسنطينة وهران . بدأت الثورة سنة ١٨٠٤ في بيلكية قسنطينة بزعملة أحد زعماء الدرقاوية محمد بن عبد الله بن الحرش ، وهو من أصل مغربي اشترك في محاربة الفرنسيين في مصر أثناء عودته من الحج ، ثم غادر مصر إلى غابة على سفينة انكليزية واستقر في جيجل حيث نجح في كسب انصار كثيرين . وهناك من يعتبر حركة الحرش رداً مغريباً على الصعوبات التي أثارها اتباع الطريقة الخلوتية بتخريض من الجزائر ، ويرى آخرون أن حركة الحرش قامت بتخريض من الانكليز الذين كانوا يريدون خلق المتاعب أمام الداي مصطفى الذي كان يتبع سياسة مشايعة لفرنسة ، في حين كان البعض الآخر يعتبرها انفجاراً عنيفاً لاستياء عام شجعه المرابطون الذين لعبوا دوراً بارزاً في قيادة العمليات (٢) .

نجح ابن الحرش في إثارة القبائل في بيلكية قسنطينة ، وحاول عبثاً الاستيلاء على المدينة . واتسع نطاق الثورة واستمرت حتى سنة ١٨٠٧ حيث نجح الأتراك في القضاء عليها بمساعدة آل المقراني (٣) . وقم اتباع الدرقاوية بثورة أخرى في بيلكية وهران بسبب تشدد باي وهران معهم وقتله عدداً منهم . وقد تزعم الثورة مقدم الدرقاوية أبو محمد عبد القادر بن الشريف الفلتي . ونجح الثوار في الاستيلاء على المدن الداخلية بما فيها تلمسان عدا المشور ، كما حاصروا وهران . طلب الباي تدخل سلطان المغرب مولاي سليمان لدى شيخ الطريقة مولاي العربي الدرقاوي المقيم في المغرب ليقوم بتهدئة أتباعه . ولكن شيخ الدرقاوية بعد أن زار تلمسان وسمع شكواي

(١) P. Boyer : l'evolution de l'Algerie Mediane P. 58

(٢) P. Boyer : Revue de l'Occident Musulman et de la Mediterranée 1966 P. 42

(٣) De Grammont : P. 365

اتبعه أيد موفقيهم ، ويدعو أنه دعاهم الى مبايعة سلطان المغرب . وفي بادى الأمر ، وفي رسالة له الى شيخ الدرقاوية في ايلول سنة ١٨٠٥ ، لم يرفض مولاي سليمان البيعة ولكنه ترك قراره النهائي الى حين عودة الشيخ الدرقاوي الى المغرب ليعرف رأيه ويعمل بموجب مشورته . وفي رسالة ثانية تسمى الثانية سنة ١٨٠٥ أعلن مولاي سليمان أنه قد يحضر بنفسه الى تلمسان بعد انتهاء فصل الشتاء (١) . واثناء ذلك أرسل أهل تلمسان وفداً الى السلطان ، ولكن السلطان المغربي لم يكن في وضع يسمح له بالدخول في حرب مع الأتراك ، فآثر التخلي عن مشروعه ، ونصح الشيخ الدرقاوي بصرف النظر عنه . واضطر الشيخ الدرقاوي الى التصل من موقف تابعه مقدم تلمسان . ونجح الأتراك في سحق هذه الثورة بعد جهد كبير . وكانت منطقة تلمسان قد أصيبت باضرار كبيرة ، وهجر قسم كبير من أهلها الجزائر الى المغرب ، وحين طلب باي وهران من مولاي سليمان اعادتهم رفضوا العودة محين « ... نذهب الى بلاد النصارى ولا نجور الترك فنجمع علينا الجوع والقتل ... » (٢) .

كذلك وقف التيجانية التي كان مركزها في « عين ماضي » ضد الأتراك ، وقد ناروا بعد انتهاء ثورة الدرقاوية بزعامه محمد الكبير الابن البكر للشيخ احمد التيجاني مؤسس التيجانية الذي هجر الجزائر الى المغرب بسبب ضغط الأتراك عليه ، وقيل إن الثورة حظيت بتأييد مولاي عبد الرحمن سلطان المغرب . وشغل باي وهران وتطرى في الاستيلاء على مقر التيجانية في عين ماضي ، كما فشل التيجانيون في الاستيلاء على مصكر سنة ١٨٢٧ ، وفي ذلك الوقت بدأت الأزمة مع فرنسا ، وتوجه نشاط التيجانية بعد هذا الفشل نحو الصحراء والسودان .

(١) G. Drague : Esquisse d'Histoire Religieuse du Maroc P. 353 - 354

(٢) الناصري : الاستقصا ج ٨ ص ١١٠ - ١١١ .

الجيش :

تتمدد الادارة العثمانية في الجزائر على قوة أساسية من الجند التركي تولى (الأوجاق) . وقد وجدت نواة هذه القوة سنة ١٥١٨ عندما أرسل السلطان (٢٠٠٠) انكشاري الى خير الدين ، وسمح له أن يجمع متطوعين آخرين على أن يمنحهم السلطان امتيازات الانكشارية . فبلغ عدد الجميع (٤٠٠٠) . وفي سنة ١٥٥٦ أرسل السلطان سليمان ٤٠ سفينة عليها (٦٠٠٠) جندي الى صالح ريس لیساعده في الاستيلاء على وهران والمرسى الكبير . او منذ ذلك الوقت كانت الهجرة أو التجنيد الطوعي من مختلف أنحاء الامبراطورية العثمانية هي التي تغذي الأوجاق الذي كان تبعاً لذلك يتجدد على الدوام . ويشير كتاب القرن الثامن عشر الى أن الجزائر ونونس كانتا على الدوام تأخذان حاجتهما من الجنود من الامبراطورية العثمانية . ولكن هذه الكتابات لا توضح المناطق التي كان يتم فيها التجنيد ، أو الهيئات التي تشرف على هذه العملية ، ودور الحكومة العثمانية فيها . ولكن دراسات مارسيل كولومب في السجلات التركية الجزائرية (١) دللت أن عملية التجنيد كانت تجري في كل أنحاء الامبراطورية العثمانية الأوربية والآسيوية من شواطئ ايجة حتى جبال ارمينية ، ومن جبال كيليكية حتى شواطئ البحر الأسود . وما من مدينة لها شيء من الأهمية الا وهي ممثلة في الأوجاق ، ولكن الأناضول كان أكبر مصدر للجنود الى الجزائر وتجري عملية التجنيد على يد بعثات جزائرية مؤلفة من عناصر من الأوجاق تروى المدن التركية وتقوم بالدعاية اللازمة مسنة المزايا والمزايا الوفيرة التي سيحظى بها المجندون في الجزائر . ويشير فانتورا دي باراديس الى أن المشرفين على هذه

(١) بالرغم من أن هذه السجلات الخاصة بالأوجاق تتناول فقط مرحلة متأخرة من ١٧٨٦ الى

١٨٢٤ فهي تسهم في الفاء ايضاحات تتم ما جاء في كتابات السواح حول هذا الموضوع .

M. Colombe : Initiation a Alger et Revue Africaine 1943

P. 160 - 183

العملية كانوا يرسمون لوحة رائعة المصير الذي سطر هؤلاء الجنود في الجزائر ، أو المراجع التي لا حصر لها التي ستردها عليهم القرصنة ضد المسيحيين ، والامتيازات والثروات المرتبطة بالمناصب البارزة التي سبأها هؤلاء المحدثون . وكانت هذه البعثات تدفع بعض المال لهؤلاء المجندين وتقوم بغنائمهم حتى وقت الأبحر . ويذكر الأنكليزي شو الذي غادر الجزائر سنة ١٧٣٢ أن الجزائريين كانوا يرسلون كل خمس أو ست سنوات سفرا إلى المشرق لجلب الجنود . وبالإضافة إلى هذه البعثات كان للجزائر وكلاء دائمون يقيمون في المدن والموانئ والجزر الخاضعة للدولة للقيام بهذه المهمة .

ولم تكن السلطات العثمانية بعيدة عن هذه العملية ، فقد كان على الجزائريين أن يرضوا السلطات التركية العليا أو المحلية ، ولا سيما فطان باشا ، وهو المسؤول عن شؤون الجزائر في الحكومة العثمانية . وكان على الجزائريين أن يقدموا الهدايا له ولأعوانه من مختلف الرتب . وقبل ذلك كانت السلطات العثمانية لا تكتفي فقط بالسماح بالتجنيد وتسهيل أو تأييد الدعاية الجزائرية له ، بل تقوم بدور فعال في هذا المضمار . فقد كان موظفون عثمانيون كبار بينهم حكام المدن يقومون بهذه المهمة لحساب الجزائريين (١) .

وكانت حاجة الجزائر إلى هؤلاء الجنود ، وموافقة السلطات العثمانية ومساعدتها الضرورية لتنفيذ هذه العملية ، تؤثر في العلاقات العثمانية الجزائرية . فهي من العوامل التي منعت الجزائر أن تقطع نهائيا كل الجسور التي تصلها بالسلطة ، كما كانت السلطة تستغل هذه الحاجة كأداة لتضغط على الجزائر .

(1) M. Colombe : Initiation A Alger et Revue Africaine 1943
P. 160 - 183

تشير كتابات السواح الأجانب إلى أن هؤلاء الجنود كانوا يؤخذون من أخط الطبقات الاجتماعية . يصلهم الأب هايدو أنهم « ... أولاد أولاد واراذل ... » . ويصفهم الأب نان في كتابته تاريخ بربريا وقرائنتهم « ... رعاة فقراء أو أناس من هذا القبيل ... » . ويصفهم لوجيه دي تاس في كتابه تاريخ مملكة الجزائر « ... أنهم من الأشقياء والمحكوم عليهم بأحكام فاسية ... » . ويصفهم الأنكليزي شو أنهم اشقياء أو رعاة ، ويصفهم رينال أنهم قطاع طرق يجمعون من سوارع ازير واستبول . ويسدو أن في أقوال هؤلاء شيء كبير من الحقيقة لأن الفقراء وحدهم كانت تغربهم دعاية الجزائر عن الرءاء الذي يتظلمون في الجزائر . ويذكر هايدو أن هذه العناصر كانت تتوافد كل عام على الجزائر مدفوعة بأحلام الأثراء السريع ، على نحو هجرة الأسبانيين إلى جزر الهند . كما أن حكام الولايات والمدن العثمانية عندما كانوا يقومون بهذه المهمة لحساب الجزائريين كان من مصلحتهم أن يبعثوا العناصر المشاغبة والأشقياء بارسالهم إلى الجزائر . وكانت السفن الجزائرية تتولى نقل هؤلاء الجنود ، وليس هناك وقت محدد لمجيء السفن ، بل كان هذا يحدث صدفة أو عند الحاجة : عندما تقوم هذه السفن بعمليات قرصنة في سرفي المتوسط ، أو عندما كانت تأتي إلى المنطقة للاستشارك في عمليات مع الأسطول العثماني ، أو عندما تكون قادمة للتجارة فتعود محملة بالجنود . وأحيانا كانت بعض السفن الأوربية تقوم بهذه المهمة .

ويشير مارسل كولومب إلى أن عدد المجندين التطوعين كان كبيرا طيلة فترة ازدهار القرصنة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ومنذ أوائل القرن الثامن عشر ، عندما تضاءلت مزايا القرصنة ، قل عدد المجندين التطوعين . فاضطرت الجزائر إلى مضاعفة دعايتها واحتاجت أكثر إلى الاعتماد على مساعدة السلطات العثمانية ، ولهذا بدأ إرسال البعثات الجزائرية

بوساطة رؤسائها الذين كانوا يؤلفون المدبولان ، المشي أم بعد بعض مائة
المدافع عن مصالح الجند ، ومساعدة الحاكم في تنفيذ شؤون السباه ، إلى
أصبح بؤرة للثأر على السلطة فاقبلت بذلك إلى أداة للقوى أضمتها الحكومة
والجيش معا . وفي لعبة السلطة هذه كانت مناصب الولاة ورؤساء الجند
أنفسهم ، وأحيانا حياتهم عرضة للخطر . وكثيرا ما كان الجند يقسمون
إلى فريقين يؤيد كل منهما زعيما يبدأ الصدام والمعارضة والويل للمطلوب .
وخلال هذا الصراع كانت مصالح السكان وأرواحهم عرضة لشتى أنواع
الاعتداءات . وفي الأحوال الاعيادية كانت روح التضامن والتعاون تقوى
بين الجند ولا سيما حين تبدو مصالحهم عرضة للخطر : من الوالي أو
المدبولان ، أو من القوة المنافسة لهم أي رجال البحر .

وكان مقتل تركي واحد - أيا كانت الظروف - دافعا لحدوث مجزرة .
فإذا لم يشر على القتال كانت السلطة تطبق المسؤولية الجماعية .

ولم تكن الإقامة في التكتلات لكل الجند ، فالتروجون منهم يعيشون
في بيوتهم ، وكان الكثيرون منهم يتروجون من الأهالي . وكان هذا سهلا
لأن الأهالي كانوا يلتمسون من وراء هذه المصاهرة الحماية الفعالة .

وفي الأحوال المادية كان عدد من الجند يحارس مهنا مختلفة ولا سيما
التجارة ، ويستخدمون ثرواتهم في بناء بيوت جميلة في المدينة وفي الريف
يعمل فيها عبد وفلاحون . ويبدو أن الأمور قد استقرت على نحو ما في
منتصف القرن الثامن عشر ~~فقد~~ استمر حكم الداي عثمان من سنة ١٧٦٦
إلى سنة ١٧٩١ ، ويشير مؤلف جزائري عاش في منتصف القرن الثامن عشر
إلى أن الانكشارية كانوا في عصره في غاية الهدوء ، يعيشون حياة وادعة
بعورة لم يعرفوها من قبل ^(١) . ويفسر مارسيل كولومب هذا الهدوء
والاستقرار بأن الأوجاق فقد حيويته القديمة وافقدته الحروب المستمرة

(١) Delpin : J. A. 1922

واقم وكلاء جزائريون للأمراف على عمليات التجنيد والمعاينة . ومن هنا
أيضا زادت أهمية المدور الذي تلميه السلطات المشامية في هذه العملية .

وكان بعض هؤلاء الجند يوردون إلى بلادهم الأصلية ، وبعضهم
يتخطفه الموت ، فيموتون بمناصر جديدة . لذلك لم يكن عدد هذه القوات
ثابتا ويراوح بين ٦٠٠٠ - ٢٢٠٠٠ ، ويخضع تنظيمها إلى قواعد مشابهة
للتبنيات العسكرية العثمانية ، فيتجمعون في الأوجاق ويوزعون إلى عدة
أوطان . وهم التقدم في المراتب العسكرية على مبدأ المساواة والأقدمية .
من مرتبة التجندي المادي (يولدائن) حتى مرتبة الأغسا ذو القسرين
Iklay Agasi ، أي الذي يحقق برقيته شهرين فقط ، وبعد انقضاء شهرين
يتخطى الأغا عن منصبه ليصبح أغا شرفي (منصور أغا أو معزول أغا) يقود
فرقة السباهية (الخيالة) . (ويبدو أن الأقوات الحكام ، في عهد الأغوات ،
كانوا من هؤلاء . وهذا وحده يفسر وجود في أغوات في هذا العهد الذي
امتد حوالي ١٣ عاما) . وسرعان ما سلك الأوجاق الجزائري المسلم العنيف
والغرضوي نفسه الذي سلكه انكشاريو الجزائر ، وقالفت منهم استقرارا طيلة
عسكرية وإدارية تتمتع بامتيازات واسعة واعفاءات ضرائبية ، حيث كانوا
يحصلون على المواد الغذائية والحاجيات الضرورية بأسعار مخفضة بالنسبة
لباقى عناصر السكان . وكانت الوظائف الادارية العالية تقتصر عليهم في
أغلب الأحيان ، ويختار لها - عادة - أقلهم جهلا ، ممن تتوفر لديهم القابلية
للوطنية الادارية . فيمرون بحركة تعليم ويقضون قبل ان يعينوا بصفة
نهائية فترة تمرين في مكان داخل البلاد أو في إحدى الفرق المرسله لحماية
الضرائب .

وكما هو الأمر في كل أنحاء السلطنة ، لم تقتصر هذه القوة على دورها
العسكري في الدفاع عن البلاد والمحافظة على الأمن ، بل أخذت تتدخل
بعورة متزايدة ومكثوفة في سياسة البلاد وفي ادارتها وفي حياة السكان

التأمر على سلفه ودعا القبول على التسليم والاتفاق حول له واعلى لأكثر الزمان على أن يكون السيد وأنه سيحسن معاملة المسلمين وتترك الآخرين حرية أنه يريد أن يكون السيد وأنه سيحسن معاملة المسلمين وتترك الآخرين حرية محاولة بعض الجند الثورة ولكن حرس الداي سحقهم وهرب الآخرون إلى شرقي الجزائر حيث تحصنوا ورفضوا نحو الجزائر . أرسل الداي علي رساله إلى القبائل يدعوها لتطوع طريق (مسر البيضاء) على الثوار . ولكن انوار كانوا قد اجتازوا المسر ووصلوا إلى أبواب الجزائر مطالبين برأس الداي . كان الداي قد اتخذ كل الاحتياطات اللازمة فيها قوة من القبول على بقيادة ضباط أتراك من اعوانه ونجحت قوات الداي في سحق الثورة وفقد الثوار ١٢٠٠ جندي و ١٥٠ زعيماً . وطلب الباقون الأمان ومنح لهم فضل الثوار .

وتوقف منذ ذلك الوقت مجيء الجند من آسية الصغرى ، ووضح قضاة السلطان محمود على الاكتسارية حداً نهائياً لذلك . وقد حاول الداي حسين حين بدأت الأزمة مع فرنسا أن يحصل على موافقة السلطان على استئناف عملية التجنيد في آسية الصغرى لحساب الجزائر . وبالرغم من موافقة السلطات العثمانية على طلب الداي فإن حصار الفرنسيين للجزائر سنة ١٨٢٧ حال دون ذلك^(٢) .

وبسبب قلة عدد افراد هذه القوة وروح التمرد المتفشية في صفوفها ، كان لابد من الاعتماد على عناصر أخرى من الجند . وقد سعى خير الدين إلى خلق قوة جديدة إلى جانب الأوجاق فكون فرقة من الحرس من (٥٠٠) من العلوج ، وجند قوات محتلة من يونان والبان ومن رجال القبائل بلغ عددها (٨) آلاف جندي ، أوكل قيادتها إلى قباطة من رجاله القدامى

(1) De Grammont : P. 381 - 382

(2) Revue Africaine 1952 P. 189 - 194

عدداً من افراد لم يعد من السير توفيق . ذلك أن عملية التجنيد كان الأقبول لم تعد مجدية ، ولا تأتي إلا بعدد يسير ، ولقد هذا المنقص كان لابد من الاعتماد على جند من الأهالي ، وسيؤدي هذا - في حال تزايدهم - إلى تغيير شكل الدولة التقليدي ، ولو واجهه هذا الخطر الذي نجحوا حتى الآن في إبعاده بقلوبهم وهدأوا^(١) . وكان في صفوف الجند فريق من المعادين ضد فريق الشغب ولا سيما في الحالات التي يتحول فيها الشغب إلى محاولة لتهيب المدينة اتباعاً لبعض الجند إلى المال كما حدث سنة ١٨٠٨^(٢) . وقد أدى اشتراك الجند في المؤامرات السياسية وفي شؤون الحياة المعادية التي كانت تبذلهم عن حياة الجندية إلى ضعف الروح العسكرية لديهم .

وبدا تجنيد الاكتسارية يلقى منذ أوائل القرن التاسع عشر صعوبات وقل عدد الأوجاق ، فقد دل الإحصاء الذي قام به الداي محمد الخرجي سنة ١٨١٥ - هذا الإحصاء الذي كلف الداي حياته - أن عدد الأوجاق يقتصر على ٧٠٠ عاجزين عن القيام بأية خدمة . وفي عهد الداي عمر ، الذي كان على صلة وثيقة بالسلطان ، وصل إلى الجسائر (١٢٩٠) جندياً اكتسارياً خلال عامين لا وقد اشار الداي عمر إلى الشاغب التي كانت الخرجية تعانيها لدفع مرتباتهم^(٣) . وتعرض الأوجاق للكارثة عند فواته وجعلته شبه مشلول ففي سنة ١٨١٧ قل الجند الداي عمر ونادوا علي خروجاً خفياً له . كان الداي الجديد يقصر التحرك من ير الجند والداخلين من هذه الفرق غير الانضباطية فقاد قصر الجنية واستقر في اقصية التي عمل على تسليمها ونقل إليها الخرجية واوكل حراسها إلى ٢٠٠ من جند القبائل واعدم عدداً من زعماء الجند الذين اشتركوا في

(1) M. Colombe : Initiation à Alger P. 112

(2) De Grammont : P. 371

(3) Revue de l'Occident Musulman 1968 P. 115

سرعة إلى الإدارة الفرنسية التي أفادت منهم في تصفية ارت الحكومة الجزائرية الذي لم يكن واضحا

طائفة الرقساء :

وهم رجال البحر الذين كانوا طليعة التدخل الفرنسي في الجزائر ولعبوا دورا حاسما في خلق التباينات العنصرية في شمال افريقية . و يطلق على نشاط رجال البحر وصف القرصنة ، و يطلق عليهم اسم القرصنة . و سيطر الكثير من المورجين الثريين الأضواء على فرصة شمال افريقية ولا سيما الجزائر ، ليس لأن قرصنة الجزائر كانوا أنشط وأبرع القرصنة فحسب ، بل لأن نشاطهم كان موجها ضد السفن الأوروبية وسيبوا الكثير من المتاع الأوروبية التوسيطية ، و قتلوا معهم الكثير من الأسرى إلى موالي شمال افريقية ، ولأن موضوع افكناك الأسرى الأوربيين كان شاغل الكثير من المؤسسات الدينية والديبلوماسية ، وما كان يسمى لدى هؤلاء الكتاب والمؤرخين ، قرصنة في شمال افريقية ، كان يسمى بطولاة وحربا مقدسية بالنسبة لفرسان القديس يوحنا ، و فرسان سانت اتيان المتعركين في بيزا برعاية كوزمو دو مديشي . و كما يقول برونل كان هناك أكثر من جزائر مسيحية : كمالطة وبيزا وليفورن^(١) . و كما كانت الجزائر تعج بالأسرى المسيحيين والسفن الجزائرية تعج بالمجذفين من هؤلاء الأسرى ، كان الأمر نفسه في موالي القرصنة المسيحية وعلى سفنها . و قد عثر نابوليون لدى احتلاله مالطة سنة ١٧٩٨ في طريقها إلى مصر على عدد من الأسرى المسلمين لدى فرسان القديس يوحنا .

ولا يمكن فهم دور القرصنة الجزائرية بدون اللقاء ضوء على تاريخ القرصنة وعلى تطور أهدافها ، وعلاقتها بدول البحر المتوسط .

(1) F. Braudel : P. 694

المورجين . وتابع خلفاء خير الدين سياسة الاعتماد على قوات اضافية ، من البربرية أو من عناصر محلية ، لاستخدامها خارج المدن الرئيسية . و قد انفتحت هذه السياسة في بادئ الأمر معارضة ومقاومة من الأوجاق ، استند صدامها إلى استبول ، إذ رأوا الدولة فيها بدور محاولة انفصالية . ولكن الغزوات المحلية ومتاع الدولة ، وضعف البحرية و رقابة الأوجاق ، كل ذلك سيجر بالضرورة هذه السياسة .

سهم ونبأت السلطات الجزائرية إلى استخدام بعض القبائل التي عرفت باسم قبائل المخزن في اخضاع القبائل الأخرى « قبائل الرعية » مقابل اعفاءات خيرية وبعض الامتيازات . ومن أشهر قبائل المخزن قبيلة الزواوة . و قد أطلق الفرنسيون فيما بعد على الفرق الجزائرية التي استخدموها اسم « الزواف » المشتق من اسم هذه القبيلة .

٢٤ ومن بين الفرق العسكرية الشهيرة في الجزائر القولوغلي^(١) ، وهم المولدون من ذواج الانكسارية بنساء من الأهالي ، ولم يكن يسمح لهم بدخول صفوف الأوجاق ويستخدمون في القلاع العسكرية تحت قيادة ضباط أتراك ، ويخرون الاعراضات والمشاكل بسبب حرمانهم من امتيازات الأوجاق . و قد قالوا بعدة ثورات . وصدر قرار بنفيهم من مدينة الجزائر إثر قيامهم بحركة تورد في النصف الأول من القرن السابع عشر . إلا أنهم دخلوا موحدا في صفوف الأوجاق عندما ضمت حركة التجديد من أراضي السلطة . و كان القولوغلي يستخدمون بكثرة في الوظائف المساعدة ووصل بعضهم إلى مراتب عالية كوظيفة المفتي والباي . وبفضل معرفتهم التركية كانوا واسطة اتصال بين الحكومة والأهالي . وبالرغم من ارتباط القولوغلي بالأهالي فقد كانوا يعتبرون أنفسهم في مرتبة أعلى و يحقرون الأهالي ويتناولون عليهم ، فكرهم الأهالي . و قد انضم القولوغلي سنة ١٨٣٠

(١) وسميت أصبا في غلي وطلالة وطلالة وص كسبة تركية من قول وسمتها جندبي والاصل وسمتها ابي

الاسبانية (ابراج) مرافقة ، منظمات دفاع) أن تحول دون هجمات القرصنة .
 وبدأ سكان سواحل اسبانية المتوسطية بهجرون المناطق الساحلية الى الداخل ،
 ووافقت هذه الغارات ازدهار هذه المناطق الناجية البحري . وهاجم القرصنة
 الجزائر يرون سواحل سردينية وصقلية وناولي وهددوا المواصلات البحرية
 بين الممتلكات الامبراطورية في اسبانية واطالية . ويصف هايمو نشاط
 هؤلاء القرصنة « . . . كان القرصنة يبحرون أثناء الشتاء والربيع ويطوفون
 في البحر من الشروق الى الغروب ساخرين من سفن التي كان يحارثها ان
 ذك الوقت يتسلون بالهرو والقصف في المواني وكان القرصنة يعرفون ان
 السفن المسيحية الثقيلة هذه لا تستطيع أن تحلم بمطاردة سفنهم الخفيفة وان
 تنهبها من النهب والسرقة . . . » (١)

ولا يعود تفوق القرصنة الجزائرية الى مهارة البحارة في قيادة السفن
 فحسب ، بل الى سرعة السفن وخفتها وانضباط المجدفين الفاسي . وكان
 القباطنة الجزائريون شديدي الاهتمام بالنظام ونظافة ورعاية سفنهم وانضباط
 بحارتهم « . . . وكانوا لا يسمحوا لأي شخص عو لو كان باشا نفسه ، أن يغير
 مكانه أو أن يتحرك من المكان الذي يكون فيه . . . » وكان الكثير من رجال
 البحر الجزائريين من العلوج من مختلف مناطق البحر المتوسط ويعرفون
 شواطئ بلادهم الأصلية ويحملون معهم معلومات هامة .

القصر نشاط القرصنة الجزائرية في القرن السادس عشر على البحر
 المتوسط وارتبط نشاطهم ارتباطا وثيقا في عصر الكليبريكوات بنشاط الدولة
 العثمانية وبلغ ذروته في الستينات « . . . حتى لكان البحر خلا الا من سفنهم
 وكانت المواني الايطالية ولا سيما جنوة وناولي وصقلية ، والمواني الاسبانية
 تعاني متاعب اقتصادية شديدة . . . وتدفق الأسرى المسيحيون كالمطر . . . »
 ولكن منذ أن تخلت الدولة العثمانية عن الصراع في البحر المتوسط ،

(1) De Grammont : P. 51

برى يرون أن القرصنة في المتوسط مهمة قديمه قدم الصراع .
 وقد عارضتها كل الشعوب التي عانت على ضفاف هذا البحر .
 وكان لكل ميناء قراصنة حتى قبل أن القرصنة بنت البحر المتوسط (١) .
 وعود أصول القرصنة الجزائرية الحديثة الى منتصف القرن الرابع
 عشر بسبب الأزمة السياسية والاقتصادية التي عصفت بالمغرب الأوسط ،
 وتدفق المهاجرين الأندلسيين عليه ، ولهذا أخذت مظهر اقتصاديا ودينا .
 وتدفق المليون أن القرصنة بدأت سنة ١٣٦٠ في بجاية وبدأت تهاجم
 الجوز والسفن المسيحية وتعود محملة بالأسرى والغنائم .

وقوي الطابع الديني للقرصنة في القرن السادس عشر ، وغلب على
 القرصنة المسيحية والاسلامية على السواء . ولا سيما ان سقوط الأندلس
 وتعرض سواحل شمال افريقية للغزو البرتغالي والاسباني ، وأستبداد
 الصراع بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية ، وارتباط الجزائر بهما
 الصراع اثر دخولا في طائفة الدولة العثمانية .

كانت عملية القرصنة اذن تحصل طابع الحرب المقدسة لدى المسلمين
 والمسيحيين . ولكن الطابع الديني بدأ يصف ويفسح المجال للطابع
 الاقتصادي بعد توقف الصراع الكبير بين الدول الكبرى ، حيث افسح انتهاء
 حرب الارعادات « المجال » لحرب المغارات « المريحة » وبسبب ازدياد
 العلوج في البحرية الجزائرية .

ومنذ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية كلفت البحرية الجزائرية
 الاهتمام بالقطاع الغربي من البحر المتوسط بصفة خاصة ، وتركزت جهودها
 ضد « عدو الاسلام التقليدي » اسبانية ، وكانت غاراتها على الجزائر والسواحل
 الاسبانية مستمرة . ولم تستطع الوسائل العديدة التي اتخذتها الحكومة

(1) F. Braudel : P. 694

حيوية ، وذلك بسبب انشغال الدول الأوروبية بحروب الثورة الفرنسية .
والحروب النابليونية .
وكان نشاط القرصنة الجزائرية يثار بوضع الحكومة الجزائرية بسياسة
في ثورات الاستقلال وقوة الحكام كانت السفن الجزائرية تقصد بسياسة
الحكومة وتبليغاتها فلا تهاجم الا السفن العدوّة ، وتصارى حق الرضاة
والفتيش على السفن المحايدة للتأكد من حقيقة جنسيتها ، أو من أنها لا تحصل
بضائع لدول معادية . فقد كانت بعض السفن العدوّة ، ولاسيما سفن
القرصنة المسيحيين ، تستر تحت راية دولة صديقة كفرنسة للتخلص من
مهمات السفن الجزائرية ، ولتقتض عليها بصورة مفاجئة . وكانت القرصنة
المسيحية واسعة الانتشار في البحر المتوسط ، حتى ان البحريّات النظامية
لم تكن تتورّع عن القيام بعمليات قرصنة ضد السفن الإسلامية . ولم يكن
هناك ، في تلك الأوقات ، قواعد تميز بين الحرب النظامية وغير النظامية
وبين حالات الحرب والسلام ، وكان عدد كبير من الموانئ الأوروبية يستخدم
كقواعد للقرصنة المسيحية : لافايت ، ليفورن ، بيزاء ، سيات ، باليرم ، تراباني ،
مالطه ، بالاء ، ماجورقة ، المرية ، فالانس ، سيجنا ، فيوم .^(١)

وكان البحارة الجزائريون من أجناس متعددة ، ولكن الشريط العسري يطلق
للاختراط في سلك البحرية الجزائرية هو اعتناق الاسلام . وكان يطلق
على اوثاك الدين يفرقون دينهم ويعتقون الاسلام - ومعظمهم من الأسرى -
اسم " العلوج " . وكان هؤلاء العلوج يحصلون على ارقى المناصب في الشابة
التي كانت محظورة على العرب والقولوغلي بها فيها منصب الحاكم . وقد
ادت كثرة هؤلاء العلوج في البحرية الجزائرية والإفادة من مغانم القرصنة ، بدلا
طعما في الاختراط في البحرية الجزائرية والافادة من مغانم القرصنة ، بدلا
من أن يبقى أسيرا يعمل في التجديف أو في الحقول أو في خدمة يسوت

(1) F. Braudel : P. 697

ومدة البلية عصر البكالريكون بدأت الجزائر تدبّر ظهرها لاستيوار
وتحسّر على مسؤوليها ، ولم يعد نشاطها مقتصرآ على البحر المتوسط ،
وذلك تأخير عواما جديدة : ففي حين كانت عناصر البحرية الجزائرية ،
وذلك الوقت ، من سكان البحر المتوسط بدأت تسرب اليها عناصر شمالية ،
وذلك الوقت ، من سكان البحر المتوسط ، وتأخيرا جديدا وشرعة جديدة ، مصا
ادخلت معها الى البحرية الجزائرية بشكلها جديدا وشرعة جديدة ، مصا
ساعد على اجتياز البحر المتوسط ودخول المحيط .

وعبر القرن السابع عشر عصر القرصنة الجزائرية المذهبي فقد تشمل
تشطهم البحر المتوسط كله وامتد الى سواحل اوردية الشمالية والبرازيل
واسلمة والأرض الجديدة . ويذكر مرآق برتغالي أنه في الفترة بين
١٦٢١ - ١٦٢٧ كان في الجزائر ٢٥ ألف اسير منهم فلامنديون وايقوسيون
والكثير وحاسر كون واورلديون وهناريون واسبان وفرنسيون واطاليون
وسوريون ومصريون وبلاديون وصينيون واناس من اسبانية الجديدة
واليوية^(١) . وتجاوزت قيمة الغنائم في اوائل هذا القرن ما قيمته (٣) ملايين
جنيه . وقامت البحريّات الأوروبية النظامية بمحاولات للرد على هجمات
البحرية الجزائرية وقصفت الموانئ الجزائرية أكثر من مرة دون ان تحقق
نتائج مجدية . واضطرت الدول الأوروبية بما فيها الدول الكبرى الى دفع
الآوات وهدايا الى حكومة المداي لشترى بذلك أمن سنها . ولكن عمليات
البحرية الأوروبية النظامية بدأت تؤثر على الجزائر منذ أواخر القرن السابع
عشر وفي القرن الثامن عشر بدأ انحطاط البحرية الجزائرية . فقد
تزايدت قوة البحرية الأوروبية وصارت عمليات الانتقام أوسع وأكثر جدوى ،
وحملت المعاهدات مع الدول من نشاط البحرية الجزائرية وقلت الغنائم ،
وعطى مستوى التجارة الجزائريين ، وهبط عدد السفن الجزائرية هبوطا
كثيرا . ولكنها انتعشت من جديد في اوائل القرن التاسع عشر بفضل الرئيس

(1) F. Braudel : P. 714 - 715

الجزائريين ومسلميهم ١٠٠٠٠ لدى عودتهم كان كل جزائري متجهًا إلى الجزائر يسعون إلى التجارة العابدين كل ما في محاربتهم من ثياب وبنون ولم يكن القراصنة يعملون سوى الشراب والطعام والمهوى ٠٠٠٠٠

كان رجال البحر الجزائريون يتدخلون في المسائل السياسية ، وهم ابنه يتطعم سياسي يقابل تنظيم الأوجاق . وكان رجال الأوجاق يحصلون رجال الطائفة بسبب الأرباح الطائلة التي يدرها عليهم عملهم . وكان القراصنة يدرهم يحرقون " بقر الأراضول " .

ويعود الكثير من المؤرخين تطور تاريخ الجزائر العشائية على انه خاضع لهذه المناقشات بين هاتين القوتين . وعلى هذا يبدو تدبير الأحداث السياسية وقام حكم الأغوات ثم الدايات نتيجة لانحصار الاكتشارية على الطائفة أو العكس . وفي هذا الاتجاه كثير من المبالغة . والحق انه لا يمكن انكار وجود تنافس بين هاتين القوتين ، ذلك ان غنى رجال الطائفة وقصورهم الجميلة على شاطئ البحر كانت تثير حسد الاكتشارية القداميين من مناطق بعيدة وأوساط فقيرة معدمة يدفعهم حلم الاثراء السريع ، والمدين لم تكن العمالات البرية التي يقومون بها ضد الأهالي تجلب لهم ما كانت العمالات البحرية تجلب للطائفة .

كانت هذه المنافسة قوية في عصر الكركوكوات الذين كانوا من رجال البحر ويعتمدون على رجال الطائفة ضد تغلب الاكتشارية . ولكن ههنا المنافسة بدأت تحف منذ أن سمح للاكتشارية سنة ١٥٦٨ في الانخراط في عداد رجال الاسطول ، والشاركة مباشرة في مزايج القراصنة .

وفي الواقع كان الفريقين مصالح متكاملة تشدهم الى بعضهم البعض في أغلب الأحيان . فهما بلغ تراء رجال البحر فليس بإمكانهم الاستغناء عن مساعدة الجند الذين كانوا يقومون بالحد فطة على الأمن في الداخل والدفاع عن الجزائر فيفتحون بذلك للقراصنة التفريغ للنشاط البحري . والأمر

الأمر انه الى تغلب الممثل المائي في نشاط القراصنة البحرية الزرية على الممثل المائي . فقد كان هؤلاء لا يهتمون بالجهاد بل بالمغامم الجديدة . وقد نزلaid عدد العلوج بصورة خاصة منذ أواخر القرن السادس عشر ويذكر هايدو أن العلوج كانوا سنة ١٥٨٠ يولفون مع أولادهم أكثر من نصف سكان مدينة الجزائر (١) . ومنهم يؤخذ بقاء السفن والمهندسين والعمال والمهرة من كل نوع . إن تزايد عدد العلوج في البحرية الجزائرية أسهم في تطوير سلوك الطائفة في الداخل والخارج . ويظهر هذا التطور في عدة نواحي : ان هؤلاء القداميين الجدد ، وقسم من قراصنة الأمم الأخرى ممن جذبهم شهرة الجزائر والتسهيلات المتوفرة لهذا النشاط ، بدلسوا من اهداف القراصنة التي تحولت أكثر فأكثر من الجهاد الى النهب .

ومن جهة أخرى لم يكن هؤلاء الجدد المهد بالاسلام يكونون للسلطان الاحرام الذي كان يضمن له اسلافهم ، الامر الذي أضعف ارتباط الجزائر بالمولاء العشائية . وهذا ظاهراً عامة أخرى أشار إليها أنيل ريجيو (٢) تتناول الأصول الاجتماعية لهؤلاء العلوج . فكما كان للأصول الاجتماعية لعلقة الجند القداميين من آسية الصغرى أثر في سلوك الجند ، فقد لعبت أصول هؤلاء العلوج كذلك دوراً هاماً أيضاً في سلوكهم . يذكر أنيل ريجيو أن أصل أغلب هؤلاء العلوج من طبقات اجتماعية اورية كانت مهادية للاقطاع والملكية البركرية . وكان لذلك أثر هام في نشاط هؤلاء القراصنة وردود الفعل اورية ضد هذا النشاط المتخوف من ان يرتبط نشاط هؤلاء القراصنة مع حركات المقاومة الداخلية في اورية .

وكان لرجال البحرية مكانة كبيرة في الجزائر ، ذلك لأن مقام القراصنة كانت أهم مورد في البلاد . كتب هايدو يصف عودة البحارة

(1) De Grammont : P. 128
(2) Revue Africaine, 1949 P. 40 - 43

تحت الأمانة المالية المركزية تابعة للوزير حتى يستلمهم من
رئيس السكرتارية و ٢٠ مستشارين يختارون بصورة عامة من اليهود.

و كانت الضرائب على توجين : الضرائب الشرعية : الزكاة والمضور
والأقدسة المزروعة (الترويض) وكل نوعيه
الحاصل وتحدد بحسب الأقداس الخاصة مباشرة الأثرالك يذهب موزعها
١٠ - ١٠ مكافئ . وفي البلاد الخاصة بمباشرة الأثرالك يذهب موزعها
١٠ - ١٠ مكافئ . وفي البلاد الخاصة بمباشرة الأثرالك يذهب موزعها
أو كليه الحاكم فيطوف في الأرياف ليحدد عدد الأقداس المزروعة . وهناك
ضريبة تحمل محل المضور في المناطق نصف المدويه في الأحياد وهي غير
محددة وتؤخذ عينا أو نقدا ، ونسب المؤونة والتمارة .

وهناك ضرائب أخرى متعددة : كالنوايد وهي بمثابة هدايا إجبارية
تقدم في المناسبات كالأعياد مثلا . وهناك الزمة ، وهي ضريبة تؤخذ للموت
الجند في الأرياف . وهناك ضرائب الكوس على الأسواق . ويدفع سكان
المدن ضرائب متنوعة تنوع النوع المهن ، يحدد لها أمين كل مهنة . وهناك « الحكير »
أي كراء أملاك الدولة .

ويجري تقدير كميات الضرائب بصورة اعتباطية لتأمين حاجات
الادارات المركزية والمحلية . وكانت كل الوظائف التي لها علاقة بالضرائب
أو الرسوم أو الغرامات تترك من قبل الدولة بمبالغ مقطوعة . وإذا كان
نظام الالتزام ميزة تأمين موارد محددة للمخرجة فإنه كان بؤرة لكثير من
المفسد والميؤوب والمصادرات والنهب تقب جميعا على الدولة ، لأن
الاهالي . كانت الضرائب ثقيلة على المكلفين قليلة الفائدة على الدولة ، لأن
الحياة على اختلاف مراتبهم كانوا يعرضون أنفسهم عن المبالغ التي دفعوها
تسليما لتجنبهم ويعملون في الوقت نفسه لتأمين مبلغ يساعدهم على الاحتفاظ
بهذا المنصب أو تأمين مستقبلهم إذا ما عزلوا . وهكذا كان الفلاح يدفع
مثلي أو ثلاثة أمثال الضريبة المقررة عليه .

ولم تكن جباية هذه الضرائب تجري بصورة اعتيادية حتى في الأحوال

تتبع سياسة الجند فيها الملك فؤاد الجند وكبرلهم ، وليس بإمكانهم أن
يعطوا عرض أراد لهم على الترويسة ، لأن نظام هؤلاء كانت تسد سياسة
الجند وتسبب لها دفع مرتبة الجند بصورة مستقلة . ولا حظ لما رسل
كولونيل أن مصر هذه التي يمكن أن يستغلها الاستاذ في تطوير
مؤانية . فقد كانت قوة الشرطة الملكية نفسها حتى أو آخر القرن التاسع
عشر ، وهي بعد ذلك بصورة متدلية حتى التمثل الفرنسي . وقد تصار
المطامير والكهنة تزداد وتزداد لتأكيد امتيازاتها وحقوقها . وبما دارت
قوى العربيين سكانها فإن أية محاولة للحكم بالاعتماد على هذه القوة أو تلزم
مصر ما التمثل . لقد انتهت محاولات الحكم في اختراع الجند الى فشل
الحكم الذي يقدم على هذه المحاولات أو عزله ، والأمر نفسه حين يحاول
الحكم اختراع الطائفة ومنها من التعرض لسفن هذه أو تلك من الدول .
فيتمرد رجل الطائفة ، ويدعمهم الجند في أغلب الأحيان .

ونتيجة لعجز الحكام عن فرض كلمتهم كانوا مضطرين - إذا رغبوا
في إبقاء حكاما - الى الانحناء أمام رغبات الطائفة ، وإن يصبحوا أموية
بأيدي الجند .

الموارد المالية :

تؤتي الموارد المالية - مع المحافظة على الامن - اهم واجبات الادارة
العثمانية . وكلا الأمرين مرتبط بالآخر . فالادارة العثمانية بصورة عامة
أداة استهلاك وليست أداة تنمية . فهي تعيش على موارد البلاد دون اي
مسعى من جانبها لتسمية هذه الموارد . وما تحييه يستهلك في دفع رواتب
الوظفين والجند .

و كان فرض الضرائب وجبايتها يتم بصورة تعسفية ترهق السكان في
المدن والريف وتزيد ردد وفل عيفة . ومعظم الثورات في الجزائر يمكن
رودها الى قضايا تتعلق بالضرائب .

المصلحة للتجارة ، وكان ميناء الجزائر هو الميناء الوحيد المصالح للمسلمة في
الصحافة التجارية مهمة . وقد بدأ اهتمام الحكومة ببيئته البحرية
حين كانت باقي الموانئ مهملة . وقد بدأ اهتمام لم يكن يقصد التجارة بل لا يحد
منه أيام خير الدين ولكن هذا الاهتمام لم يكن هناك أي اهتمام من جانب الدولة
من أمن السفن الفرنسية . ولم يكن هناك أي اهتمام من جانب الدولة
بالسود المالية في بلد يعيش في ظلم غير منظم ، وكان هذا الأمر موثقا
بالسود الأهالي أنفسهم ، الذين كانوا يكفون بأنفسهم حدود تجارية أو خفيفة
بسيطة كانت عرضة للاختار في أوقات الفيضانات . واكتفى الإنجليز بالاهتمام

بتوفير مياه الشرب للمدن التي كانوا يقيمون فيها .
وكانت الطرق سيئة ، ولا يوجد طرق مسهدة ، وطرق المواصلات
التي كانت موضع اهتمام السلطات هي تلك التي تؤمن الاتصال بين الجزائر
وبين وهران وقسنطينة وتسمى « طريق السلطان » . ولم تكن العربات
مستخدمة ويجري النقل بواسطة الجمال أو البغال على طرق وعرة لا يهتم
بها أحد . وقد أفاد الجزائريون من ذلك في مقاومتهم الفرنسيين الذين
اعوزتهم الطرق للمرات والمواقع (١) .

ولم تدخل الدولة لتحسين وسائل الزراعة البدائية ، ولم تسهم في
الوقاية من الأضرار الطبيعية ، أو الآفات الزراعية التي كانت تعرض لها
البلاد بصورة مستمرة . أو في التوزيع أو المشاركة في تحمل الأضرار
الناجمة عن الكوارث الطبيعية والأوبئة والجاعات المتتالية . كذلك عجزت
الدولة عن القيام بواجبها الأساسي وهو توفير الأمن . وكان الإسهام الوحيد
للدولة سلبيا ومدمرا ، فقد احتكرت شراء المحاصيل وبيعها كما بالفت في
فرض الضرائب وجبايتها .

وبسبب هذا كله لم تكن الجزائر سوقا اقتصادية واحدة متكاملة .
كما أنها لم تعرف خلال العهد العثماني التوازن الاقتصادي ، فقد كان الاقتصاد

(1) Claude Martin : Histoire de l'Algérie Française P. 69

الطبيعية حين لا يكون هناك عيبان ، فقد كانت قوة عسكرية صغيرة أو
كبيرة - حسب الظروف - توافق الجيئة وتساعدهم ، وكانت الجيئانية
بصورة عامة أشبه بالعادة ، والإستعاضة عن المدفع يعتبر عيبا خطيرا ويقتضيه
بصورة شديدة ، ففي سنة ١٥٥٢ فتح صالح ديس ثورة من هذا النوع ،
فقام بجريدة ووضع ديس الثورة على فوهة مدفع وأطلقه فتناثرت أسلأوه (١) .
ولم تكن موارد الضرائب بصورة عامة كبيرة ولا ثابتة وتفاوتت تبعاً
لأوضاع البلاد الاقتصادية المتخلطة والمتقلبة حسب المواسم ، ولهذا كانت
خزينة الدولة تعتمد على موارد أخرى : كان لها حصص من مزارع القرصنة ،
وتفرض على الدول الأوربية أنوات مقابل حربية مسرورة سفن هذه
الدول . وكانت الدول كلها مضطرة إلى دفع هذه الأتاوة السنوية ،
وتختلف مقاديرها من دولسة لأخرى تبعاً للظروف في الجزائر أو
في هذه الدول . وكانت الهدايا التي يقدمها القاصل للمدعي أشبه بجزية
مقومة . وكانت هذه الدول تلجأ أحيانا إلى استخدام القوة لتحرر نفسها من
هذه الأتاوات وتفرض على الجزائر بالقوة احترام سفنها . وقد تعرضت
الجزائر في سبيل ذلك لأكثر من هجوم ، ولكن هذه الهجمات كانت في
أغلب الأحيان غير مجدية ، وتقابلها السفن الجزائرية بهجمات عنيفة فتقتل
هذه الدول إلى قبول الأمر الواقع . وهذه الممارك البحرية هي الوجه الآخر
للمعمارك البرية المتعلقة بمسائل الضرائب ، وقد لوحظ أن موارد القرصنة
بدأت تقل منذ القرن الثامن عشر ، وأن الدول الأوروبية صارت أكثر قوة ،
وبالتالي أكثر امتناعا عن المدفع .

الحالة الاقتصادية :

لم يكن للدولة أي إسهام في النشاط الاقتصادي للبلاد ،
فزعم اهتمام الجزائري بالبحر لا نجد للدولة أنشأ في إنشاء المواني

(1) M. Colombe : Initiation A Alger.

تجارة الجنوب في بداية القرن السابع عشر . وظلت قسطة سواها لمدة
 مائة لها علاقات تجارية واسعة مع تونس والجنوب المغربي والبر
 بكانات الجزائر .

وأفادت عقابه من وجود مراكز تجارية اجبية فيها كانت تشتري السلود
 والأصواف والجنوب . وكانت مدينة الجزائر والمنطق التابعة لها مباشرة
 افضل المناطق من النواحي السياسية والاقتصادية .

في الامير الزيري بولوجين في النصف الثاني من القرن العاشر
 ميلادي مدينة الجزائر على اقاض مدينة رومانية قديمة (ايكوزيوم) وصف
 الكري بعض آثارها الباقية . وسعت المدينة الجديدة الى ازدهار الجزائر
 جزرها الصحريه الرابع . ويشير الرحالة المسلمون الى ازدهار الجزائر
 ونشاطها التجاري بين القرن العاشر والثاني عشر ميلادي . يذكر الكري
 ان مرسى الجزائر مأمن تقعد اليه السفن من افريقية والاندلس وغيرها
 وبلاحظ الادريسي ان الجزائر كانت عامرة أهلة وتجارتها رابحة واسواقها
 قائمه وصناعاتها نافقة (١٢) . وكان مينائها يستقبل التجار المسلمين وغير المسلمين في
 القرنين الرابع عشر والخامس عشر . وقد نشطت فيها القرصنة ولاسيما
 اثر تدفق الاندلسيين بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ . وخضعت منذ القرن
 الرابع عشر اقلية نعلبة العربية التي كان رؤسائها يتقلون بهجرة بين بني
 الواد والحقفين والرشيين . وتغير مصير الجزائر عندما بني الاسبان
 عبد الواد والحقفين والرشيين . وتغير مصير الجزائر عندما بني الاسبان
 قلعة على احدى الجزر الصحريه المواجهة لها ، فاجأوا الى طلب مساعدة
 القرصان عروج ، هذه المساعدة التي كانت بداية السيادة التركية . وفي سنة
 ١٥٢٩ تحلص خير الدين من القلعة الاسبانية واستخدم الاسرى المسيحيين
 في البناء مرسى جديد بطول ٢٠٠ م وعرض ٢٥ م وارتفاع ٤ م يصل
 الجزيرة الصغيرة بمدينة الجزائر ، فوجد بذلك ميناء الجزائر الحديث

(١) الكري المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٦١ .
 (٢) عبد الرحمن بن محمد الجلابي : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٢٢٢ .
 - ١٠١ -

الجزائري يمر بدورات متتالية من الراجة - ولا نقول الازدهار - في حلال
 التواسم الخفية ، كان يتقن من قيمتها ككرة الضرائب والغرضي والامداد
 الامم ، وبدورات من الازمات الخائفة بسبب القحط والكوارث الطبيعية
 (فيضانات - زلازل) والبشرية (اوبئة ، غارات القبائل ونهب المصنوعين
 الحكومية) .

وسكن قسم الجزائر الى ثلاث قطاعات اقتصادية واجتماعية :
 قطاع المدن ، قطاع المناطق نصف المتحضرة ، قطاع المناطق الصحراوية
 والبدوية .

وبالرغم من ان قطاع المدن كان من ارقى القطاعات الا انه كان اقلها
 اهمية . اذ انه لم يكن يضم الا حوالي ٥ - ٦٪ من السكان . وقد تأثر وضع
 المدن بقلب الأحوال السياسية وبامكانات المنطقة الاقتصادية المحلية ،
 وبالعلاقات الاقتصادية الداخلية والخارجية . ولهذا فقد عدد من المدن اهمية
 السابقة وازدهرت مدن جديدة . فقد اضعفت مدينة تلمسان اهميتها السياسية
 والاقتصادية والثقافية التي كانت لها ولا سيما في العصر الزياني . وتأثرت
 وهران بالاحتلال الاسباني الذي استمر حتى سنة ١٧٩٢ ، فتوقفت تجارتها
 مع تلمسان والداخل ، وطبق الاسبان فيها نظام الاحتكار الذي كانوا يفرضونه
 في مستعمراتهم ، واقتصرت التجارة على استيراد المائعات الضرورية لتأمين
 الحامية الاسبانية (١) . وبالرغم من ان وهران أصبحت مركز يملكية الغرب
 بعد تحريرها فانها لم تعد من مراكزها الجديدة . وقد لاحظ الفرنسيون الذين
 نزحوا وهران سنة ١٨٣٩ ان عدد سكانها مع ضواحيها لا يتجاوز ٩ آلاف
 نسمة ، وان قسما من المدينة كان مخربا ، وفقدت بجاية ازدهارها خلال
 الاحتلال الاسباني ١٥٠٩ - ١٥٥٥ ولم تستعده ابدا . وتزدى وضع تيس
 التي كانت مقر امارة قصى عليها الاتراك وتأثرت تأثر شديدا بسبب الغاء

(١) Revue Africaine 1942 P. 222

بكون قاعدة الأسطول الجزائري الرئيسي . وكان الخشب اللازم لـ
السفن يجل من بلاد اسبانيا الصغرى أو من السويد والنرويج كهندسة
مروضة ، وكذلك الخشب الذي ياتي الأدوات والأشعة اللازمة لـ
السفن . واستحدث الجزائر منذ عصر حمر الدين من أهم مراكز القراصنة
في البحر المتوسط ، وتركيز الرئيسي للحصارة في المغرب الأوسط
سنة ١٦٨٣ . وقد كانت الحكومة تحنكر تصدير المنتجات المحلية
مع كل ما كان لها من أهمية على نشاط جميع الموانئ الأخرى .

وعرفت مدينة الجزائر في القرنين السادس عشر والسابع عشر ازدهار
اقتصاد واسع . وقد ذكر مؤلف جزائري من القرن الثامن عشر ان مدينة
الجزائر ازدهرت في أواخر القرن السابع عشر وتوالت فيها المسار
واردات الأرباح في مزاج يمكن مقارنتها بسورية ، وكان كل شيء فيها
جداً ورجحاً^(١) . وقد انعكس هذا الثراء على حركة العمران الجميل
صلى الله عليه وفي ضواحيها حيث عني الأثرياء ببناء دارات جميلة وسط بيوت
القرن احسن سابقين^(٢) . ولكن المدينة بدأت تتأثر بضعف القرصنة
وارتداد عمليات انقصف الفرنسية في أواخر
القرن السابع عشر .

كان شكل الجزائر خليطاً من عناصر متعددة : أتراك ، قولوغلي ،
الاسبان ، عرب ، بربر ، علوج ، تجار واسرى اجانب ، قبائلين واناس من
حطب الصحراوي يكونون الطغاة العاملة في البيوت والحقول وفي
الجرف الصغيرة . وكان في المدينة جالية يهودية محلية قديمة بائسة ،
وأخرى جديدة هاجرت الى الجزائر منذ أواخر العصور الوسطى من اسبانيا
وابطاليم وبرسة والكثرة . وكان خبر الدين قد سمح لليهود بالاقامة

(1) Delplin J. A. 1922 P. 162 - 233

(2) F. Braudel P. 698

العامة في الجزائر وما لبثوا ان حصلوا بسرعة على عود كبير في المبادى
البحرية ولا سيما في تصريف اسلاب القراصنة التي لم يكن بالإمكان
استهلاكها في الجزائر . واعتباراً من القرن الثامن عشر كان يهود ليون
يحتلون المركز الاول واشتهرت منهم عائلة بكري وبوشناخ اللذان حصلوا
بفضل مهارتهما في القضايا المالية والتجارية وخبرتهما بأحوال دول البحر
المتوسط وعلاقاتهما الخارجية ، على نفوذ كبير في الأوساط الحكومية
الجزائريّة . كان كوهين بكري المكى بن زاهون رئيس بيت تجاري
ليوني وقد افتتح حوالي سنة ١٧٧٠ مستودعاً في الجزائر . وبعد بداية
تواضعه ازدهرت المؤسسة حين اشترك فيها الابن البكر جوزيف
سنة ١٧٨٣ مع اخوته الثلاثة ريدون وسليمان ويعقوب كما اشترك فيها
ابنه دافيد وصهره الليفونري نقالي بوجناخ أو بوشناخ .

وكان نقالي بوشناخ من اسرة تجارية جاءت الى الجزائر سنة
١٧٢٣ . وهو مدين بثروته لخدمات قدمها لباي تطري مصطفى وزنجي .
فخلال زيارة مصطفى الى الجزائر ولخوفه من ان يغزله الداى أو ان يقتله
عند الى الاختفاء في مكان ما في الجزائر ولم يجزؤ أحد من أصدقائه على
رؤيته . وكان بوشناخ الوحيد الذي ظل على اتصال به يشجعه ويمده بما
يلزمه . وأقرضه مبلغاً كبيراً من المال كان لديه أمل ضعيف باسترداده ،
وحصل له على رضى الداى وساعد على تعيينه باباً على قسنطينة . وكمن لهذه
المساعدة سلم مصطفى لبوشناخ تجارة بيلكية قسنطينة كلها وجعله امين سره
ومستشاره فأصبح أقوى رجل في البيلكية لا يمكن شراء شيء الا بموافقته .

ويروي حمدان بن عثمان خوجا كيف وصل بوشناخ بسرعة الى الثراء
الفاخس فيقول ان مصطفى رغب ان يقدم هدية الى امرأة الداى فكتب الى
بوشناخ بذلك فقدم بوشناخ حلية طلب ثمنها ٣٠٠ الف فرنك في حين انها
كلفته في باريس ٣٠ الف فرنك . ولما لم يكن الباى مصطفى يملك المال

الأمر قد سدد ثمنها مقداراً من القمح بسعر ٤ فرنكات للوزنة الواحدة .
وهكذا حصل بوشاخ على ٧٥ ألف وزنة قمح باعها إلى فرنسا بسعر ٥٠
فرنكاً للوزنة فحصل على ربح ٣٥ ملايين فرنك^(١) .

واستغل هؤلاء اليهود تراهم ومصاعب الدايان المالية ، واطلاعتهم الواسع
على أحوال الدول الأوربية بواسطة أعوانهم المشين في كل مواني البحر
المتوسط ، واطلاعتهم الواسع على أحوال الجزائر الداخلية بواسطة أعوانهم
من التجار الصغار الذين كانوا يطوفون المدينة بيتاً بيتاً ، الأمر الذي أتاح
لهم تقديم معلومات هامة خارجية وداخلية للدايان وقد منحهم ذلك نفوذاً
لأحد له على الدايان ، ولا سيما الداى حسن باشا ، ومصطفى باشا الذي
كان يدين بمنصبه لثقتي بوشاخ الذي رفعه من كناس على باب وكسل
أخرج إلى خزنجي ثم ساعده على تسلم منصب الداى سنة ١٧٩٨ .
واستحق بوشاخ على ذلك لقب « ملك الجزائر » الذي أطلق عليه من قبل
الجزائريين^(٢) . وبفضل هذا النفوذ الكبير تسلمت مؤسسة بكري - بوشاخ
زمام السياسة الخارجية ، فأصبحت علاقات النيابة الخارجية تتم بواسطة
وصار لهم كلمة مسموعة في أمور الحرب والسلام . وكان مبعوثو الدول بما
فيهم مبعوثو السلطان يتصلون بهم ويخطبون ودهم . كتب القنصل الفرنسي
جان بونسانت اندرى : « ... هل بإمكان البعض أن يتصور أن كل تجارة
المتوسط تستق بأيدي يهوديين جزائريين ؟ الحق أن هذا صحيح ... أي
مكان هام لا نجد فيه وكلاء لبكري وبوشاخ : قرطاج ، مرسيلية ، جنوة ،
ليفورن ، نابولي ، أزمير ، الاسكندرية ، تونس وغيرها . انهم يتمتعون في
كل هذه الأماكن بقليل أو كثير من القوة حسب طبيعة الحكومات وحسب
المصلحة التي كان عليهم أن يسيطروا عليها . وكانوا يعدون الدول الأوربية

(١) G. Esquer : La prise d'Alger P. 19 - 20

(2) G. Esquer : La Prise d'Alger P. 50

الصغرى بالصلح ونفوذته ، وإذا استأثروا من هذا الدول اعطوا عليها حراً ،
هل يتعلق الأمر بافتكالك الأسرى ؟ انهم كانوا الوسطة . إذا ضاعفهم بحسب
أوربي طرده ، وتفضل السلطة القنصلية أمام رصيدهم . أن يستغل
نفوذنا في بربريا هو ترايد رصيد اليهود . والآنكلير معدون لهم بما حصلوا
عليه ، ولم يكن بإمكان الأميركان أن يظهروا في هذه البحار بدونهم . وأخيراً
فإنهم يعدون بصرية وينابعون باصرار مشروعاً لاختطاف تونس للجزائر ،
مطمئنين في بربريا نظاماً جديداً سيكون مدمراً لفرنسة ...^(١) . كان بكري
وبوشاخ أكثر حذراً في السياسة الداخلية في بادئ الأمر ولكن رايد
نعودهم نجحهم على التماذي والعمل على المكشوف ، فصار بإمكانهم تعيين
الدايان وغزلهم وحتى قتلهم . وأصبح تردد بوشاخ على قصر الداى في أي
وقت من النهار أو الليل أمراً معروفاً . وقد أدى هذا الشطط إلى قيام ثورة
سنة ١٨٠٥ ضد اليهود وضد ضيعتهم الداى مصطفى . ففي هذا العام كانت
البلاد تعاني من مجاعة مخيفة حمل الشعب بحق مسؤوليتها لليهود بسبب
احتكارهم تجارة الحبوب وتسلطهم على الداى وعلى شؤون النيابة الداخلية
والخارجية . وقد بدأت الثورة برصاصة أطلقها جندي على بوشاخ حين كان
خارجاً من قصر الجنية ، فاعتبره الجند بطلاً حرراً البلاد من الطاغية ،
واشترك الجند والشعب في مهاجمة المحلات اليهودية وانتهى الأمر إلى قتل
الداى مصطفى نفسه . ولكن اليهود سرعان ما استعادوا مركزهم ونفوذهم .
ومن الصعب إعطاء تقدير دقيق لعدد سكان مدينة الجزائر . وقد قدر
الاب هايدو عددهم في أواخر القرن السادس عشر بـ (٦٠) ألفاً وقدر
عددهم في القرن السابع عشر بـ (١٠٠) ألف . وقدرهم فانتورا دي
بارادي في القرن الثامن عشر بـ (٥٠) ألفاً ، وكان عددهم لدى وصول
الحملة الفرنسية سنة ١٨٣٠ (٣٠) ألفاً .

(١) G. Esquer : La Prise d'Alger P. 50

وبالرغم من ان نشاط الفلاحة كان يؤثر على علاقات الجوارح الخارجية فالى التجارة الجزائرية لم تتأثر من هذا النشاط بقدر تأثره بسبب الحكومة وضعت الواردات فقد حالت تجزئة البلاد والسيادة الداخلية وفقدان الطرق وتختلف وسائل المواصلات دون قيام سوق داخلية . كما اثرت سياسة الاحتكار والقيود على التصدير على النشاط التجاري ، فقد كانت الحكومة تحتكر تصدير المنتجات المحلية كالجلود والسمك والصوف ، وكان تصدير الزيت والجلود ممنوعا الى الدولة العثمانية وكان تصدير الحبوب والمواشي خاصا لاذن خاص . ولكن التجار الاجانب لم يكونوا يتقيدون بقوانين المنع ، وكان اليهود يحتكرون بالاتفاق مع الحكومة التجارة الداخلية ، وكانت مؤسسة بكري وبوشناخ تحتكر وحدهم تلقي التجارة وتحكم في فرض اسعار الشراء والبيع ، فتشتري المنتجات المحلية بارخص الاسعار من الأسواق والفنادق المخصصة للقوافل او من المستودعات التي كانت تتجمع فيها حاصلات الضرائب العينية ، وتبيع هذه البضائع بثلاثة او اربعة اثمان سعر الشراء ، سواء في الخارج او في الداخل . وكانت تشتري الصوف من القبائل الصحراوية بسعر زهيد وتبيعهم الخطة بسعر مرتفع ، لا يهمها سوى الربح الفاحش حتى في اوقات المجاعة . وكان لسيطرة اليهود على السوق الداخلية آثار مدمرة ، ادت الى قيام ردود فعل عنيفة ضدهم ولا سيما ايام المجاعات .

كانت الزراعة الجزائرية في تراجع مستمر ، فقد تقلصت المساحات المزروعة اثر الاضطرابات التي عصفت بالغرب الاوسط منذ القرن الثالث عشر ، وتأثرت بصفة خاصة بتدفق قبائل بني هلال وسلم ، فتحولت كثير من المناطق المزروعة الى مناطق قفر . ولم تحسن الزراعة في العهد العثماني بسبب انعدام الامن وسياسة الحكومة الضرائية وجهل الفلاح وبداية الادوات الزراعية وتقلب الطقس . كانت مساحات زراعية واسعة تترك بوراً كما ان السهول المزروعة زراعة سيئة تحولت تدريجاً الى اراضي مستقيمة ، ولم

كان القبائل تزدح الاجزاء من الارض يكفي لسد حاجتها الصوفية لان التوسع في المساحات الزراعية لم يكن يعطي مردودا اقتصاديا بسبب سياسة الحكومة الضرائية وسياسة الاحتكار . ولهذا كله كانت الجزائر محرومة من الفائض المخزون ، وعرضة على الدوام لانتشار المجاعة . كتب فانورادي بارادي " ... ليس هناك اكثر يؤسا من حياة الناس الذين كانوا يعيشون في ارياف وجبال الجزائر " كانت بلاد القبائل منطقة زراعية يكثر فيها الزيتون والتين بصفة خاصة ، ولكنها كانت منطقة كيف السكان يسكنها حوالي ٣٠٠ الف نسمة ، ولهذا لم يكن بإمكانها الاكفاء بمواردها الزراعية فعمدت هذا النقص بالاعتماد على بعض الصناعات المحلية . وتؤلف الهجرة البشرية وتصدير الزيت والصناعات المحلية عناصر ضرورية في حياتها الاقتصادية . وتعتمد قبائل الجنوب على انتاج التمور وتربية المواشي ، وكانت مضطرة الى المجئ الى التل بصورة دورية لتبادل صوفها وقطعائها وبيعها مقابل الحبوب .

الفصل الثالث

علاقات الجزائر الخارجية

لم يكن للجزائر سياسة خارجية متزنة . وقد تأثرت علاقاتها الخارجية بصورة عامة بالقليل الداخلية ، وتقلبات السياسة الأوروبية ، وبشروط القرصنة . ولم تكن الجزائر تتخذ في علاقاتها الخارجية باتجاهات السياسة الخارجية العثمانية وإن تأثرت بها ولا سيما في عصر البكايون في القرن السادس عشر .

العلاقات الجزائرية التونسية :

ورغم أن البلدين كانا تابعين للدولة العثمانية فإن العلاقات بينهما لم تكن ودية ، بسببها اعداء والصراع . وبصورة عامة يمكن ارجاع اسباب هذا العداء الى الصراع على النفوذ بين حكم التبايق ، وإلى مشاكل الحدود التي كانت تؤدي الى عمليات غزو واجهة . وربما كان هذا الصراع امتدادا لتقاليد تاريخية : فقبل الفتح العثماني كانت الحكومات القائمة في تونس تسعى على الدوام لاختصاص المغرب الأوسط لنفوذها او احتلالها ، وكانت تضطهد مع اتوى الجبله او مع القوى المغربية التي كانت هي الاخرى تحاول بسط نفوذها او سيطرتها على المغرب الأوسط . ولكن دخول الأتراك الى الجزائر قلب هذه الأوضاع التاريخية ، فقد انتقلت الجزائر - التي

اصبحت قاعدة الحكم العثماني في شمالي افريقية - الى وضع الجبهة الشرقية . ونسعى الى اخضاع كل من تونس والمغرب للسلطة العثمانية وبما في نفوذها هي . وإذا كانت الجزائر قد فشلت في اخضاع المغرب لأنها وجدت مساعدة قوات عثمانية في القضاء على الدولة الحفصية واخضاع تونس التي ظلت مرتبطة بها بين سنتي ١٥٧٤ - ١٥٨٧ ، أي حتى نهاية عصر البكايون حين أصبحت تونس بانسوية مستقلة تسع مباشرة للسلطان العثماني . ولكن حكم الجزائر لم يكنوا كلما سبغت لهم الفرصة عن محاولة التدخل في الشؤون التونسية حتى نجحوا في القرن الثامن عشر في فرض نفوذهم ، الذي تمثل بالتوسبة حتى نجحوا في تونس ، وفي فرض بعض الشروط الاقتصادية باقائه وكيل جزائري في تونس ، ولعل مما سمح للجزائر بالتدخل في الشؤون عليها لصالح حكماء الجزائر . ولعل مما سمح للجزائر بالتدخل في الشؤون التونسية طيبة الحكم في البلدين ، فالرغم من أن الحكم لم يكن مستقرا في الجزائر إلا أن التغيرات كانت تقع في نطاق افراد لا ترتبطهم صلة يتولون السلطة ويعزلون بإرادة الجند ، في حين قامت في تونس حكومات اسر (الاسرة المرادية في القرن السابع عشر والاسرة الحفصية منذ القرن الثامن عشر) وكان الصراع بين افراد هذه الاسر الحاكمة التونسية يخلق مناخا مناسباً للتدخل الجزائري . حيث كان المتنافسون يلتسسون بمساعدة حكم الجزائر ضد خصومهم من افراد اسرتهم . وقد حاولت الدولة العثمانية اكثر من مرة التدخل لتسوية النزاعات التونسية الجزائرية دون جدوى .

بدأ النزاع بين الجزائر وتونس في مطلع القرن السابع عشر ، بسبب الخلاف على الحدود وبتهريض احد المتسلطين التونسيين في (الكافي) . وقد انتصر الجزائريون في معركة (السطارة) سنة ١٦٢٨ ، ثم عقد الصلح بتدخل عدد من اعيان تونس اوفدهم يوسف داي (١) . وتدخل الجزائريون اكثر من مرة في القرن السابع عشر مستغلين منازعات الاسرة المرادية .

(١) ابن أبي الصليح ج ٢ ص ٢٣ .

ولجأت كل من الجزائر ونوس في اواخر هذا القرن لافحام بناية طرابلس
والعرب في منازعاتهما، فتحالت الجزائر مع طرابلس وتحالت نوس مع
العرب. وفي اوائل القرن الثامن عشر تدخل السلطان مصطفى لايقض
النزاع ولكن باي نوس مراد رفض هذا التدخل وظل مصمما على
مهاجمة الجزائر واوقف اغا الصيحية (السياسة) ابراهيم الشريف التركي
ليجمع له حدا. ولكن السلطان اوعز الى ابراهيم الشريف بالتخلص من
مراد باي، ونجح ابراهيم في القضاء على الاسرة المرادية.

لا واستأنف الجزائريون تدخلهم في عهد الاسرة الحسينية مستغلين
تفكك افرادها وطلبهم المساعدة الجزائرية. ونجحوا في احتلال مدينة
نوس سنة ١٧٣٥ بعد ان هزموا الباي حسين بن علي مؤسس الاسرة،
ونصبوا ابن اخيه (علي باي) بدلا منه. واعترف علي بالتبعية للجزائر
وقبل دفع مبلغ كبير من المال وكعبة من الفصح كل عام.

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر اخذ التدخل الجزائري
طابعا جديدا. فقد تدخل باي قسنطينة سنة ١٧٥٦ ونجح في الاستلاء على
الكاف واسر الباي علي، ولكنه امتنع عن تسليمه الى منافيه اولاد حسين
بن علي. ويقول ابن ابي الصافي ان باي قسنطينة لما رأى حسن البلاد وخصبها
واخلاف اهلها وطاعتهم لامراء كذب داي الجزائر يشبه بالنصر ووصف له
حاضرة تونس، وبعث له مفاتيحها، وخبره بين ان يتولي على المملكة
ويضمها الى الجزائر ويأبى بالدي علي واولاد عمه ليرى رأيه فيهم، او
يترك البلاد لصالحها الباي علي على ضربة يؤديها للجزائر كل سنة. ولكن
الداي رفض هذه المقترحات لأن... الاوجاق الثلاثة تونس والجزائر
وطرابلس من ممالك السلطنة العلية العثمانية ونحن على طاعتها ولو صحت
هذه الضربة من المال في الاسلام يكون سلطان المسلمين اولى بها... (١)

(١) ابن ابي الصافي ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٤

ومع ذلك يشير ابن ابي الصافي (١) انه كان للجزائر دليق في تونس والى
الجزائر بعد هذا التدخل صادر لهم... (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠)
لا عددهم من الزبول (المساومة ووسائل الضغط) على اولاد الباي حسين.
وكان الباشا علي باي يعاين من مداراة ولاء الجزائر وقسطنطينة ويخرج من
مداراة منهم وتعلمهم وتعلمهم ما يستقر تحسب الحليم ولا تحمله الخوس
الاسابية... (١١).

وكان داي الجزائر وباي قسنطينة يشتركون الاعام ويرسلونها للمع في
تونس... بنس بلوج بالاشارة الى قسنطينة، والذي يموت من تلك الاعام في
حتى بايع ما أتى من الجزائر او قسنطينة، والذي يموت من تلك الاعام في
الطريق تدعى رعاية انه سرق منهم في ارض نوس هزاد سنة على السن
المطلوب... (١٢). وقد دفع هذا كله حمودة باي ١٧٧٧ - ١٨١٣ الى
محاولة التخلص من هذا الوضع، فاستغل اجواء باي قسنطينة اليه واعطى
الحرب على الجزائر سنة ١٨٠٧. هاجم التونسيون قسنطينة ولكنهم فشلوا
في احتلالها واضطروا الى الانسحاب، كما فشل الجزائريون في الهجوم على
تونس فانتقل الصراع الى البحر. وفي سنة ١٨١١ انتصر الاسطول الجزائري
على الاسطول التونسي وفي سنة ١٨١٢ هاجم الجزائريون خلق وادي جرة،
ولكن الهجوم فشل، كما فشل هجوم جزائري على الكاف. وتدخل
السلطان محمود لعقد الصلح بين الجانبين ولكن الماي علي رد على مبعوث
السلطان «نحن اسيد في بلدنا ولا نتلقى اوامر من أحد». فأمر السلطان
بججز السفن الجزائرية والوعايا الجزائرية، وبلغ الماي انه اذا لم
يطع أوامر السلطان في الحال فإنه سيرسل اسطوله ليأبىه برأس الماي

- (١) ويذكر ابو القاسم الزباني مثل ذلك انظر الترجمة الكبرى في أحد الصور رأينا
ص ١٦٤ - ١٦٥
(٢) ابن ابي الصافي ج ٢ ص ٣٧
(٣) ابن ابي الصافي ج ٢ ص ٣٧

العاصي . فاضطر الداي الى الامتثال وعقد الصلح (1) . ولكن الصلح لم يطل ذلك لأن باي تونس الذي نجسته الاضطرابات في بيلكية قسنطينة رفض تصديق أحد شروط الصلح وهو تدمير حصون الكاف . وفي سنة ١٨١٦ عقد صلح آخر ولكنه لم يدم طويلا . واستؤنف القتال سنة ١٨٢٠ في البحر ، ومجئ الدولة العثمانية سنة ١٨٢١ لعقد الصلح بين الطرفين . ولكن العداء ظل قائما . وهذا يفسر الموقف الودي الذي اتخذته باي تونس من الحملة الفرنسية وتقديره لها المساعدات الثموية ، ومنعه قوة تركية دونه من مصر من الوصول الى الجزائر (2) .

العلاقات الجزائرية - الإسبانية :

رأينا كيف نجحت اسبانية في احتلال عدد من الموانئ الجزائرية ولكنها لم تسع الى مد احتلالها الى داخل الجزائر واكتفت بهذا « لاحتلال المقصور » . وبسر جولان (3) امتاع اسبانية عن استغلال تفوقها العسكري في مد نفوذاتها الى الداخل بارتباط سياسة اسبانية الافريقية بسياستها الاوربية ، وإلى ان المسألة الافريقية انتقلت الى الدرجة الثانية من اهتمامات اسبانية ، فقد كانت انظار فرديناند ملك اسبانية متوجهة بصفة خاصة نحو البيرنه واطالبا ، كما ان وضع الخزينة الاسبانية المضطرب كان يمنع الاسبان من تدخل لايجنون من ورائه مكاسب مباشرة (4) .

اكتفى الاسبان بنظام الاحتلال المقصور وحاولوا الموانئ التي استولوا عليها الى فلاح حصنة كانت على الدوام تعيش بحالة حصار . وكان عصر البكر يكون عصر الصراع الحاد بين الأتراك والاسبان بحرا وبراً ، ونجح

(1) De Grammont : P. 372
 (2) G. Hardy : Histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France dans le monde. tome III la tunisie P. 387
 (3) Ch. A. Julien : Histoire de l'Afrique du nord tome 2 P. 252

الأتراك في هذا العصر في تحرير الموانئ الجزائرية باستثناء وهران والرس الكبير اللذين تأخر تحررها حتى القرن الثامن عشر .

عند الاسبان الى تحصين وهران بأسوار قوية منيعة لم يحاولوا التوسع خارجها وكانت الحماية الاسبانية تعتمد في تأمينها على ما يصلها من اسباب خارجها وعلى غنائم الغارات على القرى العربية المجاورة من جهة اخرى . وكان الاسبان قد جذبوا اليهم عددا من القبائل البدوية كقبلي عامر وبني رائد وانشأوا فرقا خاصة Cuadrilla del campe لشن هذه الغارات . وكانت هذه الفرق تعتمد على جواسيس من اهل البلاد يسمون المغطسين (المعدنين) ، كانوا يتجولون في المناطق المجاورة ويجمعون المعلومات حول اوضاع القرى او القبائل . وعندما كانوا يجدون قرية او مضارب قبيلة سهلة المآخذ بسبب ضعف الحراسة كانوا يزودون الفرق الخاصة بهذه المعلومات ، فتسارع هذه لشن غارات مفاجئة تقتل وتأسر وتسي وتنهب وتعود بسرعة الى وهران ، مخافة هجمات معاكسة . وقد حولت هذه الغارات حياة المناطق العربية الى جحيم حتى ان اهل القرى المجاورة لم يكونوا يجرأون على النوم في بيوتهم مخافة الهجمات الليلية المباغة ، فيمضون الليل في خيام في الجبل ويعودون الى قراهم في النهار ، وفرض الاسبان على القبائل المجاورة ضريبة عينية من الجبوب . وبالرغم من هذا فان وضع الحماية الاسبانية ظل صعبا وظلت بحاجة الى مؤن من اسبانية . وقد ساعد اضطراب الاحوال الداخلية في الجزائر في القرن السابع عشر الاسبان على الاحتفاظ بهذا المركز ولكن استقرار الاحوال نسبيا في الجزائر في القرن الثامن عشر ، واضطراب احوال اسبانية الداخلية في هذا القرن ، ساعد الجزائريين على استرداد وهران . وفي مطلع القرن السابع عشر قام الاسبان بمحاولتين فاشلتين للنزول على البر الجزائري وكان هذا ناجما عن الخوف من مساعدة الأتراك الجزائري ثورة الأندلسيين الباقين في اسبانية ، التي كانت تعد في الخفاء بمساعدة هنري الرابع بالاعتماد على الجزائريين .

وفي اواخر القرن السابع عشر حاولت اسبانية ، بعد ان انضمت الى صفوف اعداء فرنسا ، ان تقدم الصلح مع الجزائر فقدمت هدايا للجزائريين لأول مرة من بينها سيف آخر ملوك غرناطة وعرضت تقديم مساعدة سنوية مالية طيلة مدة الصلح وهي سبع سوات ، ولكن كره الجزائريين للأسبان ودسائس فرنسا أخبطت المحاولة .

وانتقل الجزائريون في اوائل القرن الثامن عشر فرصة انسغال اسبانية في حرب الوراثة الاسبانية فوعز الداي محمد بكداش الى باي مسكر مصطفى ابو الشلاغم (شوارب) بمهاجمة وهران وارسل له تجديرات قوية فهاجمها سنة ١٧٠٧ وضيق عليها الحصار حتى ارغم الاسبان على الاستسلام ١٧٠٨ . وأسر الجنود الجزائريون ٢٠٠٠ اسباني بينهم ٢٠٠ ضابط ، وعدداً من فرسان مالطة . ونقل الباي مقره من مسكر الى وهران . ولكن الاسبان ظلوا يحاولون استرجاع وهران حتى نجحوا سنة ١٧٣٢ في استعادتها . ترك سقوط وهران بيد الاسبان اثراً عميقاً في نفوس الجزائريين ، وادى الى وفاة الداي عهدي حزناً على هذه الكارثة بعد ان اتهمه الجيش والجد أنه أهمل تحصين وهران وتأخر في ارسال الجند . وبين ١٧٣٢ - ١٧٣٥ دارت معارك عنيفة دون جدوى ، وكان الداي أحمد كما يقول ابن ابي الضيق ، يرد على من يحرضه على تونس « هلموا الى وهران » ويقول « بل ازالة مغرة وهران لانلقت الى شبي » وقلم تلقت الجزائر سنة ١٧٣٤ عرضاً انكليزياً يقوم على حصار الاسطول الانكليزي وهران بحراً في الوقت الذي يهاجمها فيه الجزائريون من البر ، وذلك مقابل منح الانكليز حق اقامة مؤسسة في المرسى الكبير . وقد وافق الداي الا أن فصل فرنسا نه الجزائريين الى أن الانكليز أخطر على الجزائر من الاسبان وادى رفض الجند للعرض الانكليزي الى تراجع الداي (١) .

(1) De Grammont : P. 293

وكان السلطان قد وعد الجزائر بأرسال نجدة لاسترجاع وهران ولكنه لم ينفذ وعده لانشغاله بالحرب مع الروس (١) . وكان عهد الداي محمد عثمان باشا المعروف بالمجاهد عهد صراع عنيف مع الاسبان ، وندد الاسطول الجزائري هجماته على السواحل الاسبانية حتى لجأ أهلها الى الجلاء عنها والفرار الى داخل البلاد وبلغ عدد الاسرى الاسبان عشرة آلاف اسير (٢) .

رأت اسبانية أن وضعا الصعب في وهران لا يمكن التخلص منه الا بتدمير الجزائر ، فقررت توجيه حملة كبيرة ضد الجزائر سنة ١٧٧٥ تألفت من ٤٠٠ سفينة و ٢٥ ألف جندي اسندت قيادتها الى الضابط الارلندي ، اوريلي ، نزلت عند مصب وادي الحراش . وكان الداي محمد قد حصن الجزائر تحصيناً جيداً ودعا القبائل الى الجهاد وخطر البايان ان يكونوا على قدم الاستعداد للتحرك نحو الجزائر في اية لحظة . كانت المقاومة عنيفة وخلال أقل من خمس ساعات فقد الاسبان ١٨٠ ضابطاً و ٢٠٨٨ جندياً بين قتل وجرح ، وطوق المهاجمون من كل صوب ونفذت الذخيرة وظهر التعب على الاسبان . فقررت القيادة الانسحاب الى السفن . وكان صدى هذا الفشل كبيراً في الجزائر وكل افريقية الشمالية وتغنى الشعراء بهذا النصر كما جاء في الزهرة النيرة . واحيط المجاهدون بهالة من الأساطير طلت نائمة حتى اواخر القرن التاسع عشر . وقد تجلى في هذه المعركة اجماع الجزائريين على المقاومة ، فقد تدفق المحاربون من كل حذب وصوب وقدر عددهم بـ ٥٠ ألفاً بحضور بايات قسنطينة وتيطري ونائب باي مسكر . وعندما علم داي الجزائر باستعدادات اسبانية جديدة عمل على تقوية وسائل الدفاع وارسل ابن أخيه الى السلطان العثماني يحمل هدايا نفيسة ، وعاد هذا محملاً بالهدايا وبعض المواد اللازمة لصناعة السفن .

(1) De Grammont : P. 294

(2) محمد بن عبد القادر الجزائري : تحفة الزائر ص ١١٠

ولتجنب المخاطر حملها وعاد معها على سفينة فرنسية. ولكن الأسبان اعترضوا
السفينة واسروا البعوت الجزائري وحملوه السفينة. استغل الأسبان وجود
هذه الشخصية الهامة لديهم فحاولوا استغلالها للتقرب من الجزائر، فاحضروا
معاملة الأسير واطلقوا سراحه وإعادوه محملاً بالهدايا وبالمواد المصادرة.
ولكن هذه المحاولة لم تثر ورفض الداوي عروض الصلح.

وزاد وضع الحامية الأسبانية سوءاً في وهران فهي محصورة وراء
الأسوار على الدوام فتفك فيها الأوثى ويصف بالجند الجبن إلى الوطن ولم
يكن الجند يقضون رواتبهم بانتظام ولا يحصلون إلا على القليل وتقصير
الضرورات، ويعاملون بقسوة شديدة حتى وصلوا إلى غاية الإرهاق المادي
والنفسي، وصار أملهم الوحيد الهرب من هذا الجحيم. وكان الوقوع في
أسر الجزائريين يعتبر خلاصاً بالنسبة للكثيرين منهم.

حاول شارل الثالث ملك إسبانية تكوين حلف مع البرتغال والامارات
الابطالية تحت رعاية البابا بيوس السادس ولكنه فشل. واملت إسبانية بعد
انتصارها على الإنكليز خلال حرب الاستقلال (في جزر البليار) ان تكون
الجزائر أكثر تساهلاً في موضوع الصلح. وبعد ان عقدت معاهدة مع
السلطان ارسل هذا مبعوثاً إلى الجزائر ليمهد لعقد الصلح مع إسبانية. ولكن
الداوي ظل منسككاً بالرفض، واجاب أنه يعلم ان ملك إسبانية ينهى حملة
ضد الجزائر وأنه (اي الداوي) لا يرغب ان يظهر بمظهر الخائف. وحينئذ
قررت إسبانية اللجوء إلى السلاح وفي سنة ١٧٨٣ ارسلت اسطولاً قصف
الجزائر دون جدوى. وبعد ان فرغت ذخيرة الاسطول وبدأ بالانسحاب
هجمته السفن الجزائرية. ولم يحقق الهجوم اغراضه ونجح الداوي محمد
في إعادة التحصينات وتقويتها. ولما عاود الأسبان الهجوم سنة ١٧٨٤ لم يكن
قد بقي شيء من اثر الهجوم الأول. كان الهجوم الثاني سنة ١٧٨٤ يضم
اسطولاً أضخم اشتركت فيه نابولي ومالطة والبرتغال وباركه البابا. ولكن
سفن الجزائرية تصدت للاسطول في عرض البحر واحتطت الهجوم بعد

معركة صارية ولم تصب المدينة بأذى على عكس الهجوم الأول وتلك بفضل
بطولة اسفن الجزائرية التي تصدت للمهاجمين وحملت العبء عن المدينة.

وفي سنة ١٧٨٥ جاء وفد اسباني للمفاوضة من اجل الصلح، ولم
يكن في الجزائر من يرغب فيه، ومع ذلك نجحت المفاوضات بسلاسي
ورسنة. وبعد سنة من المفاوضات وقع الصلح الذي فرض على اسبانية مبلغاً
كبيراً من المال وتم الاتفاق على اخلاء وهران والمرسى الكبير. ولكن تسليمها
تأخر لأن بلاط مدريد كان يريد أن يحصل على شروط تجارية مجزية
ولكن الجزائر رفضت متحذ شياً، لأنها ادركت ان اسبانية تنقض لأخلاء
هذين المراكزين اللذين صاروا عبئاً عليها يكلفها الملايين من المال والآلاف
من الرجال.

وفي سنة ١٧٩٠ حدث زلزال كبير دمر كل بيوت وهران وتحصيناتها
وكاسها ودفع أكثر من ثلاثة آلاف شخص تحت الانقاض واشتد تضيق
الجزائريين على المحاصرين إبان هذه النازلة. ووصلت نجدة اسبانية قوية
ولكنها لم تغير الموقف. ولو أن الداوي أرسل نجدة إلى باي معسكر لسقطت
وهران ولكن الداوي خشي من طموح الباي وكان يعتقد بموجب المفاوضات
أن الأسبان سيخلون وهران، ولهذا رفض ارسال النجدة. ونتيجة لما الحقه
الزلزال من دمار وبسبب سوء حالة الحامية الأسبانية وخشية من التكاليف
الباهظة التي تتطلبها إعادة بناء التحصينات نصح المجلس الملكي الملك بأخلاء
وهران وبإفني المراكز الأسبانية مقابل مستودع في وهران وفي سنة ١٧٩١
وصلت سفارة اسبانية إلى الجزائر فشلت في مهمتها لأن الداوي رفض التنازل
عن شيء. ولكن حسن الذي كان كخليفة للداوي محمد الذي أقامه عجزه
وكبر سنه عاد قبل منح الأسبان إقامة مستودع قرب جامع الغزوات وسمح
لهم بشراء كمية من القمح كل عام وصيد المرجان على الساحل الغربي، وتم
الخلاء سنة ١٧٩٢. كلف هذا الاتفاق الأسبان الكثير لأنه فرض عليهم

الجلد ودفع مبلغ من المال سويًا، وإلا يمسدوا من فرطاجة المسلمين
والدخوة التي تفلوها من وهران كما فرض عليهم شرطاً مخزياً وهو أن يقيموا
أنفسهم نقل متنج وهران الذهبية إلى استبول مع جرتين من ماء نيس
وهران (١).

العلاقات الجزائرية - الفرنسية :

فقدت العلاقات بين الجزائر وأوربة عامة وبينها وبين فرنسا بصورة
خاصة للمعالجة عدة موضوعات ناجمة عن نشاط القرصنة وافتكالك الأسرى
والتجارة.

تميز القرن السادس عشر بالتعاون التركي - الجزائري - الفرنسي
في مجال القرصنة. وقد أدى الأسطول الجزائري بصفة خاصة خدمات جليلة
لفرنسة إبان صراعها المرير ضد إمبراطورية شارل كان. ولكن استقلال
الجزائر النعطي عن الدولة العثمانية حرر الجزائر من الارتباط بالسياسة
العثمانية واطلق يدها في البحر المتوسط. وتكرر الصدام بين السفن
الجزائرية والفرنسية مما أدى إلى اتصالات دبلوماسية مباشرة بين فرنسا
والجزائر وقد حالت حرب بينهما.

ويشغل موضوع الأسرى فصلاً هاماً في العلاقات بين البلدين. ولابد
أن نلاحظ أنه مثلما كان هناك أسرى مسيحيون في الجزائر، كان هناك أسرى
مسلمون لدى الأوربيين ولا سيما في إيطاليا ومالطة. وقد وجد نابليون سنة
١٧٩٨ حين احتل مالطة الفين من الأسرى المسلمين. وكان الأسرى من
الطرفين يعملون كمجذفين على السفن الإسلامية والمسيحية ويقول جوليان :
إن الأسرى المسيحيين كانوا يعاملون بقسوة أقل من الأسرى المسلمين الذين
يجدون على السفن الفرنسية، لأن المسلمين لم يكونوا يسمونهم بالحديد

(1) De Grammont : P. 344

المسيحي، وكانوا يحسون لهم بمعاملة عادلة لهم (١) ويقول الفصل
الأمريكي في الجزائر في نهاية القرن الثامن عشر (شطر) ... قد مسح
المدن كان يؤمن عليهم من الهرب بممارسة الأعمال المرمجة حتى ارتبطوا
ترك الجزائر أسفاً، واشتغل بعضهم الآخر في الحكومة. وكانت أيوا
السجون فتتح للمرهان الذين يصلون بالأسرى بحرية تامة (٢) وكان من
يدفع مبلغاً شهرياً يستطيع التجول بحرية في المدينة ليلاً. ولم يكن هناك
إكراه للأسرى على تغيير دينهم. وكان البعض يتحول إلى الإسلام رغبة في
الانتماء في المراكز في النيابة. وكان المسلمون يحسون انتماء المسيحيين
بما فيها أعلى المراكز في النيابة. وكان المسلمون يحسون انتماء المسيحيين
الذين يعملون في الحقول والبيوت عطلة يوم الأحد. وسحقوا للمرهان
بزيارة الأسرى والأشراف على الطقوس الدينية كما سحقوا بإقامة الكنائس
في معتقلات الأسرى الست في الجزائر. ولأنك في إن تركيز الكتاب الغربيين
الكبير على موضوع الأسرى المسلمين يعود إلى مارواه أو كنه الأسرى الذين
بهم وأغفاهم أمر الأسرى المسلمين يعود إلى مارواه أو كنه الأسرى الذين
أفقدوا، وكان بينهم عدد من الشخصيات البارزة، كالأب هايدو الذي ألف
كتاباً عن الجزائر، والشاعر الأسباني فيجيل دي سيرفاتس مؤلف « دون
كيخوت » الذي ظل أسيراً في الجزائر مدة خمسة أعوام حتى أفداه أحد
أبناء الترتينية « جوان سبيل دي فالانس ». وقد أشار سيرفاتس إلى حياة
الأسرى وخصص لها كوميدتين « معتقلات الجزائر Les bagnes d'Alger
وحياة الجزائر La Vie d'Alger كما تعرض لوضع الأسرى في كتابه
دون كيخوت (٣).

(1) Ch. A. Julien : Histoire de l'Afrique du Nord P. 280
(2) الدكتور صلاح العقاد : المغرب في بداية العصور الحديثة : ص ٧٨
(3) J. Debu - et Marc Benoist : La guerre qui paye Alger 1830
P. 25 - 26

وكان المؤسسات الدينية التي انضرفت الى مهمة اقتداء الأسرى كطائفة التريسية ، ونوتردام دو لامرسي ، والغازارين ، اثر كبير في المبالغة والتحويل في هذا الموضوع ليزوا عواطف الناس ويحصلوا على تبرعات كانت تتضاءل باستمرار . وقد نجح الغازاريون في ادخال الفكرة الدينية في السياسة الفرنسية ، وظلوا لفترة يقومون بمهمة القناصل الفرنسيين في الجزائر الاسرى ، وظلوا لفترة يقومون بمهمة القناصل الفرنسيين في الجزائر الاسرى ، ويبدو انه لم يكن لدى المسلمين ويتدخلون في المفاوضات المتعلقة بالاسرى . ولا نجد في الادب الجزائري مثل هذه المنظمات الماثلة ولعلها لم تكن تلقى ، فيما لو وجدت ، التسامح والحرية اللتين لقيتهما المؤسسات المسيحية . واذا كانت الحكومات المغربية في موضوع الاسرى ما يقابل الادب الاوربي . فانها كانت تلقى تعنتا من الاطراف الاوربية ولا سيما الفرنسية ، كما في عصر لويس الرابع عشر ، وذلك لحرص الفرنسيين على التمسك بالمجدفين الازليين لبحريتهم .

اما في ميدان التجارة ، وبالرغم من ان دور الجزائر لم يكن مقادلا لدور اساكل الشرق ، بسبب حالات الحرب والقرصنة ، وضعف الموارد الاقتصادية الجزائرية ومناخية المركز التجاري الفرنسي ، وبالرغم من الاخطار التي كان التجار الاوربيون يتعرضون لها في اوقات الفتن والاضطرابات ، فان تجارا من مختلف الاسم الاوربية كانوا يعيشون في الجزائر في كل وقت . وكانت الدول الاوربية حريصة على استمرار علاقاتها التجارية مع الجزائر . وكان المرجان والصوف والجلود والحبوب ، رغم القيود المفروضة على تصديرها ، اهم ما تصدره الجزائر بالإضافة الى التمور والبن والعنب المجفف . وكان التجار الفرنسيون يتاجرون في اغلب الاحيان ، بالتواطؤ مع القناصل ، بحاصل الاسلاب التي يبيعها لهم اليهود .

نشأت العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسة منذ العصور الوسطى وقبل ان تتوحد فرنسة في ظل الناجح الملكي . وكان ذلك بواسطة مدن الجنوب الفرنسي وخاصة مونبلييه وأرل ، ومرسيلية . كتب بنجامين

دوبلدي سنة ١١٧٠ ان مونبلييه كانت مكانا ملائما حيث كان المسلمون والمغاربة والمسيحيون يأتون للتجارة . وكانت الموانئ المفتوحة لتجار فرنسة الجنوبية هي : وهران وتيبس وبجاية والجزائر . وكان لوهران ، وكانت ميناء تلمسان ، اهمية كبيرة . ولكن حروب المئة عام في فرنسة والاريس السياسية والاقتصادية التي عصفت بالجزائر منذ القرن الرابع عشر ، اضعفت هذا النشاط التجاري . وبرزت مرسيلية منذ مطلع القرن السادس عشر بصورة خاصة ، اذ اختلكت التجارة الفرنسية في المتوسط وخاصة مع شمالي افريقية .

ويسجل دخول الجزائر في اطار الدولة العثمانية بداية عهد جديد . فقد قام تعاون فرنسي تركي اشبه بالتحالف سنة ١٥٣٥ ، تلاه تعاون فرنسي جزائري . وكان من اهم نتائج هذا التعاون ، الذي استمر طيلة عهد الكركيكوات ، حصول فرنسة على امتيازات خاصة على الشواطئ الجزائرية الشرقية تتعلق بالتجارة واحتكار صيد المرجان . ويكتف القموض اصل هذه الامتيازات ، ويرجعها بعضهم الى النصف الثاني من القرن الخامس عشر حيث حصل البروفانسون من الرؤساء المحليين على امتياز صيد المرجان بين طبرقة وبجاية (١) . ولكن الحادث الذي كان له اثر حاسم في العلاقات الجزائرية الفرنسية كان التعاون العثماني الفرنسي ضد شارلكنان . ويشير معظم الكتاب الفرنسيين الى ان معاهدة ١٥٣٥ بين فرانسوا الاول والسلطان سليمان قد نظمت العلاقات بين فرنسة والدولة العثمانية عامة وبين تونس والجزائر وفرنسة خاصة ، ولا سيما في ما يتعلق بصيد المرجان والسمك . الا انه ليس هناك وثيقة كاملة عن معاهدة ١٥٣٥ . ويرى رونوفان انها فيما يبدو كانت مشروعا عثر عليه لدى السفير الفرنسي جان لافوري لم يكن عليه اي توقيع (٢) . ولا نجد في هذا النص تخصيصا عن الامتيازات

(1) J. Debu - Bridel et M. Benoist : P. 29

(2) P. Renouvin : Histoire des relations internationales P. 69

الفرنسية في الجزائر (1) وقد كان هذا موضوع مباحثات خاصة مع غير
 الذين لم يخلطوا على أن هذا الاستقلال كان هذا الامتياز لم يتحقق فيه
 بعد الألفى لعقد الذي من القرن السادس عشر . ويشير هاردي إلى أن
 هذه فرنسا قد كانت تكونها بكونها (الجزائر الملك) بمرافقة السفير
 الفرنسي إلى استبول (الاستنبول) العربي من الجزائر إلى غابة فلم يجر
 إلا المحاولات بسفيرة بروفانس بوجه ريس كورسيكي قدم للسفير الفرنسي
 من تونس كبريه . واسفلق على الشركة المرسيلة التي تولت استغلال
 الامتياز اسم شركة الرجال نظرا للدور الذي كان الرجال يلعبه في التجارة
 فيه . وقد لاحظ بول ميسون أن دور الرجال لم يكن يقل عن دور
 العرب في القديم ، وله أهمية كبيرة في التجارة مع الشرق الأقصى بصورة
 خاصة حيث كان الأسبوريون عامة والهنود خاصة يقدرونه تقديرا عظيما .
 تكونت هذه الشركة على يد الاخوان لنس من تجار مرسيلية . وكانت
 الشركة انحصار اكثر منه اشتراك رؤوس اموال . ولكن الخلاف ما لبث
 أن بين الشركة كما أن العلاقات بدأت تتوتر بين فرنسا والجزائر منذ
 أواخر عصر البكركيون ، وكان القضية ترشح الدوق داتجو لعرش
 الجزائر اثر في هذا التوتر . ويشير هاردي وغيره انه في ايام شارل التاسع
 وبعد معركة ليات خطر ببال سكان الجزائر الذين اضطهدهم الاتراك ان
 يطلبوا ملكا من فرنسا سنة ١٥٧٢ ، وان ملك فرنسا شارل التاسع اخذ
 هذا الطلب مأخذا الجهد وكلف سفيره في استبول ان يتفاهم مع السلطان
 في هذا الموضوع وان يعرض عليه ترشح دوق داتجو . وفي الحقيقة ليس
 هناك ما يدعم هذا القول سوى ادعاء شارل التاسع نفسه كحجة يبرر بها
 طلبه الذي كان يهدف منه ابعاد اخيه . وقد بدا هذا الطلب غريبا حتى للسفير
 الفرنسي الذي رأى استحالة موافقة الباب العالي على مثل هذا المشروع الذي

انظر في القائمة

Hurewitz : Diplomacy in the Near and Middle East P. 1-2-3-4-5

(1) Ch. A. Julien : Histoire de l'Afrique du Nord P. 289

الجزائر (١) وقد كان هذا موضوع مباحثات خاصة مع غير
 الذين لم يخلطوا على أن هذا الاستقلال كان هذا الامتياز لم يتحقق فيه
 بعد الألفى لعقد الذي من القرن السادس عشر . ويشير هاردي إلى أن
 هذه فرنسا قد كانت تكونها بكونها (الجزائر الملك) بمرافقة السفير
 الفرنسي إلى استبول (الاستنبول) العربي من الجزائر إلى غابة فلم يجر
 إلا المحاولات بسفيرة بروفانس بوجه ريس كورسيكي قدم للسفير الفرنسي
 من تونس كبريه . واسفلق على الشركة المرسيلة التي تولت استغلال
 الامتياز اسم شركة الرجال نظرا للدور الذي كان الرجال يلعبه في التجارة
 فيه . وقد لاحظ بول ميسون أن دور الرجال لم يكن يقل عن دور
 العرب في القديم ، وله أهمية كبيرة في التجارة مع الشرق الأقصى بصورة
 خاصة حيث كان الأسبوريون عامة والهنود خاصة يقدرونه تقديرا عظيما .
 تكونت هذه الشركة على يد الاخوان لنس من تجار مرسيلية . وكانت
 الشركة انحصار اكثر منه اشتراك رؤوس اموال . ولكن الخلاف ما لبث
 أن بين الشركة كما أن العلاقات بدأت تتوتر بين فرنسا والجزائر منذ
 أواخر عصر البكركيون ، وكان القضية ترشح الدوق داتجو لعرش
 الجزائر اثر في هذا التوتر . ويشير هاردي وغيره انه في ايام شارل التاسع
 وبعد معركة ليات خطر ببال سكان الجزائر الذين اضطهدهم الاتراك ان
 يطلبوا ملكا من فرنسا سنة ١٥٧٢ ، وان ملك فرنسا شارل التاسع اخذ
 هذا الطلب مأخذا الجهد وكلف سفيره في استبول ان يتفاهم مع السلطان
 في هذا الموضوع وان يعرض عليه ترشح دوق داتجو . وفي الحقيقة ليس
 هناك ما يدعم هذا القول سوى ادعاء شارل التاسع نفسه كحجة يبرر بها
 طلبه الذي كان يهدف منه ابعاد اخيه . وقد بدا هذا الطلب غريبا حتى للسفير
 الفرنسي الذي رأى استحالة موافقة الباب العالي على مثل هذا المشروع الذي

الجزائر (١) وقد كان هذا موضوع مباحثات خاصة مع غير
 الذين لم يخلطوا على أن هذا الاستقلال كان هذا الامتياز لم يتحقق فيه
 بعد الألفى لعقد الذي من القرن السادس عشر . ويشير هاردي إلى أن
 هذه فرنسا قد كانت تكونها بكونها (الجزائر الملك) بمرافقة السفير
 الفرنسي إلى استبول (الاستنبول) العربي من الجزائر إلى غابة فلم يجر
 إلا المحاولات بسفيرة بروفانس بوجه ريس كورسيكي قدم للسفير الفرنسي
 من تونس كبريه . واسفلق على الشركة المرسيلة التي تولت استغلال
 الامتياز اسم شركة الرجال نظرا للدور الذي كان الرجال يلعبه في التجارة
 فيه . وقد لاحظ بول ميسون أن دور الرجال لم يكن يقل عن دور
 العرب في القديم ، وله أهمية كبيرة في التجارة مع الشرق الأقصى بصورة
 خاصة حيث كان الأسبوريون عامة والهنود خاصة يقدرونه تقديرا عظيما .
 تكونت هذه الشركة على يد الاخوان لنس من تجار مرسيلية . وكانت
 الشركة انحصار اكثر منه اشتراك رؤوس اموال . ولكن الخلاف ما لبث
 أن بين الشركة كما أن العلاقات بدأت تتوتر بين فرنسا والجزائر منذ
 أواخر عصر البكركيون ، وكان القضية ترشح الدوق داتجو لعرش
 الجزائر اثر في هذا التوتر . ويشير هاردي وغيره انه في ايام شارل التاسع
 وبعد معركة ليات خطر ببال سكان الجزائر الذين اضطهدهم الاتراك ان
 يطلبوا ملكا من فرنسا سنة ١٥٧٢ ، وان ملك فرنسا شارل التاسع اخذ
 هذا الطلب مأخذا الجهد وكلف سفيره في استبول ان يتفاهم مع السلطان
 في هذا الموضوع وان يعرض عليه ترشح دوق داتجو . وفي الحقيقة ليس
 هناك ما يدعم هذا القول سوى ادعاء شارل التاسع نفسه كحجة يبرر بها
 طلبه الذي كان يهدف منه ابعاد اخيه . وقد بدا هذا الطلب غريبا حتى للسفير
 الفرنسي الذي رأى استحالة موافقة الباب العالي على مثل هذا المشروع الذي

الجزائر (١) وقد كان هذا موضوع مباحثات خاصة مع غير
 الذين لم يخلطوا على أن هذا الاستقلال كان هذا الامتياز لم يتحقق فيه
 بعد الألفى لعقد الذي من القرن السادس عشر . ويشير هاردي إلى أن
 هذه فرنسا قد كانت تكونها بكونها (الجزائر الملك) بمرافقة السفير
 الفرنسي إلى استبول (الاستنبول) العربي من الجزائر إلى غابة فلم يجر
 إلا المحاولات بسفيرة بروفانس بوجه ريس كورسيكي قدم للسفير الفرنسي
 من تونس كبريه . واسفلق على الشركة المرسيلة التي تولت استغلال
 الامتياز اسم شركة الرجال نظرا للدور الذي كان الرجال يلعبه في التجارة
 فيه . وقد لاحظ بول ميسون أن دور الرجال لم يكن يقل عن دور
 العرب في القديم ، وله أهمية كبيرة في التجارة مع الشرق الأقصى بصورة
 خاصة حيث كان الأسبوريون عامة والهنود خاصة يقدرونه تقديرا عظيما .
 تكونت هذه الشركة على يد الاخوان لنس من تجار مرسيلية . وكانت
 الشركة انحصار اكثر منه اشتراك رؤوس اموال . ولكن الخلاف ما لبث
 أن بين الشركة كما أن العلاقات بدأت تتوتر بين فرنسا والجزائر منذ
 أواخر عصر البكركيون ، وكان القضية ترشح الدوق داتجو لعرش
 الجزائر اثر في هذا التوتر . ويشير هاردي وغيره انه في ايام شارل التاسع
 وبعد معركة ليات خطر ببال سكان الجزائر الذين اضطهدهم الاتراك ان
 يطلبوا ملكا من فرنسا سنة ١٥٧٢ ، وان ملك فرنسا شارل التاسع اخذ
 هذا الطلب مأخذا الجهد وكلف سفيره في استبول ان يتفاهم مع السلطان
 في هذا الموضوع وان يعرض عليه ترشح دوق داتجو . وفي الحقيقة ليس
 هناك ما يدعم هذا القول سوى ادعاء شارل التاسع نفسه كحجة يبرر بها
 طلبه الذي كان يهدف منه ابعاد اخيه . وقد بدا هذا الطلب غريبا حتى للسفير
 الفرنسي الذي رأى استحالة موافقة الباب العالي على مثل هذا المشروع الذي

177

۱۸۸۸
 ۱۸۸۹
 ۱۸۹۰
 ۱۸۹۱
 ۱۸۹۲
 ۱۸۹۳
 ۱۸۹۴
 ۱۸۹۵
 ۱۸۹۶
 ۱۸۹۷
 ۱۸۹۸
 ۱۸۹۹
 ۱۹۰۰
 ۱۹۰۱
 ۱۹۰۲
 ۱۹۰۳
 ۱۹۰۴
 ۱۹۰۵
 ۱۹۰۶
 ۱۹۰۷
 ۱۹۰۸
 ۱۹۰۹
 ۱۹۱۰
 ۱۹۱۱
 ۱۹۱۲
 ۱۹۱۳
 ۱۹۱۴
 ۱۹۱۵
 ۱۹۱۶
 ۱۹۱۷
 ۱۹۱۸
 ۱۹۱۹
 ۱۹۲۰
 ۱۹۲۱
 ۱۹۲۲
 ۱۹۲۳
 ۱۹۲۴
 ۱۹۲۵
 ۱۹۲۶
 ۱۹۲۷
 ۱۹۲۸
 ۱۹۲۹
 ۱۹۳۰
 ۱۹۳۱
 ۱۹۳۲
 ۱۹۳۳
 ۱۹۳۴
 ۱۹۳۵
 ۱۹۳۶
 ۱۹۳۷
 ۱۹۳۸
 ۱۹۳۹
 ۱۹۴۰
 ۱۹۴۱
 ۱۹۴۲
 ۱۹۴۳
 ۱۹۴۴
 ۱۹۴۵
 ۱۹۴۶
 ۱۹۴۷
 ۱۹۴۸
 ۱۹۴۹
 ۱۹۵۰
 ۱۹۵۱
 ۱۹۵۲
 ۱۹۵۳
 ۱۹۵۴
 ۱۹۵۵
 ۱۹۵۶
 ۱۹۵۷
 ۱۹۵۸
 ۱۹۵۹
 ۱۹۶۰
 ۱۹۶۱
 ۱۹۶۲
 ۱۹۶۳
 ۱۹۶۴
 ۱۹۶۵
 ۱۹۶۶
 ۱۹۶۷
 ۱۹۶۸
 ۱۹۶۹
 ۱۹۷۰
 ۱۹۷۱
 ۱۹۷۲
 ۱۹۷۳
 ۱۹۷۴
 ۱۹۷۵
 ۱۹۷۶
 ۱۹۷۷
 ۱۹۷۸
 ۱۹۷۹
 ۱۹۸۰
 ۱۹۸۱
 ۱۹۸۲
 ۱۹۸۳
 ۱۹۸۴
 ۱۹۸۵
 ۱۹۸۶
 ۱۹۸۷
 ۱۹۸۸
 ۱۹۸۹
 ۱۹۹۰
 ۱۹۹۱
 ۱۹۹۲
 ۱۹۹۳
 ۱۹۹۴
 ۱۹۹۵
 ۱۹۹۶
 ۱۹۹۷
 ۱۹۹۸
 ۱۹۹۹
 ۲۰۰۰
 ۲۰۰۱
 ۲۰۰۲
 ۲۰۰۳
 ۲۰۰۴
 ۲۰۰۵
 ۲۰۰۶
 ۲۰۰۷
 ۲۰۰۸
 ۲۰۰۹
 ۲۰۱۰
 ۲۰۱۱
 ۲۰۱۲
 ۲۰۱۳
 ۲۰۱۴
 ۲۰۱۵
 ۲۰۱۶
 ۲۰۱۷
 ۲۰۱۸
 ۲۰۱۹
 ۲۰۲۰
 ۲۰۲۱
 ۲۰۲۲
 ۲۰۲۳
 ۲۰۲۴
 ۲۰۲۵
 ۲۰۲۶
 ۲۰۲۷
 ۲۰۲۸
 ۲۰۲۹
 ۲۰۳۰
 ۲۰۳۱
 ۲۰۳۲
 ۲۰۳۳
 ۲۰۳۴
 ۲۰۳۵
 ۲۰۳۶
 ۲۰۳۷
 ۲۰۳۸
 ۲۰۳۹
 ۲۰۴۰
 ۲۰۴۱
 ۲۰۴۲
 ۲۰۴۳
 ۲۰۴۴
 ۲۰۴۵
 ۲۰۴۶
 ۲۰۴۷
 ۲۰۴۸
 ۲۰۴۹
 ۲۰۵۰
 ۲۰۵۱
 ۲۰۵۲
 ۲۰۵۳
 ۲۰۵۴
 ۲۰۵۵
 ۲۰۵۶
 ۲۰۵۷
 ۲۰۵۸
 ۲۰۵۹
 ۲۰۶۰
 ۲۰۶۱
 ۲۰۶۲
 ۲۰۶۳
 ۲۰۶۴
 ۲۰۶۵
 ۲۰۶۶
 ۲۰۶۷
 ۲۰۶۸
 ۲۰۶۹
 ۲۰۷۰
 ۲۰۷۱
 ۲۰۷۲
 ۲۰۷۳
 ۲۰۷۴
 ۲۰۷۵
 ۲۰۷۶
 ۲۰۷۷
 ۲۰۷۸
 ۲۰۷۹
 ۲۰۸۰
 ۲۰۸۱
 ۲۰۸۲
 ۲۰۸۳
 ۲۰۸۴
 ۲۰۸۵
 ۲۰۸۶
 ۲۰۸۷
 ۲۰۸۸
 ۲۰۸۹
 ۲۰۹۰
 ۲۰۹۱
 ۲۰۹۲
 ۲۰۹۳
 ۲۰۹۴
 ۲۰۹۵
 ۲۰۹۶
 ۲۰۹۷
 ۲۰۹۸
 ۲۰۹۹
 ۲۱۰۰
 ۲۱۰۱
 ۲۱۰۲
 ۲۱۰۳
 ۲۱۰۴
 ۲۱۰۵
 ۲۱۰۶
 ۲۱۰۷
 ۲۱۰۸
 ۲۱۰۹
 ۲۱۱۰
 ۲۱۱۱
 ۲۱۱۲
 ۲۱۱۳
 ۲۱۱۴
 ۲۱۱۵
 ۲۱۱۶
 ۲۱۱۷
 ۲۱۱۸
 ۲۱۱۹
 ۲۱۲۰
 ۲۱۲۱
 ۲۱۲۲
 ۲۱۲۳
 ۲۱۲۴
 ۲۱۲۵
 ۲۱۲۶
 ۲۱۲۷
 ۲۱۲۸
 ۲۱۲۹
 ۲۱۳۰
 ۲۱۳۱
 ۲۱۳۲
 ۲۱۳۳
 ۲۱۳۴
 ۲۱۳۵
 ۲۱۳۶
 ۲۱۳۷
 ۲۱۳۸
 ۲۱۳۹
 ۲۱۴۰
 ۲۱۴۱
 ۲۱۴۲
 ۲۱۴۳
 ۲۱۴۴
 ۲۱۴۵
 ۲۱۴۶
 ۲۱۴۷
 ۲۱۴۸
 ۲۱۴۹
 ۲۱۵۰
 ۲۱۵۱
 ۲۱۵۲
 ۲۱۵۳
 ۲۱۵۴
 ۲۱۵۵
 ۲۱۵۶
 ۲۱۵۷
 ۲۱۵۸
 ۲۱۵۹
 ۲۱۶۰
 ۲۱۶۱
 ۲۱۶۲
 ۲۱۶۳
 ۲۱۶۴
 ۲۱۶۵
 ۲۱۶۶
 ۲۱۶۷
 ۲۱۶۸
 ۲۱۶۹
 ۲۱۷۰
 ۲۱۷۱
 ۲۱۷۲
 ۲۱۷۳
 ۲۱۷۴
 ۲۱۷۵
 ۲۱۷۶
 ۲۱۷۷
 ۲۱۷۸
 ۲۱۷۹
 ۲۱۸۰
 ۲۱۸۱
 ۲۱۸۲
 ۲۱۸۳
 ۲۱۸۴
 ۲۱۸۵
 ۲۱۸۶
 ۲۱۸۷
 ۲۱۸۸
 ۲۱۸۹
 ۲۱۹۰
 ۲۱۹۱
 ۲۱۹۲
 ۲۱۹۳
 ۲۱۹۴
 ۲۱۹۵
 ۲۱۹۶
 ۲۱۹۷
 ۲۱۹۸
 ۲۱۹۹
 ۲۲۰۰
 ۲۲۰۱
 ۲۲۰۲

[illegible]

١٧) Ch. A. Julien: Histoire de l'Afrique
القبلي أو إفريقية عذراء فيها ما ينطق بالحق في السنين الأولى
وقد ان البيرن لوديس الراس على السلطة فيكون السنين الأولى
ويعلم أن إفريقية

[illegible][illegible][illegible]

Handwritten text in a cursive script, likely a continuation of the letter or a separate note, written on a piece of paper with a decorative border.

[illegible]

٨٧٠ في سنة ١٢٨١ - ٧٨١ هـ ١٠٠٠

Handwritten text in Arabic script, likely a continuation of the previous page, mentioning "الشيخ" (the scholar) and "الشيخ" (the scholar).

[illegible]

॥ श्रीगणेशाय नमः ॥

הנהגתו של המלך היתה כדלהלן:

יתן ה' חסדו ורחמי
 ויחנן יתן ויחנן

Handwritten text in Arabic script, likely a continuation of the manuscript's content.

Handwritten musical notation on three staves.

Handwritten text in Arabic script, likely a continuation of the manuscript's content.

10/11/12
 13/14/15
 16/17/18
 19/20/21
 22/23/24
 25/26/27
 28/29/30
 31/32/33
 34/35/36
 37/38/39
 40/41/42
 43/44/45
 46/47/48
 49/50/51
 52/53/54
 55/56/57
 58/59/60
 61/62/63
 64/65/66
 67/68/69
 70/71/72
 73/74/75
 76/77/78
 79/80/81
 82/83/84
 85/86/87
 88/89/90
 91/92/93
 94/95/96
 97/98/99
 100/101/102
 103/104/105
 106/107/108
 109/110/111
 112/113/114
 115/116/117
 118/119/120
 121/122/123
 124/125/126
 127/128/129
 130/131/132
 133/134/135
 136/137/138
 139/140/141
 142/143/144
 145/146/147
 148/149/150
 151/152/153
 154/155/156
 157/158/159
 160/161/162
 163/164/165
 166/167/168
 169/170/171
 172/173/174
 175/176/177
 178/179/180
 181/182/183
 184/185/186
 187/188/189
 190/191/192
 193/194/195
 196/197/198
 199/200/201
 202/203/204
 205/206/207
 208/209/210
 211/212/213
 214/215/216
 217/218/219
 220/221/222
 223/224/225
 226/227/228
 229/230/231
 232/233/234
 235/236/237
 238/239/240
 241/242/243
 244/245/246
 247/248/249
 250/251/252
 253/254/255
 256/257/258
 259/260/261
 262/263/264
 265/266/267
 268/269/270
 271/272/273
 274/275/276
 277/278/279
 280/281/282
 283/284/285
 286/287/288
 289/290/291
 292/293/294
 295/296/297
 298/299/300
 301/302/303
 304/305/306
 307/308/309
 310/311/312
 313/314/315
 316/317/318
 319/320/321
 322/323/324
 325/326/327
 328/329/330
 331/332/333
 334/335/336
 337/338/339
 340/341/342
 343/344/345
 346/347/348
 349/350/351
 352/353/354
 355/356/357
 358/359/360
 361/362/363
 364/365/366
 367/368/369
 370/371/372
 373/374/375
 376/377/378
 379/380/381
 382/383/384
 385/386/387
 388/389/390
 391/392/393
 394/395/396
 397/398/399
 400/401/402
 403/404/405
 406/407/408
 409/410/411
 412/413/414
 415/416/417
 418/419/420
 421/422/423
 424/425/426
 427/428/429
 430/431/432
 433/434/435
 436/437/438
 439/440/441
 442/443/444
 445/446/447
 448/449/450
 451/452/453
 454/455/456
 457/458/459
 460/461/462
 463/464/465
 466/467/468
 469/470/471
 472/473/474
 475/476/477
 478/479/480
 481/482/483
 484/485/486
 487/488/489
 490/491/492
 493/494/495
 496/497/498
 499/500/501
 502/503/504
 505/506/507
 508/509/510
 511/512/513
 514/515/516
 517/518/519
 520/521/522
 523/524/525
 526/527/528
 529/530/531
 532/533/534
 535/536/537
 538/539/540
 541/542/543
 544/545/546
 547/548/549
 550/551/552
 553/554/555
 556/557/558
 559/560/561
 562/563/564
 565/566/567
 568/569/570
 571/572/573
 574/575/576
 577/578/579
 580/581/582
 583/584/585
 586/587/588
 589/590/591
 592/593/594
 595/596/597
 598/599/600
 601/602/603
 604/605/606
 607/608/609
 610/611/612
 613/614/615
 616/617/618
 619/620/621
 622/623/624
 625/626/627
 628/629/630
 631/632/633
 634/635/636
 637/638/639
 640/641/642
 643/644/645
 646/647/648
 649/650/651
 652/653/654
 655/656/657
 658/659/660
 661/662/663
 664/665/666
 667/668/669
 670/671/672
 673/674/675
 676/677/678
 679/680/681
 682/683/684
 685/686/687
 688/689/690
 691/692/693
 694/695/696
 697/698/699
 700/701/702
 703/704/705
 706/707/708
 709/710/711
 712/713/714
 715/716/717
 718/719/720
 721/722/723
 724/725/726
 727/728/729
 730/731/732
 733/734/735
 736/737/738
 739/740/741
 742/743/744
 745/746/747
 748/749/750
 751/752/753
 754/755/756
 757/758/759
 760/761/762
 763/764/765
 766/767/768
 769/770/771
 772/773/774
 775/776/777
 778/779/780
 781/782/783
 784/785/786
 787/788/789
 790/791/792
 793/7

Handwritten text in Arabic script, likely a continuation of the previous page.

...
 ...
 ...
 ...

۱۸۰۰
 ۱۸۰۱
 ۱۸۰۲
 ۱۸۰۳

Handwritten text in Arabic script, likely from a manuscript.

[illegible][illegible]

1927 11 11 11 11 11 11

[illegible]

Handwritten notes in Urdu script:

۱۔ حضرت علیؓ نے فرمایا کہ جو شخص اپنے آپ کو خدا کا رسول سمجھے وہ کافر ہے
۲۔ حضرت علیؓ نے فرمایا کہ جو شخص اپنے آپ کو خدا کا رسول سمجھے وہ کافر ہے

• ١٠٠٠ •
• ١٠٠٠ •

[illegible]

١٠٠٠
 ١٠٠٠

...
...
...
...

۱۸۲۱
 ۱۸۲۲
 ۱۸۲۳
 ۱۸۲۴
 ۱۸۲۵
 ۱۸۲۶
 ۱۸۲۷
 ۱۸۲۸
 ۱۸۲۹
 ۱۸۳۰
 ۱۸۳۱
 ۱۸۳۲
 ۱۸۳۳
 ۱۸۳۴
 ۱۸۳۵
 ۱۸۳۶
 ۱۸۳۷
 ۱۸۳۸
 ۱۸۳۹
 ۱۸۴۰
 ۱۸۴۱
 ۱۸۴۲
 ۱۸۴۳
 ۱۸۴۴
 ۱۸۴۵
 ۱۸۴۶
 ۱۸۴۷
 ۱۸۴۸
 ۱۸۴۹
 ۱۸۵۰
 ۱۸۵۱
 ۱۸۵۲
 ۱۸۵۳
 ۱۸۵۴
 ۱۸۵۵
 ۱۸۵۶
 ۱۸۵۷
 ۱۸۵۸
 ۱۸۵۹
 ۱۸۶۰
 ۱۸۶۱
 ۱۸۶۲
 ۱۸۶۳
 ۱۸۶۴
 ۱۸۶۵
 ۱۸۶۶
 ۱۸۶۷
 ۱۸۶۸
 ۱۸۶۹
 ۱۸۷۰
 ۱۸۷۱
 ۱۸۷۲
 ۱۸۷۳
 ۱۸۷۴
 ۱۸۷۵
 ۱۸۷۶
 ۱۸۷۷
 ۱۸۷۸
 ۱۸۷۹
 ۱۸۸۰
 ۱۸۸۱
 ۱۸۸۲
 ۱۸۸۳
 ۱۸۸۴
 ۱۸۸۵
 ۱۸۸۶
 ۱۸۸۷
 ۱۸۸۸
 ۱۸۸۹
 ۱۸۹۰
 ۱۸۹۱
 ۱۸۹۲
 ۱۸۹۳
 ۱۸۹۴
 ۱۸۹۵
 ۱۸۹۶
 ۱۸۹۷
 ۱۸۹۸
 ۱۸۹۹
 ۱۹۰۰
 ۱۹۰۱
 ۱۹۰۲
 ۱۹۰۳
 ۱۹۰۴
 ۱۹۰۵
 ۱۹۰۶
 ۱۹۰۷
 ۱۹۰۸
 ۱۹۰۹
 ۱۹۱۰
 ۱۹۱۱
 ۱۹۱۲
 ۱۹۱۳
 ۱۹۱۴
 ۱۹۱۵
 ۱۹۱۶
 ۱۹۱۷
 ۱۹۱۸
 ۱۹۱۹
 ۱۹۲۰
 ۱۹۲۱
 ۱۹۲۲
 ۱۹۲۳
 ۱۹۲۴
 ۱۹۲۵
 ۱۹۲۶
 ۱۹۲۷
 ۱۹۲۸
 ۱۹۲۹
 ۱۹۳۰
 ۱۹۳۱
 ۱۹۳۲
 ۱۹۳۳
 ۱۹۳۴
 ۱۹۳۵
 ۱۹۳۶
 ۱۹۳۷
 ۱۹۳۸
 ۱۹۳۹
 ۱۹۴۰
 ۱۹۴۱
 ۱۹۴۲
 ۱۹۴۳
 ۱۹۴۴
 ۱۹۴۵
 ۱۹۴۶
 ۱۹۴۷
 ۱۹۴۸
 ۱۹۴۹
 ۱۹۵۰
 ۱۹۵۱
 ۱۹۵۲
 ۱۹۵۳
 ۱۹۵۴
 ۱۹۵۵
 ۱۹۵۶
 ۱۹۵۷
 ۱۹۵۸
 ۱۹۵۹
 ۱۹۶۰
 ۱۹۶۱
 ۱۹۶۲
 ۱۹۶۳
 ۱۹۶۴
 ۱۹۶۵
 ۱۹۶۶
 ۱۹۶۷
 ۱۹۶۸
 ۱۹۶۹
 ۱۹۷۰
 ۱۹۷۱
 ۱۹۷۲
 ۱۹۷۳
 ۱۹۷۴
 ۱۹۷۵
 ۱۹۷۶
 ۱۹۷۷
 ۱۹۷۸
 ۱۹۷۹
 ۱۹۸۰
 ۱۹۸۱
 ۱۹۸۲
 ۱۹۸۳
 ۱۹۸۴
 ۱۹۸۵
 ۱۹۸۶
 ۱۹۸۷
 ۱۹۸۸
 ۱۹۸۹
 ۱۹۹۰
 ۱۹۹۱
 ۱۹۹۲
 ۱۹۹۳
 ۱۹۹۴
 ۱۹۹۵
 ۱۹۹۶
 ۱۹۹۷
 ۱۹۹۸
 ۱۹۹۹
 ۲۰۰۰
 ۲۰۰۱
 ۲۰۰۲
 ۲۰۰۳
 ۲۰۰۴
 ۲۰۰۵
 ۲۰۰۶
 ۲۰۰۷
 ۲۰۰۸
 ۲۰۰۹
 ۲۰۱۰
 ۲۰۱۱
 ۲۰۱۲
 ۲۰۱۳
 ۲۰۱۴
 ۲۰۱۵
 ۲۰۱۶
 ۲۰۱۷
 ۲۰۱۸
 ۲۰۱۹
 ۲۰۲۰
 ۲۰۲۱
 ۲۰۲۲
 ۲۰۲۳
 ۲۰۲۴
 ۲۰۲۵
 ۲۰۲۶
 ۲۰۲۷
 ۲۰۲۸
 ۲۰۲۹
 ۲۰۳۰
 ۲۰۳۱
 ۲۰۳۲
 ۲۰۳۳
 ۲۰۳۴
 ۲۰۳۵
 ۲۰۳۶
 ۲۰۳۷
 ۲۰۳۸
 ۲۰۳۹
 ۲۰۴۰
 ۲۰۴۱
 ۲۰۴۲
 ۲۰۴۳
 ۲۰۴۴
 ۲۰۴۵
 ۲۰۴۶
 ۲۰۴۷
 ۲۰۴۸
 ۲۰۴۹
 ۲۰۵۰
 ۲۰۵۱
 ۲۰۵۲
 ۲۰۵۳
 ۲۰۵۴
 ۲۰۵۵
 ۲۰۵۶
 ۲۰۵۷
 ۲۰۵۸
 ۲۰۵۹
 ۲۰۶۰
 ۲۰۶۱
 ۲۰۶۲
 ۲۰۶۳
 ۲۰۶۴
 ۲۰۶۵
 ۲۰۶۶
 ۲۰۶۷
 ۲۰۶۸
 ۲۰۶۹
 ۲۰۷۰
 ۲۰۷۱
 ۲۰۷۲
 ۲۰۷۳
 ۲۰۷۴
 ۲۰۷۵
 ۲۰۷۶
 ۲۰۷۷
 ۲۰۷۸
 ۲۰۷۹
 ۲۰۸۰
 ۲۰۸۱
 ۲۰۸۲
 ۲۰۸۳
 ۲۰۸۴
 ۲۰۸۵
 ۲۰۸۶
 ۲۰۸۷
 ۲۰۸۸
 ۲۰۸۹
 ۲۰۹۰
 ۲۰۹۱
 ۲۰۹۲
 ۲۰۹۳
 ۲۰۹۴
 ۲۰۹۵
 ۲۰۹۶
 ۲۰۹۷
 ۲۰۹۸
 ۲۰۹۹
 ۲۱۰۰
 ۲۱۰۱
 ۲۱۰۲
 ۲۱۰۳
 ۲۱۰۴
 ۲۱۰۵
 ۲۱۰۶
 ۲۱۰۷
 ۲۱۰۸
 ۲۱۰۹
 ۲۱۱۰
 ۲۱۱۱
 ۲۱۱۲
 ۲۱۱۳
 ۲۱۱۴
 ۲۱۱۵
 ۲۱۱۶
 ۲۱۱۷
 ۲۱۱۸
 ۲۱۱۹
 ۲۱۲۰
 ۲۱۲۱
 ۲۱۲۲
 ۲۱۲۳
 ۲۱۲۴
 ۲۱۲۵
 ۲۱۲۶
 ۲۱۲۷
 ۲۱۲۸
 ۲۱۲۹
 ۲۱۳۰
 ۲۱۳۱
 ۲۱۳۲
 ۲۱۳۳
 ۲۱۳۴
 ۲۱۳۵

... ..

Handwritten text in Arabic script, likely from a manuscript.

[illegible]

[Faint handwritten Arabic script]

[illegible][illegible]

بأنها كلفت ديفال بالتدخل لدى الداي لصالح دولة البابا والمطالبة بوضع
ضمن احترام الراية البابوية . ولكن الداي رفض هذا الطلب .

ما حدث كشاشة الذباب ١٨٢٧ :

جرت المقابلة المثيرة في عيد الفطر / ١٢٤٣ - ١٨٢٧ / ودار الحوار
فيها بالتركة التي كان ديفال يجيد التحدث بها . وقد فتح الداي الحديث
مباشرة حول العلاقات بين البلدين . وكان الداي شديد التأثر من عدم الرد
على رسائله المتعلقة بديون اليهوديين . وقد ذكر ديفال في تقريره عن المقابلة
أن الداي اعتبر أنه عومل بهذا الصمت كشخص نافه مشرد ، وأنهم ديفال
أنه كان السبب في هذا التجاهل ووصفه بأنه حيث غير أمين . وفي كتاب الداي
إلى السلطان أكد أنه وجه للفصل عبارات لينة محتفظا بموقف ودي وأنه
سأله : « لماذا لم يصل جواب على رسائلي المكتوبة والمرسلة إلى
حكومتكم » . ويقول ديفال في تقريره أنه برر موقف حكومته مذكرا
أنه حمل الجواب إلى الداي فور وصوله . أما كتاب الداي إلى السلطان فيعطي
صورة أخرى ، يقول الداي : « ان الفصل المذكور بعنايه وعجرفة
أجاب ، عبارات ودية ، أن ملك وحكومة فرنسا لا يمكن أن ترسل اجوبة
على الرسائل التي ارسلتها اليها ، وتجراً فلفظ بكلام يسيء للمدين الاسلامي
ويشرف السلطان » . ويقول ديفال في تقريره أن الداي قام من
تفعله حينذاك ووجه له ثلاث ضربات من كشاشة الذباب وطلب منه
الانسحاب ، ولكن الداي يقول في كتابه أنه لم يستطع تحمل هذه الوقاحة
والأهانة التي تجاوز حدود التحمل فضربه مرتين أو ثلاث مرات ضرباً خفيفاً
بكشاشة الذباب (١) . ولم يثر ديفال وحاول أن يبرر موقفه وبين للداي أنه

(١) يذكر أسكن العوار الذي جرى بين الداي وديفال فيقول : بدأ الداي الحديث بسؤال
الفصل عن صحة الأخبار التي وصلت إلى الجزائر من أن انكلترة قد أعلنت الحرب على
فرنسة فأجاب الفصل أن هذه الأخبار غير صحيحة وأن مصدرها الانطرابات التي قامت
في البريقال وقد امتنعت فرنسا عن التدخل فيها . فقال الداي « علكم ان تسمع فرنسا »

كلف حسب تعليمات حكومته بنقل جواب الوزارة وأنه نقله بإمانة فاشتي
داي حيث أن الفرنسيين قد افاموا حول مؤسساتهم في الجزائر تحصينات ،
مخالفين بذلك المعاهدات ، وأعلن أنه لا يرغب أبداً أن يكون على الأرض
اجرازة معنف واحد للكفار ، ولم يترك الداي لديفال فرصة للرد وأمره
بالانصراف .

ولم يسرع ديفال بكتابة تقريره بل طاف بوزراء الداي يصف لهم
ما حدث املاً في الحصول على مساعدتهم ، ولكنه فشل . وقد اجابه احدهم
: « ... ينبغي منع كسر الزجاج ولكن عندما ينكسر فاي علاج لذلك ... »
واعتبر ديفال في تقريره ان هذه الاهانة وطنية وليست شخصية في حين ان
الداي حسين كان يؤكد ، قبل سقوطه ، وبعدة ، على انطاع اشخصي المحض
لحركه ويرفض ان يعتبر ديفال الذي كان يحقره مثلاً لفرنسة . وحملت
الأوساط القصلية في الجزائر واواساط موالي البحر المتوسط مسؤولية ديفال
مسؤولية ما حدث واعتبرت أنه قد دفع بوقاحته الداي الى فعل ما فعل . ولم
تخط هذه الأوساط للحدث الاهمية التي اعطتها له الحكومة الفرنسية .

انكلترة كل ما تريبه ولا تغطي شيئاً فقال ديفال « يبدو لي باسبغتي أن حكومة الملك
قد منحكم على العوام كل ما باستطاعتها » فقال الداي « لماذا إذن لم يجب وزيركم على
رسائلي » ؟ فقال ديفال « لم الشرف أن أحمل اليكم الجواب السفهي حلاً لتلقينه . فقال
الداي « لماذا لم يجئني مباشرة ؟ هل أنا شخص قائم ؟ انك انت السبب في اني لم اتلق
جواباً من وزيركم . انت انت الذي اثرت عليه ان لا يكتب الي . انك حيث كافر وتسيء »
فقال ديفال « ان حكومتني لن تكتب اليك . ان هذا غير معده . » وحينئذ خرج الداي عن
طوره فنهض وأمر الفصل بالانصراف ولكن ديفال لم يتحرك فعصره بكشاشة الذباب .
انظر : G. Esquer : P. 62

وفي تقرير ديفال وتفصل ساردينية الذي علم بالحدث عن طريق ديفال نجد ان الداي
عصر ديفال بكشاشة الذباب دون أي استعزاز من جانب ديفال في حين أن رسالة الداي
إلى السلطان الضماني وتصريحه للضابط الفرنسي بيزار سنة ١٨٢٨ وإلى لاويوتو
سنة ١٨٢٩ . وما جاء في رسالة تفصل انكلترة سنة ١٨٢٧ الذي علم بالحدث من
حاشية الداي . وما جاء في كتاب حمدان بن عثمان حويط « المرأة » ، يؤكد ان الداي ضرب
ديفال بسبب وقاحته وتطاوله . ويشير أسكن إلى أنه هناك قولاً كان شائعاً في الجزائر
أن الداي هدد ديفال ولكنه لم يضربه .

حصار الجزائر :

وجهت فرنسا قوة بحرية بقيادة الكابتن كولله Collet وحملتها الى الداي بوجوب تقديم ترصية رسمية عن هذه الامة . وسمحت الحكومة الفرنسية لكولله ان يختار واحدا من ثلاثة اجراءات للاعتذار ذكرتها له بالتفصيل :

١ - ان يذهب الداي حسين نفسه الى مقر القنصلية الفرنسية في زيارة رسمية ويقدم للقنصل هناك اعتذارا رسمياً .

٢ - او ان يستقبل القنصل الفرنسي بقصره في حفل رسمي ويقدم له الاعتذار .

٣ - او ان يوفد وفدا رسميا برئاسة وزير البحرية والشؤون الخارجية الى قائد الحملة البحرية على ظهر سفينة ليقيم باسم الداي بالاعتذار العلني للقنصل .

وبالاضافة الى هذا ينبغي رفع العلم الفرنسي فوق قلاع المدينة وتجهيزه بمئة طلقة مدفع وبعد ان يتم الاعتذار يطالب كولله بتعويض عن الاضرار السابقة : معاقبة الرؤساء الذين اعتدوا على السفن الفرنسية ، دفع ثمن البضائع التي احتجزت على ظهر سفينة اسبانية ، دفع ثمن السفن البابوية التي احتجزت ، ان يعلن الداي انه سيحترم الراية البابوية ، تقديم تعويض على مهاجمة بيت ممثل فرنسا في عنابة ، وعلى كولله ان يطالب بضمانات للمستقبل من بينها : ليس من حق الجزائريين زيارة السفن الفرنسية للتفتيش ، ان فرنسا تستلحق حصن القال وكل مؤسساتها في النجاة ، ان يعلن الداي ان الحكومة الفرنسية قد وفّت بكل التزاماتها في تصفية ديون كروي وبوشاخ ، وانه ليس للنجاة أية ادعاءات ضد الخزينة الملكية . واخيراً تمنح فرنسا في الجزائر بحق الامة الأكثر رعاية . وبعد التشاور مع ديغال

وبعد ضباط البحرية اختار كولله الاجراء الثالث . وكان القنصل ديغال والرياسة الفرنسيين قد انتقلوا ، من قبل الجيطة ، الى ظهر السفن الفرنسية . وبعد من تأكيدهم الداي ان أيّاً من الفرنسيين لن يتعرض للأذى . فتم كولله مذكرة بهذه الشروط الى الداي بواسطة ممثل ساردنية ، وكان على الداي ان يجيب خلال (٢٤) ساعة . وقد رفض الداي الانذار وفل سافرا (يدهني الى السلطان قال " ... ان شروطاً من هذا النوع ليست الداي الذي رفعه الى السلطان اذكياء ، ولكنها شبه بكلام مجانبين في مرستان " ... من قبل رجال دولة ان يحضر فرنسي رصين الى الجزائر لاجراء تحقيق واقترح الداي ان هذا القنصل الدساس لا يأتينا ولا يلائكم " ... و " ... سيدرك ان هذا القنصل الدساس لا يلائمنا ولا يلائكم " ... واعلم انه لن يعبر اهتماماً لهذه المطالب الواقعة المرسله دون طلب استفسار مسبق " ... اذا ارسلتم رجالاً خلال اربع وعشرين ساعة فان الموقف يمكن توضيحه ، والا دخلنا في حالة خصومة " ...

ولمالم يكن هناك حل وسط حدث التصدع النهائي في ١٦ من حزيران ، وبدأ كولله الحصار . وكانت باريس تعتقد ان الداي سيتراجع ولهذا امرت ديغال ان يبقى على ظهر سفينة كولله وان يكون مستعداً للإجابة عند اول نداء . ولكن الداي ظل صامتاً ينتظر بهدوء فشل الحصار الذي استمر حوالي ثلاثة اعوام وكلف فرنسا الملايين . ولم يحل الحصار دون هجمات السفن الجزائرية على السفن الفرنسية ، ولم يجد نظام القوافل ، لان ضعف الحراسة وزيادة التأمينات اصاب كل فروع التجارة بالاضرار ، وقد تأثرت مرسيلية أكثر من غيرها بالتأثير .

وكان التردد ظاهراً بين انتصار الحصار وانتصار ارسال حملة الى الجزائر ، ولم يكن رئيس الوزارة الفرنسية فيلبي في ظروف تسمح له باتخاذ قرار متشدد . فقد كان يصطدم في الداخل بقيمة الرأي العام بسبب الفناء

الحرس الوطني ، وازدياد المعارضة في المجلس . ولم يكن الوضع قسراً
استب في السيرة ، وكانت المسألة اليونانية تستأثر باهتمامه : فقد كانت حكومة
فيل حريصة على أن تشترك مع روسية وانكلترة في تدخل مشترك
لدى السلطان كما أن وجود الاسطول الفرنسي في الأرخبيل لا يسمح
بالتفكير بحملة إفريقية . وكانت الحكومة تظن أن الحصار وما يترتب عليه من
اضرار للتجارة الجزائرية يكفي لتغيير موقف الداي . ولهذا مالت الحكومة
الى فكرة الحصار واجاد حل سلمي . أما انصار ارسال حملة الى الجزائر
فكانوا قلة منهم قائد اسطول الحصار كوله الذي اعلن ان العمل البحري
وحده لا يكفي ، وأشار الى فشل قصف الملورد اكسموث ، وأكد كوله انه
لا يمكن اخضاع الجزائر الا بهجوم من البر . وقال ان هذا الهجوم ممكن
لأن الجزائريين لا يتوقعونه ، بدليل انهم لم يهتموا بتقوية وسائل الدفاع عن
المدينة من جهة البر . ولم يحدث تغيير منذ ان كتب بونان تقريره . وأيد
ديفال مشروع حملة برية . كما أن الضابط الفرنسي دويوتي توار الذي
حمل رسالة كوله كان من مؤيدي ارسال حملة وكان خبيراً بسواحل
الجزائر ، وقد اجاب على أسئلة وزير البحرية فقال : انه من الصعب طلب
تدخل السلطان فضلاً عن أن هذا الطلب لا يتناسب مع كرامة فرنسة . وبين
انه لا جدوى من الحصار والقصف وان الوسيلة الوحيدة هي عمل بري
وبحري في آن واحد . وقد تبني وزير البحرية وجهة النظر هذه وبين في
تقريره الى الملك أن هدف هذه الحملة هو اما امتلاك نهائي للبلاد أو على
الأقل تدمير كل الوسائل التي تسمح للجزائريين بممارسة القرصنة . ولكن
مجلس الأميرالية عارض المشروع ، وكان اعضاؤه تحت تأثير ذكرى
فشل شارل كان . وقد بين احد اعضاء المجلس صعوبات القيام بحملة وكثرة
نفقاتها ، وأيد فكرة القصف الذي ، ان لم يقدر له النجاح التام ، فإن له
ميزة أنه لا يترتب عليه شيء في حالة فشله . وفي حين كانت البحرية تعارض
ارسال حملة وتؤيد قصف الجزائر ، انضم وزير البحرية كليمونت تونير

الى انصار الحملة ودعا ابن القديس لويس (اي شارل العاشر) ليستم
للمدين والاساسية معطياً للحملة طابعاً صليبا . واذا كان مشروع كليمونت
تونيير عن الحملة الذي قدمه الى مجلس الوزراء يعتمد من الناحية العسكرية
على تقرير بونان فإن الشيء الهام في تقريره هو الدوافع التي وضعها لتبرير
مشروع الحملة : فبدلاً من التركيز على الفرصة وحماية التجارة وإعانة
مشروع كليمونت تونيير عن (اغناء المسيحية) و (تصير الجزائريين)
الناجح ، يتحدث كليمونت تونيير عن المسببة الداخلية الفرنسية إذ انها وسيلة لتحسين
وعن فوائد الحملة بالنسبة للسياسة الداخلية الفرنسية عن المسائل الداخلية ، وإلى علاقة
سعة الحكومة وصرف الشعب الفرنسي عن المسائل الداخلية ، وإلى علاقة
الحملة بالسياسة الخارجية . فقد أشار كليمونت تونيير إلى أن تغييرات كبيرة
على وشك ان تحدث في اوروبا التي ربما كانت بحاجة الى الحروب كوفاية
من الثورات . ان الصراع مع الباب العالي يهدد أن يصبح صراعاً حاداً ،
فاذا كان الأمر كذلك فإن الدول الثلاث المتحالفة (فرنسة وانكلترة وروسية)
ستكون مضطرة لأن تقبل توسعاً متبادلاً لكل منها . وستجد فرنسة نفسها
مدفوعة الى التقارب مع روسية التي يكون التحالف معها نقطة أساسية
بهدف الحصول على حدود الرين وقمة الألب ، مقابل اطلاق يدها في
آسية . حقيقة ان الحلفاء قد وقعوا اتفاقاً يهدف الى عدم القيام بأي فتح في
حال ما اذا نشبت الحرب مع السلطان ، ولكن الجزائري في رأي كليمونت
تونيير ليست جزءاً من السلطنة . وبالإضافة الى ذلك فإن الدول المتحالفة قد
تجد نفسها بتأثير الحرب نفسها مضطرة للتخلي عن التزامها بعدم التوسع .
فمن المفيد لفرنسة ان تأخذ مقدماً حصتها من التوسع ، الأمر الذي يسمح
لها أن تكون أكثر اعتدالاً في ادعائها أو في أن تطالب بأكثر . وقال تونيير
ان على فرنسة أن تكون مستعدة لكل حادث . أليس من مصلحتها أن تنظم
جيشاً ، ألا تقدم لها الحرب مع الجزائر أفضل الحجج ؟
وتساءل كليمونت تونيير عن امكانية معارضة الدول للمشروع وبين

الاروتوتيه المصنف مبدئية الشاه ١١٠ . وبالرغم من ان المراجعين اعترضوا
المصنف تم بدون علم منه ، وابدى اسفه لما حدث ، واعل انه سيجري
التحقيق في هذا الحادث ، وقال امير البحر وقائد المدفعية يوسفها المسمى
عن الحادث ، فان فرقة اعتبرته المسؤول الاول . وعندما وصل باليه
الحادث الجديد الى حرسه كانت وزارة مارتياك قد استقالت وكلف الامير
يوسياك شافيف حكومه من الملكيين المتطرفين الذين برضى عليهم ستار
الاعتراف ، والمستبدون لتخليصه من مضايقات (الوثيقة) ونصف (الحرة) .

استقبل الرأي العام الفرنسي هذه الوزارة باستياء شديد لا مثيل له في نفسها من حاشية ماري انطوانيت القديمة ، وقد اختار وزراءه من الملكيين المنطوقين المؤيدين لعودة نظام الامتيازات القديمة وانشاء كسل ما جاءت به الثورة الفرنسية . وبين هؤلاء كان وزير الحرية بوربون ، الذي خاف نابليون في معركة واترلو وانضم الى الحلفاء ، وشهد في محاكمة المارشال ناي ، وكان له اثر كبير في الحكم باعدام المارشال مما جعله مسموما لدى الرأي العام . وقد كتبت جريدة (الدنيا) تعليقاً على هذه الوزارة « . . . كويلتير ! واترلو ! ١٨١٥ ! » هذه هي المبادئ الثلاثة لهذه الوزارة اضططوها ، اعصروها ، فقل ينتج عنها الاالزال واشروروا واضطروا . . . » ولم يكن بإمكان الرأي العام ان يصدق ان باستطاعة هذه الوزارة التي تمثل كل ما هو مكروه لديه ان تفعل خيراً . ولهذا فقد ادانها سلفاً ايما كان الاتجاه الذي تسلكه في معالجة موضوع الجزائر ، الذي بدأ يحتل مكاناً بارزاً في « . . . قاعة المتاعب التي تثيرها المعارضة . . . »

(١٠) ذكر أحد الميراث القريشيين أن قبط الجرجانيين أسفله لا يربو نبيرو كل لأن الربيع دامت السنة نعي المحاصلات مما آثارت شجرة وأحاراف الجرجانيين مضمضوها

G. Esquer P. 182

(2) J. Debu - Bridel et M. Benoit : La France

والسنة
كان بولشاك يطمح بالدرجة الاولى في ان يعيد للملكية الهيبة والسمة
كانت هذه الملكية في نظر الراي العام تسب كل ما ظاه
كانت تفسد . كانت هذه الملكية في نظر الراي العام تسب كل ما ظاه
كانت تنهارهم على بابليون من اذلال الفرنسية : لقد عادت بعيرة
الملك بعد انتصارهم على نابليون من اذلال الفرنسية : لقد عادت بعيرة
منها جزاء الاحب ، ورافق عودتها احتلال الجيوش الاجبية الاراشيه
الفرنسية . وفلت معاهدة فيينا / ١٨١٥ ، التي فرضت على فرنسا شروطا
مخيفه . ولهذا كان بولشاك يسعى بالدرجة الاولوية وسيلة كانت للحطيم
هذه المعاهدة لانها السبل الوحيد لاستعادة هيبة الملكية . ولهذا اعمل مؤثرا
مسألة الجزائر وحصر تفكيره في وضع مشروع جديد فيه تنظيم خارطة
اوربية ، مستغلا الاوضاع الجديدة اناجحة عن الحرب الروسية التركية ، فان
والتدابير الروس من استبول دون استقلالهم على العاصمة التركية ، فان
شكف في وجه الروس لتحول دون استقلالهم على العاصمة التركية ، فان
احتمال صدام جديد في اوربية امر متوقع ، وللمجلولة دون قيام مثل هذا
الصدام لابد من عقد مؤتمر . وكان بولشاك يفكر في ان يعرض على هذا
المؤتمر مشروعه في إعادة تنظيم اوربية . واهم ما كان يتضمن المشروع
بالنسبة لفرنسة ، الحصول على بلجيكة واللو كسمبورغ ، وإيجاد بروسيه عن
رئايته ، وضع روسية والنسبة مقاطعات على حساب الدويلة النمساوية .
وتعويض اكثرة بالاستعمارات الهولندية ، وانتراع استبول من تركية
وقد اتجه بادى الأمر نحو السلطان لطلب منه الضغط على الهادي ليقبل
مطالب فرنسة ، ولكن السلطان لم يكن يمتلك في ظروفه الحالية اي وسيلة
الضغط او التدخل . وحشد توجه بولشاك نحو مصر

عليه السلام و آله

بره لیسناک ومحمد علي
نجم محمد علي بفضل اصلاحاته السياسية والاقتصادية والمكبرية في
هذه الاعمال والانتاجات . وقد اثار هذه الاعمال والانتاجات
خلاق دولة عصرية في مصر .

وقلته . وختي ان يعتبر السلطان مسعى السفير الفرنسي (توأطوا)
فرنسة وعصر . وكان يفضل تنفيذ المشروع بسرعة ووضع الباب العالي الم
الامر الواقع .

وافق محمد علي على المشروع ، واسترط ان يتحصل مسؤول
الحملة كاملة . فقوم بها جيوشه بقيادة ابنه ابراهيم باشا . ويألف الجيش
من ٤٠ ألف جندي نصفه من الجند النظامي ينقل بحرا ، والنصف الآخر
من البسوة ، ويقطون برا . ولم يكن محمد علي يرغب في اشراك الاسطول
الفرنسي معه ، وكل ما على فرنسا ان تحكم الحصار على الشواطئ الافريقية
على ان تلك الحصار وتسحب قواها البحرية عن هذه الشواطئ . حتى رأى
ابراهيم باشا انه صار في غنى عنها . ولذا لزم الامر ، فعلى فرنسا ان تضع
تحت تصرف ابراهيم ضباط مدفعية ومهندسة ، وان تقدم فرنسا لـ محمد علي
قرضا يبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ / ٢١٢٠٠٠ / فرنك تدفع خلال اربع سنوات ، يبدأ دفعها
منذ احتلال مدينة الجزائر ، وتسحق لـ محمد علي ٤ / سفن حربية من عيار
ثمانين مدفا ، كهربية ودون مقابل .

حاول ميسو وهورد اقناع محمد علي بالمدول عن طلب السفن مؤكدا
له ان الاسطول المصري يحتاجه كافة لانجاز المهمة ، ولا سيما وان
الحملة برية وليست بحرية . ولكن محمد علي كان مهتما بالسفن اكثر من
المال . وتساك بطله هذا ميئا انه لا غنى له عن هذه السفن لتكون الحملة
قوية تقضى المهمة والاحترام ، لا على القراصنة البربر فقط بل على الباب
العالي ايضا . واعلن ان تنفيذ هذا الطلب شرط لا بد منه لقيام الحملة .

وعندما عاد هوردر الى باريس كتب مذكرة الى بوليناك يلج فيها على
ضرورة منح السفن لـ محمد علي كسفن للحصول على مساعدته . وتبنى بوليناك
مشروع محمد علي ولكنه اصطدم بمعارضة وزيرى البحرية والبحرية .
كان بورمونت ووزير البحرية من انصار التدخل الفرنسي المباشر ،

نظام فرنسا نفسها الامهات التي لحقت بها وليس بالوكالة . وكان عرى
والحملة محمد علي مستحيلة ، وانها لن تنجح لأن عدد الجند النظامي في
الحملة ١٥ / ألفا والباقي من البدو ، وان هذه القوة غير الكافية ستقطع
ان العمل الى الجزائر . ورفض وزير البحرية التنازل عن السفن
الحملة ٣٠٠٠ / كم العمل الى الجزائر . وهدد بالاستقالة اذا سلمت
الامر ٣٠٠٠ / وحدة بحرية واحدة من اسطولها . وبناء على الاحتاج بوليناك وافق
فرنسا وحده بحرية واحدة من اسطولها ٢٨ / مليون فرنك . (٣٠) مليون منه تعتبر
مجلس الوزراء على فتح اعتماد ٨ / ملايين تدفع لـ محمد علي منحة يستطيع بها بناء او
فرنسا بدون فائدة و ٨ / ملايين تدفع لـ محمد علي منحة يستطيع بها بناء او
قروا السفن الأربع . وفي هذه الاثناء بدأت مصاعب اخرى تفرس طريق
بوليناك . فقد رفض السلطان المشروع الفرنسي ، لانه رأى خطر تعرض
لحملة محمد علي وتحالفه مع فرنسا واتجهت الدبلوماسية التركية لـ محمد علي
قوة محمد علي فترت مسألة الجزائر عن مسألة الثبات الاخرى التي لم يكن لها
مبارا . فترت مسألة الجزائر عن مسألة الثبات الاخرى التي لم يكن لها
مشاكل مع فرنسا ، وعرضت وساطتها لـ محمد علي . واقترحت ارسال
محمد ظاهر باشا - وهو الاميرال الذي كان يقود الاسطول العثماني في
نافارين ومن مواليد شمال افريقية ، وهو لهذا وسبب خدمته في الاوجاف
الجزائري يعرف افضل من غيره (القوي والضعيف في الثبات) ويستطيع
ان ينفذ اوامر السلطان - وكان اختيار ظاهر باشا ذا دلالة : فهو عدو لـ فرنسا
ومحمد علي في آن واحد . ولهذا فانه لن يتراجع عن اي وسيلة لـ محمد علي
الى التناهم لـ محمد علي . ولكن فرنسا تكتسب ثمرات العمل ضد الثبات
الى الثلاث بالرغم من انه لم يكن لها مشاكل مع فرنسا لم يكن منصبا على ايجاد
الوساطة . وكان هذا دليلا على ان اهتمام فرنسا لم يكن منصبا على ايجاد
حل للنزاع ، بل كان منصبا على خلق مشكلة عربية في افريقية بواسطة
محمد علي كمرحلة اولى في مشروع واسع سيحدث بموجبه النفوذ الفرنسي
من شواطئ المتوسط الافريقية حتى قلب آسيا . وهدد السفير الفرنسي
الحكومة العثمانية بانه اذا لم يقم محمد علي بهذه الحملة فان فرنسا ستقوم

[illegible]

114

موقف السوي

— ۱۷۷ —

... من اجل ضربة كسائه بصرف / ١٠٠٠ / مليون ورجل ...
 ... ١٨٣٠ :
 الدفعة الفرنسية

بل ان تتخذ الحكومة الفرنسية قرارها النهائي في موضوع الحملة
 وان أن تستوضح رأي السلطات المختصة في الجيش والبحرية . وكان هذا
 الموضوع منذ مدة موضع دراسات في الاوساط البحرية والعسكرية ولم يكن
 الجميع على اتفاق حوله .

كان وزير البحرية بورمونت يؤيد مشروع الاستيلاء على نقطة الزنكار
 مثل وهران ، والسير منها نحو الجزائر . ولكن تسوار عارض هذا
 الرأي . . . ان احتلال وهران اصعب من احتلال الجزائر . فمن وهران
 سيكون امانك / ١٥٠ / فرسخا (٦٠٠ كم) تجازها الى الجزائر في سار
 صعبة جيلة ، وعندما ترسل مئة الف فتل يصل منها الى الجزائر الا خمسة
 آلاف . . . ولما سأل بورمونت عن تأثير احتلال وهران على الداي اجاب
 ديوتي توار . . . سيستمر في تدخين غليونيه دون اي قلق من وجود
 الفرنسيين في وهران التي بقي فيها الاسبان قرنا ونصف دون ان يقدموا
 خطوة الى الداخل . . . وقبل أن يتخذ مجلس الوزراء قراره النهائي رغب
 الوزراء بالتفاهم مع ضباط البحرية والهندسة والمدفعية . طرح الوزراء
 السؤال التالي : هل انزال حملة تهاجم الجزائر من ناحية البر ممكن ؟
 وما هي النقطة الساحلية الأصالح لاجراء عملية الانزال ؟ اجمع ضباط
 الاميرالية على أن انزال حملة مع العناد اللازم أمر غير ممكن على الاطلاق
 بسبب المدة التي يستغرقها الانزال وقدرها بين اسبوعين وثلاثة اسابيع مع
 أخطار التيارات والعواصف المألوفة على الساحل ، فضلا عن الصعوبات التي
 سواجها الجيش بعد نزوله : الرمال المحرقة ، نقص الماء والمؤن ، هجمات
 الجزائريين . وقد تصدى الضابط البحري دي بوتي توار وفقد آراء
 الاميرالية مستهدا بأحداث سابقة مدثلة حول الوقت الذي يتطلبه انزال

... الى البر وأشار الى أن الأميرال الانكليزي الموردي كونسران قام
 بالسيطرة البحرية البرازيلية بانزال ١٢ الف رجل في ست ساعات وأن
 الأميرال انزلوا الى البر ٢٠ الف رجل في ست ساعات سنة ١٧٧٥ .
 ودعم قادة الجيش امكان نجاح الحملة واستشهدوا بالحملة الاسبانية
 السابقة ونجاحها في النزول الى البر ، وبينوا أن سبب فشل هذه الحملة
 يعود لأسباب لا علاقة لها بالظروف المحلية . ففي حملة شارل كان ترك الاسبان
 النفس المذهب بير ، واهمل اوريلي تنظيم مركز استناد على الساحل قبل
 التقدم نحو الداخل . واستمر النقاش في ساعات ، وأعلن الأميرال روسان
 تقدمه نحو الحملة فرد عليه وزير البحرية أنه بأسف من أجله لأنه كان قد
 اختار لقيادة الأسطول ، فرد الأميرال أن الوزير أنه سيختار القائد من الضباط الأدنى
 رتبة ، وان الحملة لن تلغ لأن ضابطا لا يرغب قيادتها . وفي ٣١ كانون الثاني
 اتخذت الحكومة قرارها بالتدخل المنفرد وارسل الحملة . وفي ٧ شباط
 أمر شارل العاشر بعبئة الجيش والبحرية .
 واختير بورمونت لقيادة الحملة . وكان واضحا أن الغرض من هذا
 الاختيار هو إكسابه مجداً يصل به عار ماضيه ، ويحسن سمعته لدى
 الرأي العام .
 وكان من الصعب اختيار قائد للأسطول لأن معظم قادة البحرية كانوا
 قد اعلتوا استحالة الحملة . ولكن ديوتي توار ذكر امام ولي العهد اسم
 دوبري الذي لمع خلال المعارك البحرية في عهد الامبراطور وكان يتمتع
 ببقية البحرية . واختير دوبري بالرغم من ميوله الحرة .
 واجهت الحكومة بعد هذا الاختيار صعوبة اختيار القائد الأعلى
 للعمليات : بورمونت او دوبري ؟ وكانت المسألة دقيقة اذ ان هذا الاختيار
 سيعطي للحملة طابعها الخاص . فلو كلف دوبري فيصبح جيش الحملة

مجر، لاحتاد لعلته بحرية ضد الجزائر^(١)، وكان القائدان يختلفان في ميولهما،
العام العسكري لعلها في الجزائر^(١)، وكان القائدان يختلفان في ميولهما،
اسبابه وفي طابعهما، ومن المتوقع حدوث احتكاك واختلاف بينهما أثناء
سير العمليات. ولهذا كان لابد من اعطاء الكلمة لاحدهما. قرر بوليناك
الاحتياط قبل هذا الخلاف، ففي امر صدر في ١٨ من نيسان وسليم لكل
من القائدين بصفة شخصية، اعلن بوليناك انه اذا قدر بورمونت ان هذه
العمليات ستؤثر على نجاح العمليات العسكرية فعليه ان يأخذ في الحال قيادة
كل القوات البرية والبحرية.

موقف الدول:

كانت المعارضة الوحيدة والشديدة التي توقعها فرنسا هي معارضة
انكلترا. فهي الدولة الوحيدة التي ستأثر من هذا العمل، لان إقامه فرنسا
الدائمة في افريقية الشمالية سيهدد التفوق الانكليزي في البحر المتوسط.
وكان من الواضح ان انكلترا لم تعارض حملة محمد علي لثرى بدلا منها
حملة فرنسية.

وكان مما يثير قلق انكلترا ان ترى فرنسا تستعيد بسرعة وجودها
السياسي بعد ضربة الشلل التي وجهت لها اثر هزيمة نابوليون، والمعاهدات
التي فرضت عليها اثر هذه الهزيمة، والتي لعبت فيها انكلترا دورا بارزا
بقصد ابعاد اخطر منافس لها؛ فها هي فرنسا تتدخل في اسبانية /١٨٢٢/
وتسرك في نابالين /١٨٢٧/ وتدخل في شبه جزيرة المورة /١٨٢٨/.
وصا كان يريد قلق انكلترا وضع الدولة العثمانية المتردي، فقد انتصرت
روسية /١٨٢٩/ وفرضت عليها ارادتها في معاهدة ادرنة، فماذا سيحدث
لتركية في حال تقاهم روسي فرنسي؟ وماذا سيحدث اذا تحقق انتصار
فرنسية في الجزائر بعد انتصار روسية في ادرنة؟

(1) J. Debu - Bridel et M. Benoist : La guerre qui paye Alger 1830
P. 75.

و بالرغم من ان الحكم في انكلترا كان بيد المحافظين والادوية
ازجبهه مشابهة للاتجاهات السائدة في باريس، وبالرغم من الصداقة التي
كانت تربط بوليناك باوساط المحافظين الانكليز عند ان كان سفيراً بحريه
في لندن، فان مصالح انكلترا العامة واتجاهات عدد من المسؤولين الانكليز
كانت ضد فرنسا. وكان من الصعب على رئيس وزراء انكلترا الدوق
ويلينغتون، بطل معركة واترلو، ان يعطى فرنسا كتوة معادلة لبريطانية
ويلينغتون دون اي اهتمام برأي الحكومة البريطانية.

وكان وزير داخلية بريطانيا روبرت بيل، الذي كان يقود آنذاك
الحركة ضد ايرلندة، ينقر من فرنسا الكاثوليكية.

قامت الحكومة الفرنسية بابلاغ الدول الأوروبية قرارها بارسال الحملة
بمذكرة مؤرخة في ٤ من نباط سنة ١٨٣٠. وقد جاء في المذكرة ان فرنسا
قررت ان تنهي بنفسها قضية الجزائر معتبرة نفسها مندوبة العالم المتدين
وحددت المذكرة غرض المشروع الفرنسي بما يلي: القضاء على الاسترقاق
والقرصنة والاتاوان على طول الشاطئ الافريقي، تأمين سلامة الملاحة في
المتوسط وجعل شاطئ المتوسط الجنوبي شاطئ انتاج وحضارة وملتقى لجميع
الأمم.

أثارت هذه المذكرة قلق انكلترا ومخاوفها، ولم تحف الحكومة
الانكليزية شكها انه بقوة الأشياء فان نتيجة هذه الصليبة التمدنية ستكون
وضع يد فرنسا على نيابة الجزائر. وأعلن ويلينغتون للسفير الفرنسي أن
ما جاء في المذكرة لا يمكن ان يبعث الاطمئنان لدى انكلترا لأنها لا تجهل
أن روح الطموح والفتح هي شعور وطني في فرنسا، وان الحكومة الفرنسية
ايا كان لونها ستكون مضطرة للاستجابة لهذا الشعور المسيطر. وقال ابردين
للسفير الفرنسي "... ستكونون مضطرين الى السير الى أبعد مما أعلمتم
وهذا لا يناسبنا...". ولخوف انكلترا على تفوقها في المتوسط بسبب إقامه

(أ) فتح الطريق الذي أجده نحو مستقبل أفضل للإنسانية. لأن بوليناك كان واقعاً ، في حال عقد

علاء الدين
ارائهم
ار جيمه
نابل
الحصول على
فايد برو

الدوام بروية ، لان مريضه ٥٥
على احاد النفسه ، لان مريضه ٥٥

العالمين بسبب ميراث نابولي وإسبانية والبابا وسردينية الأكثرية نفسها معزولة.

1. $\frac{1}{2}$ 2. $\frac{1}{3}$ 3. $\frac{1}{4}$ 4. $\frac{1}{5}$ 5. $\frac{1}{6}$ 6. $\frac{1}{7}$ 7. $\frac{1}{8}$ 8. $\frac{1}{9}$ 9. $\frac{1}{10}$ 10. $\frac{1}{11}$ 11. $\frac{1}{12}$ 12. $\frac{1}{13}$ 13. $\frac{1}{14}$ 14. $\frac{1}{15}$ 15. $\frac{1}{16}$ 16. $\frac{1}{17}$ 17. $\frac{1}{18}$ 18. $\frac{1}{19}$ 19. $\frac{1}{20}$ 20. $\frac{1}{21}$ 21. $\frac{1}{22}$ 22. $\frac{1}{23}$ 23. $\frac{1}{24}$ 24. $\frac{1}{25}$ 25. $\frac{1}{26}$ 26. $\frac{1}{27}$ 27. $\frac{1}{28}$ 28. $\frac{1}{29}$ 29. $\frac{1}{30}$ 30. $\frac{1}{31}$ 31. $\frac{1}{32}$ 32. $\frac{1}{33}$ 33. $\frac{1}{34}$ 34. $\frac{1}{35}$ 35. $\frac{1}{36}$ 36. $\frac{1}{37}$ 37. $\frac{1}{38}$ 38. $\frac{1}{39}$ 39. $\frac{1}{40}$ 40. $\frac{1}{41}$ 41. $\frac{1}{42}$ 42. $\frac{1}{43}$ 43. $\frac{1}{44}$ 44. $\frac{1}{45}$ 45. $\frac{1}{46}$ 46. $\frac{1}{47}$ 47. $\frac{1}{48}$ 48. $\frac{1}{49}$ 49. $\frac{1}{50}$ 50. $\frac{1}{51}$ 51. $\frac{1}{52}$ 52. $\frac{1}{53}$ 53. $\frac{1}{54}$ 54. $\frac{1}{55}$ 55. $\frac{1}{56}$ 56. $\frac{1}{57}$ 57. $\frac{1}{58}$ 58. $\frac{1}{59}$ 59. $\frac{1}{60}$ 60. $\frac{1}{61}$ 61. $\frac{1}{62}$ 62. $\frac{1}{63}$ 63. $\frac{1}{64}$ 64. $\frac{1}{65}$ 65. $\frac{1}{66}$ 66. $\frac{1}{67}$ 67. $\frac{1}{68}$ 68. $\frac{1}{69}$ 69. $\frac{1}{70}$ 70. $\frac{1}{71}$ 71. $\frac{1}{72}$ 72. $\frac{1}{73}$ 73. $\frac{1}{74}$ 74. $\frac{1}{75}$ 75. $\frac{1}{76}$ 76. $\frac{1}{77}$ 77. $\frac{1}{78}$ 78. $\frac{1}{79}$ 79. $\frac{1}{80}$ 80. $\frac{1}{81}$ 81. $\frac{1}{82}$ 82. $\frac{1}{83}$ 83. $\frac{1}{84}$ 84. $\frac{1}{85}$ 85. $\frac{1}{86}$ 86. $\frac{1}{87}$ 87. $\frac{1}{88}$ 88. $\frac{1}{89}$ 89. $\frac{1}{90}$ 90. $\frac{1}{91}$ 91. $\frac{1}{92}$ 92. $\frac{1}{93}$ 93. $\frac{1}{94}$ 94. $\frac{1}{95}$ 95. $\frac{1}{96}$ 96. $\frac{1}{97}$ 97. $\frac{1}{98}$ 98. $\frac{1}{99}$ 99. $\frac{1}{100}$ 100. $\frac{1}{101}$ 101. $\frac{1}{102}$ 102. $\frac{1}{103}$ 103. $\frac{1}{104}$ 104. $\frac{1}{105}$ 105. $\frac{1}{106}$ 106. $\frac{1}{107}$ 107. $\frac{1}{108}$ 108. $\frac{1}{109}$ 109. $\frac{1}{110}$ 110. $\frac{1}{111}$ 111. $\frac{1}{112}$ 112. $\frac{1}{113}$ 113. $\frac{1}{114}$ 114. $\frac{1}{115}$ 115. $\frac{1}{116}$ 116. $\frac{1}{117}$ 117. $\frac{1}{118}$ 118. $\frac{1}{119}$ 119. $\frac{1}{120}$ 120. $\frac{1}{121}$ 121. $\frac{1}{122}$ 122. $\frac{1}{123}$ 123. $\frac{1}{124}$ 124. $\frac{1}{125}$ 125. $\frac{1}{126}$ 126. $\frac{1}{127}$ 127. $\frac{1}{128}$ 128. $\frac{1}{129}$ 129. $\frac{1}{130}$ 130. $\frac{1}{131}$ 131. $\frac{1}{132}$ 132. $\frac{1}{133}$ 133. $\frac{1}{134}$ 134. $\frac{1}{135}$ 135. $\frac{1}{136}$ 136. $\frac{1}{137}$ 137. $\frac{1}{138}$ 138. $\frac{1}{139}$ 139. $\frac{1}{140}$ 140. $\frac{1}{141}$ 141. $\frac{1}{142}$ 142. $\frac{1}{143}$ 143. $\frac{1}{144}$ 144. $\frac{1}{145}$ 145. $\frac{1}{146}$ 146. $\frac{1}{147}$ 147. $\frac{1}{148}$ 148. $\frac{1}{149}$ 149. $\frac{1}{150}$ 150. $\frac{1}{151}$ 151. $\frac{1}{152}$ 152. $\frac{1}{153}$ 153. $\frac{1}{154}$ 154. $\frac{1}{155}$ 155. $\frac{1}{156}$ 156. $\frac{1}{157}$ 157. $\frac{1}{158}$ 158. $\frac{1}{159}$ 159. $\frac{1}{160}$ 160. $\frac{1}{161}$ 161. $\frac{1}{162}$ 162. $\frac{1}{163}$ 163. $\frac{1}{164}$ 164. $\frac{1}{165}$ 165. $\frac{1}{166}$ 166. $\frac{1}{167}$ 167. $\frac{1}{168}$ 168. $\frac{1}{169}$ 169. $\frac{1}{170}$ 170. $\frac{1}{171}$ 171. $\frac{1}{172}$ 172. $\frac{1}{173}$ 173. $\frac{1}{174}$ 174. $\frac{1}{175}$ 175. $\frac{1}{176}$ 176. $\frac{1}{177}$ 177. $\frac{1}{178}$ 178. $\frac{1}{179}$ 179. $\frac{1}{180}$ 180. $\frac{1}{181}$ 181. $\frac{1}{182}$ 182. $\frac{1}{183}$ 183. $\frac{1}{184}$ 184. $\frac{1}{185}$ 185. $\frac{1}{186}$ 186. $\frac{1}{187}$ 187. $\frac{1}{188}$ 188. $\frac{1}{189}$ 189. $\frac{1}{190}$ 190. $\frac{1}{191}$ 191. $\frac{1}{192}$ 192. $\frac{1}{193}$ 193. $\frac{1}{194}$ 194. $\frac{1}{195}$ 195. $\frac{1}{196}$ 196. $\frac{1}{197}$ 197. $\frac{1}{198}$ 198. $\frac{1}{199}$ 199. $\frac{1}{200}$ 200. $\frac{1}{201}$ 201. $\frac{1}{202}$ 202. $\frac{1}{203}$ 203. $\frac{1}{204}$ 204. $\frac{1}{205}$ 205. $\frac{1}{206}$ 206. $\frac{1}{207}$ 207. $\frac{1}{208}$ 208. $\frac{1}{209}$ 209. $\frac{1}{210}$ 210. $\frac{1}{211}$ 211. $\frac{1}{212}$ 212. $\frac{1}{213}$ 213. $\frac{1}{214}$ 214. $\frac{1}{215}$ 215. $\frac{1}{216}$ 216. $\frac{1}{217}$ 217. $\frac{1}{218}$ 218. $\frac{1}{219}$ 219. $\frac{1}{220}$ 220. $\frac{1}{221}$ 221. $\frac{1}{222}$ 222. $\frac{1}{223}$ 223. $\frac{1}{224}$ 224. $\frac{1}{225}$ 225. $\frac{1}{226}$ 226. $\frac{1}{227}$ 227. $\frac{1}{228}$ 228. $\frac{1}{229}$ 229. $\frac{1}{230}$ 230. $\frac{1}{231}$ 231. $\frac{1}{232}$ 232. $\frac{1}{233}$ 233. $\frac{1}{234}$ 234. $\frac{1}{235}$ 235. $\frac{1}{236}$ 236. $\frac{1}{237}$ 237. $\frac{1}{238}$ 238. $\frac{1}{239}$ 239. $\frac{1}{240}$ 240

بل خدمته السليحة . وبيت ملك فرنسا مع

حول النظام الجديد الذي سيحقق
الدور وبلغت دور المحامي

الانكليزية للسيرة
له رد على مدعى
الواضع
كان من

الاقامة
على
الحق
والعدل
والنصير

$\frac{1}{M}$

- 141 -

وعباً حاول السفير الفرنسي في لندن الموقف دولا فل أن يعطى

المداني ويحطيم القرصنة • فقد أعلن وزير الخارجية برلين للمعروف

الاستعدادات الحارثية • ولكن اذا كانت الحكومة الفرنسية ترغب في تحطيم

الاحتلال ؟ ورفض ابردين الا لشقاء بالتصريحات الشهية وطالب بوجيب

مرسنة بعدم الإقامة الدائمة في افريقية الشمالية • وفي الوقت نفسه كانت

محمدر موصوع احصاه والتسميات البررة بها مع انكليزاة ، لانت عدا
الانام نه حده الى الدول كلها ، حاصلة الى الله .

وكان بولسناك يهدف من وراء ذلك الى غير ضيق :

- 14 -

الجزائر بعيدة عن وانزلو
لا يمكن الفرار في البحر
ومن جزائرا بورمونت
لا تخنوا الخيانة

وكان الرأي العام يعتقد ان الحكومة تريد صرفه انظار الشعب عن
الوقوف الداخلي بالهائه بعمل خارجي ، وانها « ٥٥٥ » ستقهر في افغاني
الجزائر الناجين لا الفراسة ، وان السبب الحقيقي للحرب ضد المادي هو
هبة الجيش لحرب كبرى ضد البارزين « ٥٥٥ » ووصفت الحملة انبها
قابلة للحريات . وان الحكومة تأمل بان تجعل الانتصار على الجزائري انتصارا
ضد حريات الفرنسيين .

احتلال الجزائر :

حسبت الحكومة الفرنسية بتزويد الحملة بكل ما يكفل لها النجاح .
يقول آزان « ٥٥٥ » كانت الحملة مجهزة افضل تجهيز مروود بكل
ما يلزم « ٥٥٥ » . كان تحت قيادة دوبري / ٨٤ / سفينة حربية من البحرية
الملكية وعدد من سفن النقل حمولته / ٧٠ / القطن ، وعسدد كبير من
زوارق الانزال بالإضافة الى اسطول الحصار . وتلقى دوبري تعليمات
مفصلة عن مهمته ، وترك له حرية واسعة في التصرف سرية خطة الانزال هو
مسبقا مع بورمونت . ونصت التعليمات المسلمة له ان مكان الانزال هو
سبدي فرج ، ولكن اذا قدر بسبب الحقد والرباح والسيارات انه من الافضل
الزول قرب رأس ما تيلو او في خليج الجزائر نفسه ، فقبلت هذه التعليمات
بورمونت وان يعمل مما لصالح الحملة . كما تعرضت هذه التعليمات
لحالة فشل الحملة ، فاذ كان الطقس غير ملائم للانزال فينبغي ارجاع
الجيش كله الى فرنسا وتأجيل الحملة الى سنة ١٨٣٩ ، او الانتقال نحو

(1) P. Azan : P. 56

المعارضة الداخلية في فرنسا :

ان النزاع بين الملك والمجلس ، والسرية التي احيطت بها الحملة
والتي الذي اعطي لها برعها بالوقوف الداخلي ، انزل قلق المعارضة في
المجلس والرأي العام وزاد في معارضتهما للحملة . وكان الشعور العام السائد
ان هذه الحملة لا تهدف الى الانتقام للشرف والاحرار ، التي لحقت بالصالح
الفرنسية ، بل الى القضاء على الحريات والاحرار . وعندما اعلن الملك في
افتتاح جلسات عام / ١٨٣٥ / قرار الحملة ، وبالرغم من ان الحكومة حصلت
على تأييد المجلسين ، فان التفسيرات التي طلبها النواب كسفت عن قلق
حقيقي . ووجهت المعارضة انتقادات حادة للحكومة ، وكتب النائب الكسندر
لابورد - موجهها الى الملك والمجلس - يصف الحملة انها (٥٥٥) غير عادلة
في اصلها غير حكيم في تسريعها ، غير مشورة في نتائجها « ٥٥٥ » . وقال ان
ما تحتاجه فرنسا « ٥٥٥ » هو القوانين وليس الفتوحات « ٥٥٥ » . وتساءل
لابورد « ٥٥٥ » هل هذه الحرب عادلة ؟ لا ! ان المادي يطالب ؟ لقد سرق !
انه يشكو ؟ لقد اوهين ! انه يغضب ؟ لقد قتل ! هل هذه الحرب مفيدة ؟
هل من المفيد لفرنسة ان تسولي على الجزائري دون ان تتمكن من الاحتفاظ
بها ؟ من يستطيع ان يفكر بذلك ؟ هل هذه الحرب مشروعة ؟ « ٥٥٥ » . وانار
الكاين اخيرا ضد الحملة « ٥٥٥ » الضمير العام والة تون الطبيعي « ٥٥٥ » .

وعندما عمل المجلس في ١٩ من ايار انتقلت المعارضة الى الشارع
مستخدمة الصحف بعض ضد بونيساك ، وبفضل الانتخابات التي اثاره
قصور الناس اسفل الشك في عدالة الحرب والخطر الذي قد يجلبه النصر
على حريات البلاد الى الاقاليم . ومما زاد في نفسة الرأي العام اختيار
بورمونت المكره قائدا للحملة . ذكر احد الضباط ان الجنود كانوا
يشتمون على طريق طولون :

(1) P. Azan : l'Expedition d'Alger. P. 40

ان يعرف الفرنسية بالسيادة المطلقة على الجزر الساحلي بين عاه

(م) ان يعرف تونس و يتناول لها عن مدينة عاهة ومينائها

وحدود تونس و يتناول لها عن مدينة عاهة ومينائها

(د) ان يعرف كل الامتيازات المنوحة للفرنسيين ويتعهد لهم بحمل

احكام حيد المرجان مقابل سبعة عشر الف فرنك لا تزيد الا بموافقة فرنسية

(هـ) ان تحصل القوات الفرنسية مدينة الجزائر وحصونها كغصاة لتقبل

هذه الشروط

اما اذا تمكن بورمونت من احتلال مدينة الجزائر فليس ان لا يقبل

سوى حماية الداي والسماح له بالسفر الى فرنسة ان اراد ذلك وعلى

بورمونت ان يحترم الرعايا الاجانب وخاصة القناصل والوكلاء التجاريين

وان يتجنب كل محاربة مع القناصل الاجانب تمن مشاريع فرنسة المقلبة

باعتباره قائدا عسكريا لاقليم محل احتلالا عسكريا ووضع تحت تصرفه

٣٧/ الف جندي وصاحب الحملة ٤٠/ مترجما من رجال السلالة

اقتصادي ومن الممالك الذين نجوا من مذبحها قلعة ومن اليهود والجزائريين

كما سحب الحملة رسامون كجودان وايزاعي والكونوليك لاجلو وعدد

من الكتاب ورافقها عدد من الضباط الاجانب كمرافقين ارسلتهم حكومتهم

او جاؤوا بانفسهم لتابعة الحملة

١٨٣٠ وتوقف

٢٥ من ايار سنة ١٨٣٠ وتوقف

١٨٣٠ وتوقف

١٨٣٠ وتوقف

١٨٣٠ وتوقف

١٨٣٠ وتوقف

١٨٣٠ وتوقف

١٨٣٠ وتوقف

١٨٣٠ وتوقف

١٨٣٠ وتوقف

١٩١٠

وهران او عناية بقسم من الجيش واعادة الباقي الى طولون (١)

بورمونت تعليمات منفصلة تترك له ايضا حرية تصرف واسمعة وتسير هذه

التعليمات الى اهمية التعرف سبعا على قوة اندمو وحالته المعنوية وتسير هذه

ان يسعى ليكسب جانبا من السكان وان يوجه اليهم نداء بين فيه اغراض

الحملة ويدعوهم الى تجنب الاشتباك مع الفرنسيين والى المتابعة مع

الحملة وتزويدها باليون ووضع تحت تصرفه مبالغ من المال لشراء مؤبدين

وجواسيس بين السكان وتوصي هذه التعليمات بورمونت ان يضع نصب

عينه ضرورة الاستيلاء على الجزائر باية وسيلة كانت وان يعلن لكل من

يعرض عليه مقترحات انداي او حكومته في الطريق الى الجزائر انه سوف

يكشف عن نوايا فرنسة عندما يصل الى الجزائر وعليه اذا ما عرض عليه

النداي فتح باب المفاوضات قبل نزول الحملة الى البر ان يقبل ذلك من

حيث المبدأ ولكن قبل ذلك كله لابد من تسليم حصون المدينة وبطاريات

الساحل وكل وسائل الدفاع المتصوية خارج المدينة والسماح له بالرسو

أما داخل البناء الداخلي او في خليج الجزائر وعلى الداي ان يجيب على

كل هذه الشروط خلال ثلاث ساعات فقط اما بعد نزول الحملة فليس

الا يوقف العمل العسكري الا اذا قبل الداي الشروط التالية :

(١) سفر وفد جزائري حكومي الى باريس لتقديم الاعتذار والتعهد

بالغاء القرصنة والرق والاتاوات وهدم حصون الجزائر والمواني الاخرى

ودفع ٥٠/ مليون فرنك نفقات الحصار والحملة وخرق المساهمات

السابقة

(٢) ان يتعهد الداي بان يعود مجرد تابع مباشر للمسلطان المشاي

الذي يحرم ويعين خلفاءه من بعده

(٣) ان يتعهد الداي بان يعود مجرد تابع مباشر للمسلطان المشاي

الذي يحرم ويعين خلفاءه من بعده

(٤) ان يتعهد الداي بان يعود مجرد تابع مباشر للمسلطان المشاي

فلسطين احمد ان الداي اخبره انه يعرف منطقة الانزال بواسطة رسائل
جاءته من فرسة ، ومن جواسيسه في مالطة وجبل طارق . وقال الداي انه
صله دوما رسائل من فرسة . وانه على علم بما يجري فيها . ولكن
الداي كان يقدر انه من المستحيل الهجوم من البر . ولم يكن يبدو عليه
التفكير على نفسه او على المدينة ، ولعل هذا هو السبب في عدم اسرعه في
اتخاذ الاجباطات الكافية في سيدي فرج لاحباط عمليات الانزال .

٢٠ جمع الداي جيشا قدر ب ٥٠ الف جندي : من حامسة الجزائر
التركية وهي الغنصر الاساسي فيه ، ومن قوات باي فلسطين وتقدر
بحوالي ١٣ الفاً وقوات من وهران تقدر ب ٦ آلاف ، وقوات باي تطرى
وتقدر ب ٨ آلاف ، واشترك حوالي ١٦ الف قبائلي من بلاد القبائل . وكان
الداي يخشى هجوما على الشاطئ الغربي ولهذا امر باي وهران بالبقاء للمدافع
عن مدينته . وبالرغم من تفوق الجزائريين بالعدد الا ان قواتهم لم تكن
متساكة وتعمل غير متسادة ، وكان هنالك خلافات داخلية ولا سيما بين
الأتراك وجنود القبائل . وكانت الحامية التركية قد فقدت الكثير من قوتها
العديدية والمعنوية . ولم يكن الأتراك على وفاق مع الداي الذي اعترضهم في
القصة ، حيث كانوا يعيشون معزولين ايضا عن السكان الذين كانوا يبادلونهم
اكرها بكرة . وكلي لا يدفع الداي لجنود القبائل ابقاهم بعيداً عن العاصمة
خسنة أو عشرة فراسخ بدلاً من استخدامهم في سيدي فرج .

اوكل الداي قيادة هذه القوات الى صهره ابراهيم آغا . وقد انهم
ابراهيم آغا بعدم البصر ونقص الكفاءة . قال عنه أحد اعيان الجزائر (سيدي
حمدان بن عثمان خوجا) انه كان يريد حرب الفرنسيين دون قوة منظمة ،
ودون ذخيرة ، ودون مؤن للرجال وعلف للخيول ، ودون ان يكون لديه
الكفاءة اللازمة للقيام بالحرب . وانهم سي حمدان ابراهيم انه قدر انه ليس

من الضروري منح الجندي اكثر من خرطوشتين ، وان هذا يكفي لتسل
صف الجيش الفرنسي . ويبدو من رسائل ابراهيم ، التي احتفظ الجنرال
بوتزين بنسخ عنها ، انه كان يتقصه الكثير ، وانه كان ما يفنا يلح على الداي
لارسال النجادات والمدافع والذخيرة والمؤن والعلف . ولم يكن ابراهيم
آغا محروما من كل كفاءة كما يصفه خصومه ، فقد دل اختباره نقطة
الهجوم في ١٩ حزيران على تبصر وكفاءة . ولكن المسؤولية الحقيقية تقع
على الداي الذي لم يسمع الى اعداد الجيش وتزويده بما يلزم ، والى الاسراع
باتخاذ التدابير الفعالة ما دام يعرف خبر الحملة ومكان نزولها . وعلى اي
حال لم يكن ابراهيم آغا يملك مؤهلات القيادة اللازمة في هذه الظروف
الخطيرة ، اذ لم يستطع الافادة من تفوقه العددي ومن الاضطراب الذي رافق
عملية نزول القوات الفرنسية ، كما انه لم يفد من خبرات ونصائح قادة
الجيش ، ولا سيما الباي احمد ، الذي اثبت العمليات الاولى وعمليات
المقاومة التي قادها ضد الفرنسيين في اقليم فلسطين حتى ١٨٤٨ انه ينحلي
بمواهب ممتازة كانت تنقص ابراهيم آغا .

وصف الباي احمد الاجتماع الذي ضم قادة الجيش قرب سيدي فرج
قبل نزول الحملة . وذكر ان ابراهيم آغا اقترح اقامة التحصينات على
شاطئ البحر وتزويدها بطاريات قوية لمنع الفرنسيين من النزول الى البر .
وقد بين الباي احمد ان هذا الاقتراح حكيم ولكن ليس هنالك وقت بسبب
نقص الوسائل اللازمة لمثل هذا العمل اذ لم يكن في سيدي فرج سوى حصن
قديم متهدم يقضي اصلاحه واقامة تحصينات فيه عدة شهور . وكان رأي
الباي احمد ان لا تستنفذ الجهود في مقاومة الانزال ، وان كان من الضروري
ابداء بعض المقاومة ومهاجمة الفرنسيين لتعطيل نزولهم . ولكن اذا وضعا
كل أملنا في هذه التحصينات والبطاريات فلن نتجح لان نيران مدافع السفن
الفرنسية ستحطم هذه التحصينات التي انشئت بسرعة ، فضلا عن ان نقل
البطاريات الى سيدي فرج سيفرغ مدينة الجزائر التي ينبغي تركيز وسائل

٢٠ / كم ونيف ، وكان يفصل المعسكر الفرنسي عن اسطرا والي تلال
 منطقة بصورة محكمة تحول دون تسرب الماء اليها ، فقد نفخ النيران خلال ثلاثة
 سكت عند الظهر . وألقى الفرنسيون الدخان من الدخان في المساء ، وكانت
 حملة شارل كان من جديد ، واصل أحد القادة لبرمونت حين سأل عن الحالة
 ولم يكن الفرنسيون حين هبت العاصفة قد انزلوا من المؤن سوى ما يكفي
 والمؤن هبت عاصفة مخيفة عرضت الاسطول الفرنسي للخطر . كتب دوبري
 اخرى بسبب عدم بعصر القيادة ، ففي ١٦ من حزيران وقبل انزال الدخان
 في تلال اسطرا والي (مصطفى والي) . واضاع الجزائريون فرصة ثمينة
 ونجح الفرنسيون في احتلال ضريح سيدي فرج وحسن شيقا ، كما نجحوا
 ثم انزال فرقة الجزائر البرتين ، ولكن تأخير النار الجزائرية كان ضخما ،

- 190 -

المدافع عنها • وأضاف الباي احمد انه اذا نجحت الهجمات الاولى في فتح الابواب يكون قد قفينا على المشروع الفرنسي • واذ لم نستطع فتح الابواب نجح على الجيش الاستحباب الى ما وراء جيش العدو • والانتشار على طول شاطئ البحر من جهة الغرب • وقال الباي احمد : ينبغي ان نلاحظ ان الفرنسيين يريدون الانتهاء من هذه العملية بسرعة ليسحبوا جيشهم الى أوربة • لان مناخ هذه البلاد لا يلائم (بني الأصفر) • فاذا نجحنا في تطويل امد الحرب احرزنا النصر • وحل بالفرنسيين ما حل بكل خصومنا الذين برأوا من قبل • وتوقع الباي ان يكون الفرنسيون بعد النزول في سيدي فرج • اما ان يتوجهوا نحو الجزائر • او ان يتجهوا للقبلة الجيش الجزائري في الغرب • فاذا اتجهوا نحو الجزائر • ينقض الجزائريون على مؤخرتهم وينهبون مؤنثهم ويعطلون قوافلهم ويقطعون الاتصال مع سفقهم • وهذا اسهل لان البحر مقلب ولا يسمح على الدوام بالانزال • اما اذا اتجه الفرنسيون للقاء الجيش الجزائري في الغرب • فان واجب الجزائريين هو تجنب المعركة • حتى يقطعوا جر الفرنسيين الى ارض ملاءمة وبعيدة عن الكثير بسبب الحرارة ونقص الماء • ولكن ابراهيم آغا رفض اقتراح الباي احمد وقسك برأيه • وتقرر اثناء بطاريات في سيدي فرج الا انه لم يكن بالامكان تزويدنا الا بمدفعية خفيفة بسبب نقص العربات القادرة على نقل المدافع الثقيلة •

بدأ الزوال جنود الحملة في سيدي فرج في ١٤ من حزيران • وكانت عملية نزول الجنود صعبة رافقها بعض الاضطرابهم ويقول الجنرال آذان: لو ان الاعالي نصبوا كمان في التلال الرملية المكان بإمكانهم الحاق اضرار كبيرة بالقوات الفرنسية^(١) • ولم يبدأ الجنرال تريون باطلاق النار الا بعد ان

اصطنعها الحكم التركي بسنحها امتيازات واعفاءات ،
وقابل المخزون القليل الاخرى . وكان ولاؤها رخوا .

وعلمها على القبائل المتحاربة : ويكرهون مضطهدتهم من القبايل السابقة ، يعمون
جنود القبايل : وكان « ٥٠٠ » لهم وحدهم ما يدافعون عنه : الاستقلال
رؤسائهم وليس الداي . وكان « ٥٠٠ » لهم وحدهم ما يدافعون عنه : الاستقلال
لؤد يادهم وجبايتهم ولكن هل كان بإمكانهم ان يعطوا معنى لمركبة
النحي لؤد يادهم وطلمهم الضمير « ٥٠٠ » (١)

وكان على رؤس الدولة والعيش داي غريب عن السكان يعيش في
تجري خارج وطلمهم الضمير « ٥٠٠ » (١)
عزله النبعة في القصبية ، معزولا عن المدينة وعن البلاد ، ويحكم بواسطة
خاصته العسكرية . ولم يكن بإمكان الداي ان يستجيب روح المقاومة الجزائرية
كما لم يكن بإمكانه ان يكون طاعن المقاومة ، فهو لا يعرف من البلاد سوى
مدية الجزائر ولا يعرف من السكان سوى الغريب . فلما هزم جيشه لم يكره
بالاتجاه الى الداخل لتابع المقاومة بل فضل الاستسلام ومغادرة البلاد . وبلغ
بالاتجاه الى الداخل لتابع المقاومة بل فضل الاستسلام ومغادرة البلاد . وبلغ
ابن ابي الضيف على موقف الداي « ٥٠٠ » فانظر ايها العبد ، كان ابوه يلد شيئا فليسته
الابا وقد اتى الجزائر جند يا من عامة الجند ، كان ابوه يلد شيئا فليسته
يعترف بفصل الاموات ، وترقى بعيشه الى مصعب النابا ولم يكن له في
البلد منزل ورتبه من ابيه ولا مقبرة لسانه ودوية ، ولا ما يقتضي حب الوطن
ورببه ، ولا سياسة يعرف بها نفسه والحال وما يقتضيه ، كيف لا يفكر اولا
في عاقبه ، ولا تاداه المدفع اسرع الى اجابته ، وكان الامان على ماله اول
آماله ، لانه دخل البلاد صفر اليدين ، وخرج منها فائزاً بنسبة القسدين « ٥٠٠ »
ولو كان من ابناء توابها ما سهل عليه ذلك ولا استهان بطرق الهالك « ٥٠٠ »

ان مقادرة الداي وجنده الجزائر لم يه المقاومة بل كان بداية لقرونة
جديد ، ويقول كاليسو « ٥٠٠ » لقد غيرت المقاومة الجزائرية طبيعتها حيثه
(١) Revue Historique 1965 P. 342

وعم السواد الاعظم شتموا سطوة جند الترك وبلغ السيل الزبى ، وزعمهم
ذلك في الوطن وضاق فيهم الوطن ، والظالم الظلمة ربما تنفضي الى سخطها
الشرية « ٥٠٠ » و « ٥٠٠ » هذه ثمرة اضاعة الجزم وتناقر القلوب بين
الراعي والرعية « ٥٠٠ » (١)

واذا كان صحيحا ان الاتراك قد وجدوا لدى نزولهم في الجزائر
مجتمعا متفككا تعصف به الروح الافريقية والقبلية ، التي زاد من اثرها في
الجزائر بصفة خاصة كون الجزائر ظلت طيلة تاريخها السابق محرومة من
حكومة مركزية ، على عكس جارتها تونس والمغرب ، فانه من الصحيح
ايضا ، ان الاتراك لم يسموا ، وقد تعينت لهم ظروف ملائمة لم تنبأ لغيرهم ،
او بتغير اصبح لم يحاولوا اجراء تغيير ، بل استغلوا الاوضاع القائمة
واصطنعوا وسائل من شأنها ان تزيد في التباعد بين فئات السكان . واذا كانوا
قد نجحوا في شيء فقد نجحوا في تعويق روح العداء ضد الحكم التركي ،
وفي تجريد السكان من وسائل الدفاع المادية والمعنوية ضد الغزو الخارجي .
وقد كان هذا سبب الصعوبات التي واجهتها المقاومة الجزائرية بعد زوال
الحكم التركي كما كان سبب ضعفها .

كان الجيش الجزائري اكثر عددا ولكن تركيه كان يمكن تركيب
الدولة التركية . فلم يكن بإمكان هذه الدولة اللاقومية ان تؤلف جيشا
قويا ولهذا كان هذا الجيش مؤلفا من مجموعات متباينة :

استشارية : جندوا من خارج النابا ، قل عددهم وواضعهم الصراع فيما
بينهم والصراع على السلطة ، يخافهم الداي ويكرههم السكان .

وقولو غلي : يكرهون الاتراك لامتيازاتهم ، ويحترقون الاهالي .

لم يبد أي شيء آخر كما هي التي تقام ولكن التمس الجرحى الذي كانت
تورده الآن الوحدة . ان المقاومة الاولى لا يمكن الا ان تكون مستمرة ،
والمهم من المقاومة المسلحة الحادة فانها لم تكن لتستمر بعد من وجهه الضمنية
في المثل الوحدة ١٩٤٠

مظاهر المقاومة الجبرائرية

١) مقاومة الميثاق : التي يمكن ان نستعرضها على نحو ما نستعرضها
لمقاومة المساعدة للحكم التركي ولكن بصورة جديدة ، انها تقوم اجسادا من
الوطن والدين ، انها تقام كما يقول كاليبسك ، دورها المثل التركي
يبدو السجين

٢) مقاومة الميثاق : في سبل الاحتياط بالترك والسطوة او السعة في
ورقة مركز الداي و سطوة الشهادة ، يستلزم في ذلك روح المقاومة وذهني
الشكل الاحتلال .

٣) مقاومة عبد القادر : وهي المقاومة الأصلية قضية الوطنية التي
سعت من خلال مقاومة الاحتلال الى خلق الأمة والدين والحرية .
لم يكن سكان المدن المحتلة في حكم تسليح لهم ببناء مقاومة فعالة ،
وقد اشدت المقاومة في الجرائر ودمارها ومناه مظهر الجيرة من القسوة الى
البدائل ، او مظهر التنازل السري مع رجحان المقاومة حول هذه المدن ، هي
طريق تزدحم بطبقات والفروع والاضيق للضيق مع الجرحى . فهي مدنية
تظهر الاحتجاج والظلم والاضيق الى الجرحى والسجناء في هذه المدينة
الجرائر اعدم اليهود ودمر على الجرحى الذي قتلها ، وصلت بطون بكرى الحق في
وخرجوا عندهم على الجرحى الذي قتلها ، استناروا لثورتهم ، ويعان كبار الضيق مع قوات
رئيسا للمقاومة اليهودية مستناروا لثورتهم ، ويعان كبار الضيق مع قوات
الاحتلال على أنها ان يظهروا سبل الاثر في سبل السلطة التي حركتهم
والاثر فيها ، والكل في الوقت الذي يظهرون فيه الجرحى يستناروا لثورتهم
والاثر فيها ، والكل في الوقت الذي يظهرون فيه الجرحى يستناروا لثورتهم

(وكان عدد الأرواح قليلا يتجاوز ٩٠٠ جندي . وقد نجح البابي مخزن) و كان عدد الأرواح قليلا يتجاوز ٩٠٠ جندي . وقد نجح البابي
أحمد بالقيام بإصلاحات خففت من وطأة الحكم التركي الذي كانت السلطات
الأخرى تعاني منه ، ولم يرض عن نقص الحماية التركية التي لم تكن مرصحة
لحكمه وعن استخدام قبائل المخزن الرقيق للحاكم والمحكوم ، احاط نفسه
بجنود وفرسان من بلاد القبائل يتقاضون مرتبات . ولما كان البابي يعترف
 $\frac{2}{3}$ الأراضي فإن عددا كبيرا من صفار ومتوسطي الزراعين الذين كانوا
يستأجرون أراضي البابي كانوا يؤثرون ما يمكن تسببه المخزن البايوي ،
مكونين بذلك احتياطا عسكريا . وهكذا ، كما يقول كاليسو صار بإمكان
البابي أحمد ، بتوسيع القاعدة العسكرية ، أن يجند أكبر عدد من الأهالي
بدلاً من الاعتماد على عدد من القبائل الممتازة المرولة عن السكان . وقد
وجد البابي أحمد الغربية المقاربة (المحكر) وجها من الجميع ، ولم يعد
الإغناء الضريبي ولا الأوضاع العسكرية يفرقان بين السكان كما في السلكيات
الأخرى . وقبل أن يصل إلى قسطنطينية علم بقيام مؤامرة ضده في المدينة دبرها
الجد الاتراك ، لأن البابي من القبول غلي ، ولا نهم أهله المدينة من
في مركزاته بالأجزاء للمرب . ولكن البابي تمكن بمساعدة أهل المدينة من
التغلب على المتآمرين وأعدم زعماءهم ، كما قرر التخلص نهائياً من الجند
التركي الذي تعرف في القبائل مريباً بعد فشل المؤامرة ، فعمد كتاباً يطلب فيه
من القبائل التخلص من هذه العناصر التي " لا تجلب إلا الفوضى والتي
تتمنع الحاكم من أن يقدم الخير لهذه القبائل " . وانضامت القبائل لهذا
النداء فأعلنت القتلى في الاتراك . ونظم البابي بدلاً منهم جيشاً من الزواوة من
بلاد القبائل .

رد القاتل •
تلقى الباي كتابا من بورموت يعلن له انه سيقبض بايا في قسطنطينة اذا
اعلن خضوعه لفرنسة • ولم يكن رد الباي واضحا ، فقد اجاب انه تسليم
السلطة من الهادي حسين وبموافقة كل سكان قسطنطينة واقليمها ، وانه سيجوز

وعمل هذا من اسباب رفضه التفاهم مع عبد القادر حتى بعد سقوط قسنطينة
لانه كان يحقر رجلا ليس « ٠٠٠ » من جنس يستطيع ان يقسم امراء
ليقودوا ٠٠٠ » بل انه لم يكن يخفي تفضيله المتخالف مع فرقة لطائرة
(ابن محي الدين) على الانضمام الى عبد القادر للعمل ضد الفرنسيين^(١٦)
وكان الباي احمد يعاني المتاعب من الاثراك والعرب في الوقت نفسه . واذ
كان قد رفض الخضوع للسلطة الفرنسية فلم يكن ذلك بدافع الوطنية
وان كان قد استقل كره السكان الفرنسيين وتصميمهم على المقاومة ليجعلهم
حواله . كما تشجع بوعود السلطان بالمساعدة ، وبما رآه واطلع عليه من
تردد الفرنسيين وعجزهم عن التوغل في الداخل . وكان حرصا على الجاء
في منصبه سواء عن طريق التفاهم مع الفرنسيين او عن طريق المقاومة باسم
سيده السلطان . ولم يرفض الباي احمد حتى استسلامه ١٨٤٨ المباحثات مع
فرنسة ، وهو ان تذر عن لرفض العروض الفرنسية ، بانه تابع للسلطان
لا يستطيع التصرف الا بأوامر منه ، وكان فعلا على اتصال مستمر معه ، فانه
كان يسمى للحصول على افضل الشروط من الفرنسيين مستغلا ترددهم
وعجزهم وحرصهم على التفاهم معه دون توضيحات . ويقول جوليان ان الباي
احمد كان حرصا على السلطة اكثر من حرصه على الجهاد الذي لم يكن
واثقا من نتائجه ، وان سياسة ماهرة تعرف كيف ترضي طموحه وتضمن له
امتيازات كانت ستجبر دون شك في ايجاد حل وسط^(١٧) .

- (1) Ch. A. Julien : *Histoire de l'Algérie Contemporaine*, p. 135
(2) Ch. A. Julien : *Histoire de l'Algérie Contemporaine*, p. 94

الفرنسيين وتهدئة المنطقة، وقبل كلوزل الاخير
جسامة التجار والمزارعين

حماية خاصة فرنسية . فقد كان هناك خلاف بين الصين
في المنطقة خاصة فرنسية .

أثار هذا الاتفاق مشاكل عديدة . فقد كان هناك خلاف بين الصين
والفرنسي . كما سبب استياء شديدا لدى المسؤولين الفرنسيين لأن

اعتري نوابا فرنسية . كما سبب استياء شديدا لدى المسؤولين الفرنسيين لأن
عقد نوابا فرنسية . كما سبب استياء شديدا لدى المسؤولين الفرنسيين لأن

كلوزل تصرف دون إخطار حكومته ، بحجة ان هذه التسوية ليست سوى
كلوزل اعمال الادارة الداخلية في الجزائر . كما ان دوليس الذي لعب

دورا بارزا في المفاوضات لم يخطر بها وزارة الخارجية . واعتبرت الحكومة
الفرنسية ان كلوزل قد تجاوز صلاحياته لأنه ليس مخولا عقد اتفاق مع

دولة اجنبية يحدد مصير اقليم . كما اعتبرت هذا العمل خسارة ، لأنه يتضمن
بنازلا كاملا عن حقوق فرنسية لصالح باي تونس ، ولا يقيم وزنا لمطالبات

فرنسية القديمة في افريقية ، ولأنه ينص على ضريبة هي اقل بكثير من الموارد
التي ينبغي ان يقدمها هذا الاقليم . وقد كشف التحقيق الذي اجراه

القومندان هودر الذي كلف بمراجعة الاتفاق ان كلوزل قد اعطى تمهيدات
تفهمه بأنه عاجلا او آجلا ، وسلم الجزائر الى باي تونس ، كما كشف
التحقيق ان دوافع كلوزل لعقد هذا الاتفاق كانت مالية وليست سياسية ، وانهم

هدفه الاساسي كان الحصول على اللزعة السنوية من اقليم قسنطينة ، وانهم
كلوزل انه حصل على فوائد شخصية كبيرة . وقد رفضت الحكومة الفرنسية

الاتفاق وفضلت محاولة كلوزل .
وبالرغم من فشل هذا الاتفاق فانه سبب ازعاجا كبيرا للباي احمد لأنه

تسحق المطامع التونسية في قسنطينة ، واخذ باي تونس يحرض السكان ضد
الباي احمد . يذكر الباي احمد في مذكراته ان باي تونس ارسل رسلا الى

بيلكية قسنطينة يزعمون ان قسنطينة كانت فيما مضى جزءا من مملكته تونس
وينبغي ان تعود اليها وان يحل اخوه مصطفى محل الباي احمد . وقد لاحظت

العلم ليأخذ رأيهم . فاقا وافقوا على طلب بورمونت فانه سيوافق (١) . ثم
تلقى الباي كتابا اخر من الجنرال كلوزل يجدد عرض بورمونت . وعرض
الباي مقترحات كلوزل على الديوان ، فاجاب الديوان ان قسنطينة تسحق

بالتا الجزائر وان الجزائر تتبع بدورها السلطان ، وان على الباي ان يأخذ
موافقة السلطان قبل ان يقبل العرض . وقد لس الباي احمد كره الديوان

للفرنسيين ، وان جوابه هذا كان بقصد كسب الوقت وطالة المفاوضات ، كما
انه كان بمثابة توجيه للباي للاتصال بالسلطان . وقد تقرر هذا الاتجاه بعد

دخول باي تونس طرفا في العلاقات بين قسنطينة وفرنسة .
وتنتيجة لرفض باي قسنطينة الخضوع لفرنسة وسبب عجز الفرنسيين

عن القيام بعمل عسكري ضده ، بدأ كلوزل يفكر باسناد بيلكي قسنطينة
ووهران الى بعض افراد الاسرة الحاكمة التونسية . وكان بورمونت قد

فكر بعمل هذا الحل بناء على اقراح قنصل فرنسة في تونس ما تيودور لسن
الذي كان خبيرا باوضاع شمال افريقية ، حيث امضى مدة طويلة في العمل

في المغرب وتونس وطرابلس وخرج بخبرة مفادها انه لا يمكن ادارة
المسلمين الا بواسطة مسلمين .

قرر كلوزل عزل باي قسنطينة وتعيين سي مصطفى شقيق باي تونس
بدلا عنه ، وعقد معه اتفاقا في كانون اول ١٨٣٠ حدد فيه التزامات الباي

الجديد . وبموجب هذا الاتفاق تعهد سي مصطفى ان يدفع على اربع اقساط
وبضمانة باي تونس مبلغ ٨٠٠ الف فرنك عن السنة الاولى ، ومليون فرنك

بالنسبة للمسلمين القادمة ، مقابل اعطائه الحق بجباية عائدات الاقليم على النحو
الذي يراه . كما نص الاتفاق على اقصا رسوم الجمر كالتسي يدفعها
الفرنسيون في موانئ عناية وستورا وبجاية الى النصف . وتعهد سي مصطفى

وكان يعتقد ان وراسى ، و يمكن بالعاونة والحصول على سرور الضباط الفرنسيين ،
امكنه ان يامل في ذلك الكثير من الضباط الفرنسيين ،
يا فغندو ، و يشاركه في ذلك الكثير من الضباط الفرنسيين ،
يا فغندو ، و يشاركه في ذلك الكثير من الضباط الفرنسيين ،

ويفسر الماي سكان فلسطين بأنه يعود بصورة خاصة الى الجبراء بأموره
ومقاومة وكعب الضابط بلسيه دورينو وهو من احسن الجبراء بأموره
الفرنسيين . وكعب الضابط ارسلها الى الجزائر الى جريدة فرنسية عن (المفسر
الجزائري في رسالة) : « الآن : يوسف نهال تلمسان ، سلاب قتال عصابة »
(قال فيها : « الآن : يوسف الفارق بالدم والنهب » ينبغي ان يكون
يوسف) فقلنا في قسطنطينة ، يوسف الفارق بالدم والنهب ، قد فقد
صانع قلنا كل الناس الشرقاء » وإذا كان يوسف قد فقد
استمرازا كل الناس الشرقاء ، فقد وجد في باريس حظوة لدى النساء بما
موضع البايوتة فانه لم يفقد حظوته ، فقد وجد في باريس حظوة لدى النساء بما
البايوتية فانه لم يفقد حظوته ، وقد وجد في باريس حظوة لدى النساء بما
يتمتع به من جمال » وبهذا انت جدارة استحق عليها لقب كوليوليا .

يقدر مخادع باريس
١٨٣٨ وترقى الى رتبة جنرال وحصل على وسام
الغزسين، وعزل كلوزل وخلفه
كان وقع الهزيمة شديدا على الفرنسيين، وكي تستطيع فرنسا الانتقام لهذا
١٨٣٧ .

الجنرال دامريون في موقف محيد
في القادر في موضع هذا الصالح
الأمير ، وسمح هذا الصالح
كان لابد من وضع عبد القادر
معاملة تافيا مع الأمير دامريون
وفي نهاية ايار تلقى دامريون
الى الشرق . وفي نهاية ايار تلقى
المسكرى الى الشرق . وفي نهاية ايار
المسكرى الى الشرق . وفي نهاية ايار

(1) Revue Africaine 1940
(2) Ch. A. 1940

(2) Ch. A. Julien : P. 134

واضحا امامه بوعود يوسف الذي اكده له تأييد السكان ، وان الحملة ستكون
بزعة عسكرية وان البلاد مستسلمة . وبلغ من الضماع كلوزل انه دعا
مدعوين بارزين الى هذه التزعة العسكرية ليشهدوا دخوله فلسطين ، واعلن
انه واقع من النتيجة . وطبع امرا يوصيا الى الجنود في عناية بقصه تصديه
الاربع اليوم جاء فيه « . . ايها الجنود سندخل اليوم فلسطين . . . »

كان الباي احمد علي علم باسمدادات الفرنسيين في عسائه فانفذ
يستعد للدفاع ، واستنفر الناس فلم يتخلف احد ، وعسكر على مسيرة نصف
نهار من قسنطينة تاركاً في المدينة حامية بقيادة بن عيسى زودها بالمدافع
والدخيرة الكافية . ولما وجد القوة المهاجمة كبيرة تجنب الدخول في معركة
مفتوحة وقرر القتال مترجعا ، مكتفيا بمرقعة تقدم العدو ويستدرجه الى
قسنطينة ليجني بأسوارها ، ويترك الفرنسيين يتوغلون في الاقليم فيترضون
المران حامية قسنطينة وهجمات القنابل على مؤخرتهم ، وادخل الباي قسما
من قواته المدية وانسحب مع الباقيين وراء الفرنسيين يراقب حركاتهم .

ساعد العلقس الباي احمد فقد سقط الطر والبلعج في غير موعده وبكلمات كبيرة الحقت بالفرنسيين اضرارا كبيرة ، واعاقت تقدم المدفعية والمؤن . وركز الباي اهتمامه على من بقي في المؤخرة فهاجمهم وقتل كثيرا منهم وسلب اعدائهم ، وعندما تقدم الفرنسيون لهجمة المدينة وجدوا انفسهم بين نارين : نار المدينة ونار خيالة الباي في مؤخرتهم . وقتل الهجوم واضطر الفرنسيون الى الانسحاب . وصف ديو بريدل ونوا هذا الانسحاب انه كان رهيبا يعيد الى الذهن الانسحاب من روسية ، وكان اللورد الادنى نفسه ، ولم يكن الخيالة العرب اقل رهبة من القوزاق (١) . وشرع الباي بمطاردة الحملة المنسحبة . ويذكر في مذكراته انه لم يقتل عليهم كي لا يثير غضبهم ويدهمهم الى القفالة المضاربة . وكان الباي كما يذكر في مذكراته يعتقد انه لو دمر

وَأَمَّا الْفُلُ فَأَنزَلْنَاهُ ذِكْرًا لِّعِبَادِنَا
فِي الْبَحْرِ وَنُفِثْنَا بِهِ أَعْيُنَ عِبَادٍ
مِّنَّا مُبْصِرِينَ

كانت الحصة الغريبة

وقاد د امر بھوں • ولكن الفشل • المجد مخافة الفشل •

١٠
 ٩
 ٨
 ٧
 ٦
 ٥
 ٤
 ٣
 ٢
 ١

هذه دلائل على
اهميتها

1. 1
 2. 2
 3. 3
 4. 4
 5. 5
 6. 6
 7. 7
 8. 8
 9. 9
 10. 10
 11. 11
 12. 12
 13. 13
 14. 14
 15. 15
 16. 16
 17. 17
 18. 18
 19. 19
 20. 20
 21. 21
 22. 22
 23. 23
 24. 24
 25. 25
 26. 26
 27. 27
 28. 28
 29. 29
 30. 30
 31. 31
 32. 32
 33. 33
 34. 34
 35. 35
 36. 36
 37. 37
 38. 38
 39. 39
 40. 40
 41. 41
 42. 42
 43. 43
 44. 44
 45. 45
 46. 46
 47. 47
 48. 48
 49. 49
 50. 50
 51. 51
 52. 52
 53. 53
 54. 54
 55. 55
 56. 56
 57. 57
 58. 58
 59. 59
 60. 60
 61. 61
 62. 62
 63. 63
 64. 64
 65. 65
 66. 66
 67. 67
 68. 68
 69. 69
 70. 70
 71. 71
 72. 72
 73. 73
 74. 74
 75. 75
 76. 76
 77. 77
 78. 78
 79. 79
 80. 80
 81. 81
 82. 82
 83. 83
 84. 84
 85. 85
 86. 86
 87. 87
 88. 88
 89. 89
 90. 90
 91. 91
 92. 92
 93. 93
 94. 94
 95. 95
 96. 96
 97. 97
 98. 98
 99. 99
 100. 100

[Faint handwritten notes]

$\frac{1}{2}$

استكمال التجميع والى

الطريق واخل
بغوي
البي

$\frac{1}{2}$

$\frac{8}{\sqrt{6}}$

$\frac{1}{2}$

الثل بنفسه وبهى
الاي من
لا حظ

$\frac{1}{2} \frac{d^2}{dt^2} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2}{dt^2} \right)$

والصراط المياري واحد المقادير

مستوی عال

والله اعلم
بما كنا نعبد

$\frac{1}{2}$

1
A
10
1

0
6
1

التي جعلته ينبغي القيام بمحاولات للتفاهم مع البابي أحمد مع الاحتفاظ بأهل ممارسته
سلطة " " هذا القطاعي التركي القديم بقوة عبد القادر المساعدة " " .

و جبرت معا وضأت مع البايع بواسطه يهود بين احد هما موزني بوشناخ

الذي كان يعمل في حاشيته ابني سعيد لم يستطع ان يعرض
الفرنسيون على الاعتراف بالسيادة الفرنسية ودفع غرامة
حربية والتخلي عن

عن القائل وعذابة وضواحيها ° ورضيف الباي في مذكرياته اهتم طلبوا وضع

حاميه في قضية فلسطين وان يتركه في
الاعتراف بالسيادة الفرنسية • ولم يكن الباي احمد يتفق باليهود ١٠٠٠ ان

يُجود هذه البلاد يعكرون على الدوام القضايا السياسية التي شرسكون فيها
الدهاء مصلحة تروية الآخرين يميزون .

اهم لا يشاربون و لهم على
 كاولاد آوى الذين يحصلون على بقايا مصر
 كة الاسود
 " ♦ ♦ ♦ ♦ ♦

كن الباي مستعدا للصالح ولكن بشروط اخف . وينذكر في مذكرة

انه كان مستعدا لدفع الزمة والغرامة ولكنه لم يكن مستعدا لترك المبالغ التي يتوجب عليه

مخرج عن فؤاده ، ان يتركوا له باقية

الملاذ • ولكن الفرنسيين تمكنوا بمطالبتهم ، ولم يتراجع النبي • وبعد

١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦

بذل الوسائل المتعددة
واخيرا فان الامور لا تقدر في
الفرقة بل في فرقة « وعرض اليلو

على الباى ان يمنحه مبلغا من المال لينذهب الى باريس ويسعى هناك للاحضار

على صلح ملائم . ولكن النبي رفض اعرض وسم يفرق

يسمى اليهودي متى ايرسين ر
الفاوضات و ارسل كتابه مع اثنين من
الخطازيه مع كتاب يحدد فيه

السايق • ولكن الفريسيين تصكوا بمو قفهم •

الفرس يسمي سكي
وخلال ذلك قام الباي باخطار السلطان بعقل الهجوم الفرنسي
وجدد طلبه بالمساعدة ضد هجوم آخر متوقع . هذا السلطان محمود
فلسطينية ووجد عليه بالمساعدة ضد الهجوم البشري والمدايع والمدفعيين
الباي على النصر ووعده برسالة المساعدات البشرية والمدايع والمدفعيين
الباي . وعلم الباي بوصول أربع سفن تحمل جنودا ومدافع الى تونس
والايرانيين . ولكن باي تونس عرف نزول هذه القوات بحجة انه علم بوصول سفن
فرنسية حربية الى المياه التونسية (وكانت الحكومة الفرنسية قد خصصت
نفسا من اسطولها لتحويل دون وصول اية مساعدات من السلطان للباي
وأن هذه السفن ستهاجم تونس اذا سمحت بنزول هذه القوات . وحجز باي
تونس المدافع التركية التي اتركت في تونس وانسحبت القوة التركية .

كانت الحملة الفرنسية تتألف من ٢٠ الف جندي ومروضة بكل
ما يلزم . وقاد دامريون بنفسه الحملة بعد ان رفضها الجيرال بجو كما
رفض الملك ان تكون بقيادة ولى العهد مخافة الفشل . ولكن ابنا آخر للملك
انترك فيها دلالة على اهميتها . وكان الباي احمد قد رمم تحصينات قسنطينة
وبدا يهاجم القوات الفرنسية التي كانت تتجمع في مجاز عمر ، وكان الباي
يعلم ان القوات الفرنسية ستجمع في هذا المكان ، فقرر جيشه ان يعود الى تكليكه
استكمال التجميع ولكن معجومه فشل . فقرر جيشه ان يعود الى تكليكه
السابق ، وأخلى الطريق للمفرنسيين ليهاجموا قسنطينة فيحصرهم بين تارمين
واستمر في مناوشتهم أثناء تقدمهم . ولكي يقوي الباي احمد من عزيمته
والدافعين عن قسنطينة رفض اقتراحه بنقل الانشاء الثمينة من المدينة ، وضرب
المثل بنفسه فابقى كل ثروته في القصر .

وعشية الهجوم على قسنطينة لاحظ الباي من مكانه ان اجتماعا على
مستوى عال يقعد بين الضباط الكبار ، فامر قائده مدعية القصة بقصف الكبار
الا اجتماع . وادى القصف الى مقتل القائد العام دامريون واحد القادة الكبار
المراهقين له . واستغل الباي البلبلة التي حدثت فشن هجوما دعه في الوقت

الاحملة ينبغي القيام بمحاولة المتفاهم مع الباي احمد مع الاحتفاظ بأمل مراضة
سلطة . . . هذا الاقطاعي التركي القديم بقوة عبد القادر الصاعدة . . .
وجرت مقاضات مع الباي بواسطة يهوديين احدهما موتى بوشناخ
الذي كان يعمل في حانية الباي سابقا ثم انتقل الى خدمة دامريون . عرض
الفرنسيون على الباي الاعتراف بالسيادة الفرنسية ودفع غرامة حرية والتخلي
عن القتال وعداية وضواحيها . ويضيف الباي في مذكراته انه طلبوا وضع
حامية في قبة قسنطينة وان يترك للقبائل اذا رغبت ودون مقاومة من احمد
الاعتراف ، بالسيادة الفرنسية . ولم يكن الباي احمد يثق باليهود . . . ان
يهود هذه البلاد يمكنهم على الدوام القضاء السياسية التي يشتركون فيها .
انهم لا يحاربون ولهم على الدوام مصلحة برؤية الآخرين يتزقون . انهم
كاولاد آوى الذين يحصلون على بقايا معركة الاسود . . .

كان الباي مستمدا للمصلح ولكن بشروط اخف . ويذكر في مذكراته
انه كان مستمدا لدفع اللزومة والغرامة ولكنه لم يكن مستمدا لترك القبائل
تخرج عن قيادته ، اذ انه لا يستطيع جيشه تأمين المبالغ التي يتوجب عليه
دفعها . وقبل الباي من الفرنسيين البقاء في عناية على ان يتركوا له باقي
البلاد . ولكن الفرنسيين تمسكوا بمطالبهم ، ولم يتراجع الباي . ويذكر
البرني ان اليهودي استحسن عمله وبين له ان الفرنسيين يرغبون في التوسع
بكل الوسائل الممكنة « . . . اليوم يطلبون منك هذا وغدا يطلبون شيئا آخر »
واخيرا فان الامور لا تقرر في افرقية بل في فرنسة . . . وعرض اليهودي
على الباي ان يمنحه مبلغا من المال لينذهب الى باريس ويسعى هناك للحصول
على صلح ملائم . ولكن الباي رفض العرض وستم اليهودي . وخشية ان
يسعى اليهودي لدى الفرنسيين وان يحور كلامه ، ولانه كان راغباً في
المفاوضات ، ارسل كاتبه مع اثنين من المخازنية مع كتاب يجدد فيه عرضه
السابق . ولكن الفرنسيين تمسكوا بموقفهم .

عبد القادر

عبد القادر أبرز وجوه المقاومة الجزائرية وأكثرها وعيا وإسهاما ، يعتبر عبد القادر بطلنا الوطني ، بل كان رد فعل واضح يعكس إن عمله لم يكن رد فعل عفوي أو محلي ، بل كان رد فعل واضح هو أنها كانت عند القادر يدرك بوضوح ضرورة وجودها وشروط ههنا الوجود .

كان عبد القادر زعيما من طراز جديد لم تعرفه الجزائر ، ولكنه كان أكثر ادراكا لواقع الحياة السياسية أو الإدارية أو العسكرية أو اقطاعية ، بل كان فهو لم يكن وريث زعامة سياسية أو إدارية يحيا حياة بسيطة فجات ظروفا السلطة فحسب ، في بداية امره رجل زاوية يحيا حياة بسيطة فجات ظروفا السلطة فحسب ، لتجمل منه قائدا عسكريا وزعيما سياسيا واميرا ، لا من اجل الوحدة الجزائرية . وليس من اجل المقاومة وحدها ، بل من اجل خلق الامة والوحدة الجزائرية .

بدأ عبد القادر كزعيم للمجاهد ضد الغزاة ، ولكنه كان أكثر ادراكا ورعيا من قادة المقاومة الآخرين الاقليميين ، من زعماء قبائل او حكام امراك او مرابطين . فقد ادرك ان الحساس لا يكفي وان الشجاعة بدون تنظيم واعداد تهور . وادرك ان مقاومة المحلل ينبغي الا تكون غاية في انفسال افراد ان يجعل منها وسيلة لخلق جزائر جديدة . لقد ادرك ان ثورات القبائل المتفرقة قدمت النضال على التنظيم والاعداد ، ولم يستطع زعماءها ان يتجاوزوا حدود القبيلة او الاقليم . اما عبد القادر فقد عمل على تحقيق الوحدة الجزائرية كنسطة اساسي للحاج المقاومة ، وبهذا اوجد بعدا جديدا في حياة المجتمع الجزائري هو شعور الانتماء الى مجتمع يتجاوز حدود القبيلة او اتحاد القبائل او الاقليم ، مجتمع اراده ان يكون امة ، وكاد بالفعل القبيلة او اتحاد القبائل او الاقليم ، مجتمع اراده ان يكون امة ، وكاد بالفعل

نفسه مبعوم من المظالمين من المدينة ، واحراز الهجوم نجاحا محدودا لم يؤثر على الموقف العام .

قاد الهجوم الفرنسي الجزائر قاضي ، وبالرغم من ضراوة المقاومة فقد نجح الفرنسيون في اقتحام المدينة ونسب قتال رهيب في الشوارع ، وسقطت المدينة في الوقت الذي نفذت فيه ذخيرة الجيش الفرنسي ، ولو طالت المقاومة وشن الباي هجوما مكا لا يندت الحملة بكاملها . نهبت المدينة كما حدث للجزائر ، وابع اليهود دورا بارزا في ذلك .

لم يمه سقط قسنطينة مقاومة الباي ، ويذكر الباي انه صمم على المقاومة على اساس ان يحجب جزءا من قواته الى مكان آمن في الجنوب ، وان يرتبط مع ما تبقى من القوات على طريق عناية ليقطع الطريق على وصول المؤن الى قسنطينة - وكان قد عرف ان الجيش الفرنسي قد نفذت مؤناته - ولكن اعوانه امروا على الانسحاب الى الجنوب . واستمر الباي احمد في المقاومة حتى ١٨٤٨ ، ولجأ أخيرا الى جبال الاوراس . وتكررت خلال ذلك عروض الفرنسيين عليه بالاستسلام دون نتيجة بسبب تشدد اعوانه ، وقد أصبح شبه امير لديهم . واخيرا قبل الباي عرضا فرنسيا بالاستسلام مع وعد بإعادة ممتلكاته ، وافق سرا مع الفرنسيين على ارسال قوة تحاصره وجيشه يعلن لانصاره المصريين على المقاومة ان المقاومة مستحيلة . وتم الاستسلام في حزيران ١٨٤٨ ونقل الى الجزائر حيث توفي ١٨٥٠ .

العصر الحديث ، فقد شاهد عمل محمد علي في بناء دولة مصر الحديثة لروح النهضة من مصر ، وأعجب به ، وادرك سر تفوق الغرب الأوروبي ، أثناء مروره من مصر ، ولاحظ محمد علي عندما ، لقد انصهر محمد علي ولكنه تجاوز الحدود التي وقف محمد علي عندما ، لقد انصهر محمد علي على البناء المادي ، وسمي إلى خلق الدولة الحديثة ، وترسانة على البناء المادي ، كان محمد علي يشعل الاستبداد المستبد ، وكان مشهوره بكونين الأمة ، كان محمد علي يشعل الاستبداد المستبد ، وكان مشهوره يقوم على أن وجود الدولة يعني وجود الأمة ، أما عبده القادر فقد عمل وفي آن واحد على تكوين الأمة والدولة معاً ، وكان عمله أصعب من عمل محمد علي ، فقد كان هذا يعمل في بلد اعتاد الناس فيه على وجود الدولة واعتادوا على تدخلها في حياتهم بحيث كان عدم وجود الدولة ظاهرة شاذة وخطرة ، في حين كانت الجزائر قد اعتادت منذ تقديم على حياة المجموعات المستقلة وعلى غياب الدولة ، بحيث كان وجود الدولة وتدخلها في حياة الناس هي الظاهرة الشاذة والمؤذية .

ومن جهة أخرى ، كانت الظروف الداخلية والخارجية تسهل عمل محمد علي ، في حين كانت هذه الظروف تهاكس عمل عبد القادر . ومع ذلك فإن ما حققه من نجاح بالرغم من هذه الصعاب يعتبر إنجازاً يستحق الإعجاب .

بيلكية الغرب قبل ظهور عبد القادر :

هناك عوامل متعددة كانت تميز بيلكية وهران ، فقد الف سكان الأقاليم الجهاد بسبب الاحتلال الإسباني الطويل لوهران والمرسى الكبير الذي لم يقتض زمن طويل على زواله ، وكانت مقاومة الحكم التركي عبادة لدى

(١) يذكر القاضى الفرنسي ماسو الذي كان اسيرا لدى عبد القادر ١٨٤٠ - ١٨٤١ في كتابه له إلى وزير الحربية بعد أن تحرر من الأسر أن عبد القادر كان يحلم أن يكون صهبا علم

أن يبلغ على يده حدود الأمة . يقول بول فورنييه « أن الفرنسيين لم يبدأوا انخرب على رجل طموح بل على شعب يتكون وعلى دولة تبني » (١) . ادرك عبد القادر أن سر انهيار الجزائر التركية السريع يعود إلى فساد النظام السيلابية والإدارية التركية ، وإلى فساد العلاقات الاجتماعية القديمة ، وادرك أنه لكي يصبح في عزم العدو ينبغي أن يزيل هذا الفساد وأن يعمل على تغيير العلاقات القديمة أو على الأقل تعديلها بقدر ما تسمح به الظروف والإمكانات ، ليكون بذلك الأمة الجزائرية المتحدة . وإذا كان عبد القادر لم ينجح في تحقيق كل ما يريد ، فقد نجح في وضع نواة الدولة والأمة التي ظلت حية في أذهان المتوربين الجزائريين حتى قامت الثورة الجزائرية الحديثة ، التي اعتبرها زعماءوها بثورة عبد القادر وامشدا لها ، واستطاعت أن تكمل ما بدأ به .

ادرك عبد القادر أن عنصر المحنة الوحيد القادر على تكوين الأمة هو الدين . وبالرغم من أن عبد القادر كان ينتمي إلى طريقة صوفية (القادرية) فإنه لم يعمل بوصفه قادراً ولم يسع لإفرض طريقته على الآخرين . كان يعمل باسم الإسلام وكانت طريقته الجديدة هي (الجهاد) . ولم يكن عبد القادر مصلحاً دينياً فهو لهذا يختلف عن زعماء المصنور الوسطى الممارية كالرابعين والموحدين . كان يريد أن يوحد الأمة ويطرد المحتل عن طريق الشموخ الديني . وفي الوقت نفسه كان عبد القادر متفهماً

(١) يقول فورنييه « ... فبعد القادر ليس مؤسس سلالات شبيهة بسلالات المصنور الوسطى . فقد صار أهم شيء ، عبدة مقاومة الفتح أكثر من العون الديني » . وكانت هذه المقاومة تتحد قبله على المناطق الوطنية المظلمة في القبائل المتعلقة بالأرض التي زرعيها أجدادهم إما مع عبد القادر وحتى سنة ١٨٤١ فإنها كانت مبنية على الدفاع عن قومية بدأت تتخلى وتتحول إلى دولة ... أن الفرنسيين لم يبدأوا سنة ١٨٤١ الحرب على رجل طموح بل على شعب يتكون وعلى دولة تبني » فورنييه مجلة التاريخ الحديث المعاصر ص ١٢٣ .

التدخل المغربي :

كانت تتسلل منه زمن طويل محط انظار حكومات المغرب المتعاقبة . وكانت البوارجوارية الجزائرية في المدينة وتسمى (الحضر) قوية ولها صلات تجارية وثيقة مع فاس ، ولهذا كانت على الدوام تتطلع نحو المغرب . وازاء التطورات الجديدة الناجمة عن الغزو الفرنسي طالب (حضر) تلمسان من مولاي عبد الرحمن سلطان المغرب قبول تبعيةهم له ، وقبل السلطان وعين ابن عمه علي بن سليمان خليفة عليهم يساعده ادريس عامل وجدة ، كوصي عليه بسبب صغر سنه ، وزوده بالجند والمال اللازمين . واعتمد السلطان على سيدي الحاج العربي شريف وزان ، الذي كان له نفوذ كبير في المنطقة كي يدعو القبائل هناك الى الدخول في طاعته .

رحب حضر تلمسان والقبائل المجاورة بالخليفة الجديد ، ولكن القبول على اعتصموا بالشور ورفضوا التبعية المغربية ، ووقفت الدواوير والزمالة الموقف نفسه .

سارع كلوزل لمعالجة هذا الموقف ، فارسل احد ضباطه يتحمل انذارا الى سلطان المغرب يطالبه باخلاء تلمسان .

كان تصرف كلوزل شخصيا دون علم حكومته التي استكرت هذا التصرف الذي انتهى على اي حال دون نتيجة .

ولم يحث السلطان على مثل فرنسا في طنجة رغبت في الاحتفاظ بتلمسان واكد له حقوقه فيها وواجباته ازاء المسلمين . واذا كان السلطان قد اضطر الى استدعاء خليفته مولاي علي فليس بسبب تخليه عن مشروعه ، بل كان لفشل هذا الخليفة في معالجة موضوع القبول على والدواوير والزمالة . وتشجع السلطان في متابعة مخططاته في تلمسان باتفاقه مع آغا الدواوير وآغا

الزمالة المدين لوقفهما الخليفة العزول وارسلها الى فاس ، كما تحفظ الالباء التي وصلتته عن اضطراب الفرنسيين الى الاستحباب من مدية وتضمين الجزائر بين على القومية . عين السلطان خليفة جديدا هو الشريف محمد بلحمري الذي دخل تلمسان في ١٦ من آب ١٨٣١ مستجيبا لقوات الدواوير والزمالة . وتقوى موقف السلطات المغربية بتأييد القبائل المجاورة لوهراي ، التي نعمت على سياسة قائد وهران الجديد الخيال بوايسه الذي اعطى ... ان السيف هو القانون الذي ينبغي فرضه على الاهلي ... واشتت عن تموين المدينة وفرضت على وهران حصارا شديدا حتى اضطرت المدينة الى جلب ما تحتاجه من مؤن من فرنسا . تشجع الشريف بلحمري بسبب هذا كله فحاول الاستيلاء على وهران ولكنه فشل بعد حصار دام اسبوعين من ٨ - ٢٢ من تشرين الاول ١٨٣١ . وسعت فرنسا حينئذ الى التدخل لدى السلطان والضغط عليه ، ونجحت مساعي ممولها الكويت شارل دو موراي في اقناع السلطان باستدعاء خليفته من تلمسان والامتناع عن التدخل في شؤون الجزائر .

ظهور عبد القادر :

ترك انسحاب المغاربة الوضع في بلكية وهران خطيرا ، فقد انتشرت الفوضى وازداد شعور السكان بالخطر والقلق على تصرفات الخيال بوايه العسقية ، وظهرت الحاجة الى شخصية قادرة على توحيد السكان وقبائلهم للقضاء على الفوضى ومقومة الاختلال . ويقول صاحب تحفة الزائر ازاله الحل والنفذ في غربي الجزائر من الانتراف والعلماء والاعيان كانوا قد تداعوا قبل التدخل المغربي المنظر من اجتمعت فيه شروط الامارة لياسموه ، فرفضوا الامارة على مقدم الطريقة القادرية محي الدين ... وكان انصف اقوم ربحا واعدهم حيا واغدهم كلمة ... ، ولكن محي الدين اعتذر بسبب كبر سنه وبعد انسحاب المغاربة عاد اهل المغرب فالتحقوا على محي الدين

في رسالة الأمير الى القبائل انه قبل البيعة «... مؤملا ان يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام بينهم...» وحماية البلاد من العدو... فلذلك ندعوكم لتحدوا وتتقوا جميعا...» وهكذا كان عبد القادر يؤكد على الدوام على ارتباط الاتحاد بالجهاد.

كانت مهمة عبد القادر صعبة فقد كان عليه ان يعمل في آن واحد على تنظيم حكومته الجديدة واخضاع القبائل التي تعبت بالامن، او التي تعاون مع الفرنسيين، والتخلص من منافسيه. وقد شرع على الفور في اعادة النظر في القوانين والعوايد الجائرة السابقة، وانشأ مجلسا للشورى من العلماء والرؤساء، وهدم... ما كانت الحكومة الجزائرية اسسه من المفارم والضرائب والعوايد... كما عمل على اخضاع منافسيه، فغلب على ابن نونه زعيم الحضرة في تلمسان الذي كان قد تلقى من سلطان المغرب لقب خليفة. وغدا الأمير عن خصمه وافرد على زعامته واصلاح بنيويين القولوعلي. ثم اخضع عددا من القبائل التي كانت تعبت بالامن. وازداد انتصاره وجأته الوفود تعلن بيعتها وتأييدها.

معاهدة ديشيشيل ١٨٣٤ :

لم يهمل الأمير امر وهران بل شدد الحصار عليها، وعاقب القبائل التي كانت تعامل مع الفرنسيين. وفي ١٨٣٣ حل الجنرال ديشيشيل في قيادة وهران محل الجنرال بوايه ونجح في الاستلاء على مستقام وارزيو. الا ان هذا النجاح لم يغير الموقف فقد فرض الأمير حصارا شديدا على هذه الموانئ ولم يعد باستطاعة ديشيشيل التمكن الا عن طريق البحر. ولما لم يكن بإمكان ديشيشيل التخلص من هذا الوضع الصعب عن طريق القوة فقد لجأ الى التفاهم مع الأمير. وكان الأمير من جهة بحاجة الى الصلح ليتمكن من توطيد مركزه، واعداد القوة اللازمة لتحرير الموانئ المحتلة. ولم يكن بإمكان الأمير ان يكون

ليقبل الأمانة والجهاد فاقبى الأمانة وقبل الجهاد^(١). شن محي الدين بن ايار وتشيرين الثاني عدة هجمات على وهران برز فيها ابنه الشاب عبد القادر. ولكن محي الدين فشل في احتلال وهران كما فشل في وضع حد للمخضومات القبيلة، وشعر بحجزه بسبب شيخوخته فأحب ان يتخلى عن هذه المهمة لابنه. وفي ٢٤ من تشرين الثاني ١٨٣٢ اجتمع العلماء والأعيان ورؤساء القبائل في سهل اغريس وبايعوا عبد القادر، وكان عمره ٢٤ عاما، اميرا وزعيما للجهاد. وجاء في صك البيعة ان اختيار عبد القادر... لكونه ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم وذات سليمة صالحة لتنفيذ الأحكام فاجتمع اهل الحل والعقد وبايعوه من غير طلب للأمانة ولا متابعة للنفس الأمانة، بل بايعوه رغبا عنه...^(٢).

ولم تكن البيعة فقط لجهاد الفرنسيين بل لانقاذ البلاد من الفوضى والنزاع وجمع الكلمة. ولقب عبد القادر ناصر الدين.

وفي ٢٥ من تشرين الثاني ١٨٣٢ دخل عبد القادر (ممسكراً) التي اختارها مقر له، وامر مجلس العلماء ان يكتب رؤساء القبائل ليحضروا للبيعة. وجاء في رسالة العلماء الى رؤساء القبائل... اما بعد فاعلموا يا معشر العرب والبربر ان الأمانة الإسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل امرها الآن الى ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين وحجرت مبايعته على ذلك من العلماء والأشراف والأعيان وممسكراً، وصار اميرا علينا ومتكفلاً بإقامة الحدود الشرعية وهو لا يقضي آثار غيره ولا يحدو حدودهم ولا يخصص لذاته مصاريف زائدة عن الحاجة كما كان الغير يفعل، ولا يكلف الرعية شيئا لم تأمر به الشريعة المطهرة ولا يصرف شيئا الا بوجه الحق، وقد نشر راية الجهاد وشمر عن ساعد الجد لنفع العباد وعمران البلاد...^(٣). وجاء

(١) محمد بن عبد القادر الجزائري : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق - ص ١٥٨.

(٣) محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ص ١٦١.

الذي يطلب الصلح مع شدة حاجته اليه لأن هذا يهدد مركزه وقوته ، ولهذا ربح بالمبادرة التي جاءت من ديمشيل ان دينا يمنا عن طلب الصلح ابتداء وسمح لنا بقوله اذا عرض علينا بدأ ديمشيل الاتصالات مع الأمير بموضوع اسرى فرنسيين وقعوا في قبضة الأمير . وقد اعرب ديمشيل خلال ذلك عن امله في الحصول على معاهدة موافقة يتوقف عليها سفك دم امتين اقتضت الارادة الالهية الا تكونا تحت سلطة واحدة (١) كان ديمشيل يقاوض الأمير بمبادرة شخصية دون ان يتلقى تعليمات من باريس ، ودون اخطار حاكم الجزائر . توصل الطرفان الى اتفاق في شباط ١٨٣٤ سمي فيما بعد معاهدة ديمشيل . وقد سبق الاتفاق النهائي موافقة كل من الطرفين على شروط قدمها الطرف الآخر ثم اتفقا على اختيار صك هدنة واحد تحرر فيه مطالب الأمير باللغة العربية ومطالب ديمشيل باللغة الفرنسية . كان الاتفاق عاما حول وقف الخصومة واحترام الدين الاسلامي وتحرير الاسرى الفرنسيين وحرية التجارة والاعتراف بسلطة الأمير خارج وهران ومستغانم وارزيو ، وارجاع القارين من رعايا الطرفين . ونصت مطالب الأمير التي وافق عليها ديمشيل ان يكون للعرب الحرية ان يبيعوا ويشترؤا كل ما يتعلق بالحرب ، وان يكون متجرا مرسى ارزيو تحت ولاية الأمير كما كان قبلا بحيث لا يشجن الامن ، اما وهران ومستغانم فلا يرسل لهما الا البضائع اللازمة لاهلهما .

عندما بلغ ديمشيل هذه المعاهدة الى وزارة الحرب لم تبد الوزارة ارياحا لشروطها ، واعتبرتها مجرد وقف للخصام ينبغي ان يتلوه اتفاقات اكثر تحديدا . والواقع ان الطرفين اعتبرا هذه المعاهدة هدنة مؤقتة ريثما يتضح الموقف ، فالفرنسيون ينتظرون ما ستسفر عنه تقارير لجان التحقيق ، والموقف الذي ستخذه الحكومة حول مصير الجزائر . والأمير ايضا اعتبرها

(١) محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ص ١٨١ .

هدنة مؤقتة لتابعة تنظيم حكومته واخضاع مناصبه ، وقد استل عدم تحرر المعاهدة لحدود عمله خارج المناطق التي يحتلها الفرنسيون فسي الى سيطرته الى خارج بيلكية وهران ، ولاسيما بيلكية تطري .

لم تعلن الحكومة الفرنسية عن موقفها حتى ٢٢ من تموز حيث قررت الاحتفاظ بالجزائر . وحينئذ سعى حاكم الجزائر الى اعادة النظر في المعاهدة ، لتعديلها وتحديد شروطها بصورة ادق وتشكل يتناسب مع مصالح فرنسا .

كانت التغييرات التي اجرتها الحكومة الفرنسية بعد قرارات ٢٢ من تموز ١٨٣٤ في حكومة الجزائر وبيلكية وهران (تعيين دروي ديرلون حاكما عاما للجزائر وتعيين تريزل حاكما لوهران بدلا من ديمشيل) تشير الى انها لن تقيد بالمعاهدة السابقة . شرع حاكم الجزائر باجراء محادثات مع الأمير حول تدخل الأمير في بيلكية تطري ودخوله مدية ، وسعى الحاكم الفرنسي لانقاع الأمير باعادة النظر في المعاهدة بحيث يقتصر عمل الأمير على المناطق الداخلية من بيلكية وهران . وحاول الأمير من جانبه انقاع الحاكم الفرنسي بالاعتراف له بجميع المناطق التي خضعت لسلطته ، وبحرية العمل خارج مناطق الاحتلال الفرنسي . واشتد الخلاف بسبب قبول الجنرال تريزل ، بالرغم من معارضة حاكم الجزائر ، انضمام الدواير والزمالة الى الفرنسيين ومنحهم الحماية ، الامر الذي اعتبره الأمير خرقا للمعاهدة . ادى تمسك تريزل بموقفه الى تجدد القتال الذي كان يتحرق شوقا اليه ، يدفعه الى ذلك التجار الفرنسيون الذين آذاهم حصر التجارة في ميناء ارزيو ، واشراف الأمير عليها .

خرج تريزل من وهران على رأس قوة كبيرة ولكنه اصيب بهزيمة منكرة في معركة المقطع تركت صدى كبيرا في فرنسا .

معاهدة نافنا ١٨٣٧ :

بعد معركة المقطع اعيد كلوزل مرة ثانية حاكما عاما للجزائر . ركز

الذين أقاموا معسكرا في رشفون هزيمة ساحقة عند مصب وادي تافنا في
تلمسان ١٨٣٦ شبت بهزيمة القطع ، وقطع الأمير الاتصال بين رشفون
ووهران ، وحاصر الحامية الفرنسية في تلمسان .

والتغلب على هذه الصعوبات أرسلت الحكومة الجنرال بيجو إلى وهران
لمعالجة الموقف .

أحرز بيجو نجاحا مؤقتا ، فقد هزم الأمير في معركة على نهر السكك
في تموز ١٨٣٦ ، وفك الحصار عن تافنا ، وأرسل المؤن إلى حامية تلمسان
ثم عاد إلى فرنسا .

وفي ١٨٣٧ كان الشاغل الرئيسي للسياسة الفرنسية هو العمل على محو
آثار هزيمة قسنطينة ، فشرعت في إعداد حملة قوية للقضاء على الباي أحمد .
وكمي لا تبصر الجهود الفرنسية قررت الحكومة السعي لتجديد الأمير ،
فتمت بيجو حاكما لوهران وأوكلت إليه مهمة التفاوض مع عبد القادر ،
واعطته حرية واسعة لاختيار أفضل الوسائل للوصول إلى اتفاق مع الأمير
بمعزل عن حاكم الجزائر العام .

كان بيجو آنذاك من المناهضين لاحتلال الجزائر وكان في هذه الفترة
أكثر اهتماما بالنفوذ السياسي منه بالجهد العسكري ، ويفضل عضوية
البرلمان على القيادة العسكرية . فقد رآه إذا حصل عن طريق المفاوضات
على اتفاق مع الأمير إما كان ثمنه فانه سيكسب شعبية لدى الناحيين الفرنسيين .
ولهذا وبالرغم من انه كان يعتقد انه بإمكانه ، بالقوة الكبيرة التي وضعت
تحت تصرفه ولأن الأمير لم يوطد سلطته بعد ، ان يعرض بالقوة صلحا
ملائما ، فانه فضل ان يحصل على الصلح سلما مقابل تنازلات واسعة أثارت
قلق الأمير نفسه .

دارت المفاوضات بواسطة اليهودي بن درآن الذي اتهمه بيجو انه كان
يلعب لعبة مزدوجة ليحصل على امتيازات من الطرفين كاذبا على كليهما .

كلوزل جهوده ضد الأمير لمحو آثار معركة القطع التي قوت مركز الأمير
ووسعت دائرة نفوذه ، فوجه قوة كبيرة تتألف من ١١ ألف جندي نحو
عاصمة الأمير معسكر كان هدفها أسر الأمير أو إجباره على الاستسلام . تجنب
الأمير المحوّل في صدام مكشوف مع كلوزل وأخلى معسكرا فدخلها كلوزل
في كانون الأول ١٨٣٥ ، وغادرها بعد ان تركها طعمة للنار . لم يكن لهذه
الحملة أي اثر لأن الأمير ظل في مأمن محتفظا بقواته سليمة ، وما لبث ان
عاد إلى عاصمته بعد ان غادرها كلوزل . ولهذا وصفت هذه الحملة انها
مجرد « ... ذهاب ومجيء دون مجد » . وفي كانون الثاني ١٨٣٦
أرسل كلوزل ، استجابة لطلب القولوغلي ، قوة إلى تلمسان دخلتها في ١٣
من كانون الثاني ١٨٣٦ . واكتفى الأمير بمراقبة تحركات خصمه دون
الدخول في معركة معه . ارتكب كلوزل في تلمسان حماقات كان لها نتائج
خطيرة : فقد فرض غرامة حرب ثقيلة على جميع السكان بما فيهم القولوغلي ،
وكان هذا بناء على اقتراح اليهودي يعقوب لاسري ، والملوك التونسي اليهودي
الأصل يوسف اللذين كلفهما كلوزل بالجيابة . واشتد لاسري ويوسف في
تحصيل الغرامات واستخدما اقتدر الأساليب وأكثرها وحشية مما أثار ضجة
كبيرة في البرلمان والصحف الفرنسية ، دعت الحكومة إلى إجراء تحقيق حمل
كلوزل مسؤولية ما حدث . واضطرت الحكومة إلى اقرار تعويض السكان .
وادت هذه المعاملة الوحشية إلى ازدياد كره السكان الفرنسيين ومن دعاهم
إلى التدخل ، وازدادت شعبية الأمير بدلا من ان تضعف . وظلت الحامية
التي تركها كلوزل في تلمسان محصورة محرومة من المؤن حتى انسحابها
بعد معاهدة تافنا .

أدت سياسة كلوزل الحمقاء في تلمسان وفشله المخزي في احتلال
قسنطينة إلى سحبه وتعيين الجنرال دامريمون حاكما عاما للجزائر .
انتهى تدخل كلوزل في بليكة وهران بالفشل الذريع فقد استعاد
الأمير عاصمته ، وعاقب القبائل التي خرجت عن طاعته ، وانزل بالفرنسيين

وقام الأمير بمنزلة بارعة ليحصل على شروط أفضل ، فنقل المفاوضات المباشرة مع بجو إلى الحاكم العام دامريسون ، واضطر بجو إلى طلب تدخل الحكومة لإبعاد الحاكم العام عن هذه المفاوضات . وفي ٢٠ من أيار ١٨٣٧ تم توقيع صلح نافذا .

حصل الأمير بموجب هذا الصلح على مكاسب أرضية واسعة ، فقد اعترف له بكل بيلكية الغرب ، عدا وهران وادزيو ومستغانم ومازغان واراضية ، وحصل الأمير على رشمون وتلمسان وكانتا من قبل بيد الفرنسيين . وخلافا لتعليمات الحكومة منح بجو للأمير بيلكية تطرى وقسم كبير من بيلكية الجزائر خارج منطقة الاحتلال الفرنسية ، بحيث لم يبق للفرنسيين سوى الساحل وبلدية والمسيجة . وحددت المنطقة الفرنسية في الشرق بوادي خضرة على بعد ٤٠ كم جنوب شرق الجزائر . وكان هناك اختلاف بين التصبن العربي والفرنسي حول وادي خضرة كان مجالاً للخلاف الذي انتهى إلى تجدد القتال .

وصفت الاتفاقية على حرية التجارة بين المنطقتين ، وعلى حق الأمير أن يشتري من فرنسا البارود والكبريت وسائر ما يحتاجه من الأسلحة ، كما سوت الاتفاقية وضع القبول على والدواير والزماله . ووضع الرعايا من الطرفين المقيمين في أراضي الطرف الآخر .

بموجب هذا الاتفاق أصبح الأمير سيد القسم الأعظم من نيابة الجزائر . ولكن الاتفاق استقبل ببرود لدى بعض الأوساط الحاكمة في فرنسا والجزائر ، فوصفه الحاكم العام دامريسون أنه غير مفيد ولا مشرف ، وأنه أعطى الأمير ما لم يستطع أي نصر اعطاه . وقد تبين فيما بعد أن بجو قد قدم في اتفاق سري تنازلات أوسع من ذلك : كتقديم ٣٠٠٠ بندقية ، ومنح الدواير والزماله من تجاوز حدود معينة ، ونفي خصوم الأمير ، وطلب مقابل ذلك مبلغ ١٣٩ ألف فرنك . وقد اعترف بجو أمام محكمة عسكرية أنه طلب

هذا المبلغ ليوزع فيما منه على ضباط أركان الدين الذين أنقذوا بعض الخدمات ، وليدفع لليهودي بن دران جزء خدماته ، وليدفع لأحد جنرائه مبلغ عشرة آلاف فرنك ، وأقر أنه أخطأ وأنه لأبلى بضابط كبير أن يفعل ذلك .

حكومة الأمير :

كان الأمير يعتبر تنظيم الجهة الداخلية وتوطيدها الأسس الأولى الذي تركز عليه حرب التحرير . وإذا كان قد قبل التفاوض والتهادن مع العدو فقد كان ذلك بغرض كسب الوقت لاستكمال أسباب هذا التنظيم ، وإذا كانت السنوات السابقة قد شهدت وضع الأسس الأولى فإن الفترة التي تلت معاهدة نافذا ١٨٣٧ - ١٨٣٩ هي الفترة الذهبية في التنظيم والتوسع والأعداد .

سعى الأمير إلى تجنب الأخطاء التي ارتكبها التنظيم الضماني والتي جعلت الحكومة التركية مكروهة ومزعزولة عن السكان ، وعمل في بناء دولته على أن تكون قائمة على إخلاص الحاكم وثقة المحكومين . ويقول صاحب تحفة الزائر أنه بنى إمارته على قوتين : قوة رغبة وقوة رهبة . إلا أن القوة الأولى كانت هي المول عليها ولذا كان الأكثر من سكان البلاد يطمعون بخلوص ووداد (١) .

كانت حكومة الأمير تختلف اختلافاً بيناً عن الحكومة الجزائرية التركية السابقة . فهو لم ينصب حاكماً بفرمان من سلطة أو سلطان خارج الجزائر ، بل تلقى السلطة بموجب بيعه رضاً من سكان ملوا القوضي وخافوا من خطر الاحتلال الأجنبي . وكانت هذه البيعة بمثابة وضع الثقة التامة

(١) محمد عبد القادر : المصدر السابق ص ٢٢٠ وقد شئ الضابط الفرنسي الأمير المسمى هذه الحقيقة وأشار إليها في تقريره السابق المذكور .

بشخص الأمير وتفويضه تفويضاً عاماً بالتصرف لانقاذ البلاد من الفوضى والاحتلال . وبالرغم من ان هذا التفويض قد قيد ، بتأثير العلماء ، بحدود الشريعة .

ويمكن القول ان عبد القادر قد حصل على سلطان استثنائية انبه بالسلطات التي كانت تمنح للقاصد الرومان في الحالات التي يتهدد فيها المجتمع الروماني بالخطر .

وبالرغم من ان حكومة الأمير كانت تركز الى حد بعيد على شخص الأمير ، وان القرارات التي يطلبها الموقف الداخلي والخارجي كانت تصدر عنه ، فانه كان حريصاً على الدوام على ابعاد الطابع الفردي لسلطته ، بإشراك مسئلين عن العلم ، والاشراف ورؤساء القبائل ، يقل عددهم او يكثر حسب اهمية المسائل او القرارات .

وكان الأمير يدرك مدى عمق الروح الاستقلالية لدى القبائل وزعماء الطرق الصوفية ، ومدى تأثير ذلك على عملية التوحيد مما يجعلها اكسر صعوبة . كما كان يدرك مدى كره هؤلاء جميعاً للفرقة . ويربطه بين التوحيد والمقاومة كان يأمل ان يساعده كره الاجنبي على تذليل صعوبات التوحيد . ولكن الامر لم يكن سهلاً . ذلك ان عبد القادر كان يدرك ان ليس بإمكانه ان يعمل عملاً مشتراً على الجبهتين الداخلية والخارجية ، ولهذا كان لابد من تحيد احدهما . ولما كان يعتقد ان العمل في الجبهة الداخلية هو الاساس ، كان لابد من تحيد الجبهة الاخرى الخارجية ، ولهذا قبل مفاوضة العدو الغازي ومهادنته . وبالرغم من انه نجح في الحصول على موافقة مجلسه الاستشاري على هذه السياسة فان سياسة المهادنة لم تبد مقبولة من الجميع ، فقد تدرعت القوى الانفصالية بهذه المهادنة لترفض سلطة الأمير ، فحجة رفض مهادنة العدو رفض التيجانية ، الذين كانوا يؤلفون قوة عامة ، الخضوع لسلطة الأمير ، وبالحجة نفسها رفضت عدة قبائل ،

بتحريض من خصوم الأمير ومنافسيه ، دفع ضريبة الجهاد (المونة) كسائر الانفصال لان الية انما كانت على الجهاد ، وحمل اُتقال الضريبة انما كان لنفقاته ، وحيث ان الجهاد طوي ساطه والأمير ركن الى مسألة العدو فلما ان ترجع عن بيعتنا ونمتع عن دفع اموالنا (١) .

ولهذا كان لا بد للأمير من استخدام القوة ، ولكنه كان يدرك ان القوة قد تخضع الناس فتكون طاعتهم طاعة خوف ، وهي طاعة موقفة لا تصلح أساساً لبناء دولة وأمة . ولهذا حاول ان يوضح بالقول والعمل انه لا يعمل لنفسه بل للمصالح العام . كان الأمير يؤكد ان الغاية الوحيدة في قبولي تقليد هذا المنصب ان تكونوا آمنين على انفسكم واعراضكم واموالكم مطمئنين على بلادكم ، متضمنين بوظائفكم الدينية . ولا يمكن ان ابلغ مرادي من ذلك الا بمساعدتكم مالا ورجالا . وبهذا تعلمون ان المنافع الحاصلة منكم عائدة عليكم . ولا اظن انه يخطر في بال احدكم ان الاموال التي تؤخذ منكم ابتغيها لنفقاتي الشخصية لعلمكم وتحققكم اني غني ملي بما خلفه والذي وكان الشعراء والوعاظ ورجال القوافل والشندون في الاسواق يؤكدون على هذه المعاني . جاء في بعض الانشيد الشعبية في بلاد القبائل ان الأمير لا يطمع ابدا الى العرش والعظمة ، وان رغبته ان يخضع الناس لاورامه كاخوته ليدخل معهم الجزائر ويطرد الكفار .

وجابه عبد القادر نفوذ الطرق الصوفية ولا سيما الدرقاوية والتيجانية بسلاحها نفسه . فاعتمد على نفوذه الديني لا كفادري وانما كأمير للمؤمنين حامل راية الجهاد بموجب بيعة عامة ، واعتمد على العلماء الذين جمعهم حوله وكان يشركهم على الدوام في دعم اعماله وقراراته بقاوى شرعية . ولم يكنف بذلك بل نجح في ان يكسب الى جانبه رجال الدين في الغرب عن طريق استشارتهم والحصول على فتاوى منهم تقرر أعماله ، كما حصل على

(١) نسخة من عبد القادر - المصدر السابق ص ١٨٨

أما رأي العامة العربي وسكان المغرب فحرم المرفوقه والسيجانية من قوة
عدم إتيهه هذه . ولم تقتصر أبداً سلطان المغرب على التواحي المصوبة بل
أمدد بالسلاح الأزم لتغلب على حصون عاصمة السيجانية عين ماضي .

وعندما ألتزم الأتباع كان الأمير يلجأ إلى الحزم والقوة فإذا انتصر
انقلب الحزم حليماً والقوة عنوا .

وصفه أحد خصومه الألداء مصطفى بن اسماعيل رئيس الدواير انه
... لا يتأثر بما يرضي ولا بما يفض . (١) . وكان يعفو عن زعماء
القبائل الخاصة ورؤساء الطرق الملتصقين عندما يتغلب عليهم ، لأنهم متأثرون
بنواحي استغلاية اقليمية كان يفهمها . ولكنه لم يكن يرحم الذين يتعاونون
مع العدو .

بنى عبد القادر دولته على المساواة وعدم التمييز . يقول الأمير
... لا تسألوا أبداً عن أصل الرجل بل اسألوا عن حياته وأعماله وشجاعته
ومؤهلاته وستعرفون من هو . إذا كانت مياه النهر طاهرة مقبولة عذبة فلائها
جاءت من نبع صاف . (٢) .

كان الحكم التركي يقوم على امتيازات الأتراك والقبولوعلي وقبائل
المخزن وعدد من الزعماء الأقطاعيين . وكان فرض الضرائب وجبايتها يقوم
على أساس نهب السكان لأشباع جنح هذه الفئات الممتازة . وكان عبد القادر
قد تعهد عندما تلقى البيعة بالقضاء على كل المفاسد القديمة . وقد عمد إلى
هدم النظام الإداري القديم القائم على الامتيازات ، والغى الامتيازات التي
تصاحب السلطان ، وامتيازات القبائل والزعماء ، والألقاب السابقة ، وعمل
على تقليص الأقطاع إلى أقصى حد ممكن . وأقام بدل ذلك نظاماً إدارياً
وقضائياً ومالياً يجعل الجميع متساوين أمام القانون ، وفي الضريبة والخدمة
العسكرية . ✕

(١) محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ص ٢١٦ .

ألف الأمير برئاسته حكومة تتألف من عدة وزارات . وقسم دولته إلى
نواحي خلافتان قسمت بدورها إلى أغويات ثم فسادات فسادات . وكان
الجميع بمثابة موظفين يتقاضون مرتبات محددة من الدولة ويحصلون
أرباحها ، ولا سيما في الشؤون المالية . وكان عبد القادر يختار رجال الإدارة
الكبار بصورة عامة من المدينين الذين بقى باخلاصهم وكفائهم وشجاعتهم
وبرأهم .

وإصلاح الأمير القضاء وأوجد مجالس استئناف ، وكان حريصاً على
تطبيق العدالة بكل دقة ودون تحيز ، وكان يعلن في الأسواق أن من له
شكوى من الأغا أو القائد أو القاضي فليرفع طلائته إلى الأمير لينصفه .

وإصلاح نظام الضرائب ، فوحد الضرائب وعمسها على الجميع بدون
تمييز أو استثناء ، واكتفى بجباية الضرائب الشرعية : الزكاة على الموائس
في الربيع والعشور على المواسم في الصيف . وأوجد ضريبة استثنائية
تتطلبها ظروف الجهاد سميت (المعونة) . وكانت الضرائب تجبي عداً أو
نقداً . وحاصل الضرائب العينية يجمع في مخازن عامة ومستودعات مخبأة ،
وعلى كل قبيلة أن يكون لها مستودعاتها الخاصة . وكان الأمير يهدف من
وراء ذلك إلى غرضين :

الأول عسكري : وهو تأمين تموين الجيش كي لا يبعث على استغلال
السكان كما في العهد البائد .

الثاني : كان مساعدة السكان في المواسم السيئة وتأمين البذار ومساعدة
الفقراء ، وكان ذلك كله من أجل اعداد البلاد على أحسن وجه القتال .
وأوجد الأمير نظام اقتصاد موجه ، فأنشأت الدولة على التجارة
والصناعة . وكان الهدف من ذلك أيضاً جعل الاقتصاد في خدمة الأغراض
الحربية بصورة خاصة .

الجيش :

كان الأمير شديد الاهتمام بالأمور العسكرية ، وقد أدرك ضرورة خلق جيش قوي يدعم أهدافه الداخلية والخارجية . فأتجه إلى خلق جيش نظامي حديث عني بتدريبه على أحدث الفنون العسكرية وتزويده بأحدث الأسلحة . وقد عقد مجلسا عاما من رجال الدولة وأعيانها وأخذ موافقتهم على هذا الإجراء ، ثم عمم بلاغا على الأهالي جاء فيه « ... ليلغ الشاهد الغائب أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين بتجديد الأجناد وتنظيم العساكر من كافة البلاد . فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي ويشمله عز النظام فليسارع إلى دار الإمارة (معسكر) ليقيم اسمه في الدفاتر الأميرية ... » . وقسم الأمير هذا الجيش إلى خيالة ومشاة ومدفعية ، وحدد الرتب والمرتبات واللباس ، وأوجد الباشكين لمنحها لمن يظهر شجاعة أو بدي مزية في وقت الحرب . ومنح مرتبات لأهل الجندي الشهيد وللجنود الذين يصابون بإضرار تمنعهم عن العمل ، ومنح الجندي الذي يصاب بمرض يمنعه من الخدمة نصف مرتبه طول حياته .

واختار الأمير رؤساء الجند من « ذوي النجدة والشجاعة والأقدام والقوة في الدين واليقين والصبر والثبات والعظمة ... » وأوجد المشافي العسكرية اللازمة . وقد قدر عدد أفراد الجيش سنة ١٨٤٠ بحوالي عشرة آلاف جندي موزعين على الخلافات الثمان .

أما الجيش غير النظامي فكان يتألف من جنود القبائل الذين يجمعهم الخلفاء لأغراض الدفاع المحلي ، وللإشتراك في المعارك التي يقودها الأمير إلى جانب الجيش النظامي . ولم يكن عدد هذا الجيش ثابتا ، وقد قدر بثلاثة وخمسين ألفا سنة ١٨٣٩ . وبشربن ألفا سنة ١٨٤٠ .

وكان الأمير يحصل على السلاح من جهات متعددة . كان يحصل عليه

أحيانا من الفرنسيين بموجب المعاهدات ، كما كان يحصل عليه من الكثير بواسطة جبل طارق ، ومن المغرب . وأقام في الجزائر مصانع للأسلحة والدخيرة .

ونظم الأمير البلاد حسب متطلبات الدفاع : كانت القبائل القريبة من الساحل بمثابة المخافر الأمامية ، ومهمتها مراقبة الفرنسيين وحصرهم في الساحل وقطع طرق تموينهم وأصالحهم . وكانت المدن القديمة ، كتنلسان ومعسكر ومليانة ، تكون خط الدفاع الأول . وأقام الأمير خط دفاع ثان أو مراكز انطواء خلفية بين السواد (التل) والصحراء ، كانت عبارة عن فلاع ومستودعات : سعيدة وتافغمت وطازة وبوغار وسيو . وكانت تافغمت أهم هذه المراكز وقد أخذت مظهر عاصمة حقيقية ، وكانت تتمتع بموقع استراتيجي واقتصادي لكونها وسيطا بين السواد والصحراء ، وانتقل الأمير إليها بأهله وأهل دائرته ، وأنشأ فيها دارا للسلاح وأخرى لسك العملة ، ومستودعا ضخما للبارود والحديد والرصاص والنحاس والفضة .

ولكن الوقت لم يتوفر للأمير لاستكمال تدريب هذا الجيش وتقويته عددا وعدة . ولهذا تجنب خوض معارك واسعة مكشوفة وانصر على المعارك الصغيرة ، ومعارك المفاجآت والكمائن ، متبعا أسلوب الكر والفر . وصف وزير خارجية الأمير للجنرال ديمبيل هذا الأسلوب في القتال عندما هدد هذا باستخدام قوة كبيرة ضد الأمير « ... أنا لا تحاربكم بحاربة نظام وترتيب ولكن بحاربة هجوم وأقدام - يقصد بحاربة كر وفر كما وردت على لسان الأمير - ولو فعلت ما قلت وخرجتم بهذه القوة كنا انتفخروا أمامكم متوغلين في الصحراء بأهلنا وأطفالنا . وفي حال هذا انتفخروا نلوتكم قتال حتى لا ترجعوا عنا ثم نصاربكم حتى نضعف شوكتكم وتلين قوتكم ، ونسحق الفرصة وتورطكم في قبافي الصحراء فلبسنا الكرة عليكم واحاطت جيوشنا بكم من كل ناحية ، وتكون ذخائركم نفذت وقوتكم ذهبت وعساكركم

أعطى لها وأمر بها السيف فحشدت ماذا كنت تفعل أيها الجزائريون...
وكتب الجزائريون تحت أي رمز تصف غمطان هذا الجيش... إذا طور دوا
تتفوق كالطير... وإذا تراجمنا بطاردونا كالدباب...
بجهد القتال سنة ١٨٣٩

السلطان الأمير بين ١٨٣٧ - ١٨٣٩ أن يتغلب على عصيان القبائل الثائرة
وأطرق الصوفية وأن يسطر سلطته على ثلثي الجزائر... وظل الفرنسيون
محصورين في وهران والجزائر وفي جزء من بيلكية قسنطينة.
وكانت سيطرة الفرنسيين على قسنطينة، وتوسع الأمير الكبير الذي
أخذ يمتد نحو هذه البيلكية، أساس التصدع الذي أصاب المعاهدة، وأدى
إلى الحرب.

بعد انقلب على الباي أحمد صار بإمكان الفرنسيين الالتفات نحو عبد
القادر. وكان الاختلاف بين النصين العربي والفرنسي في معاهدة نافا يفسح المجال
لحربها. كانت الحكومة الفرنسية قد قبلت المعاهدة كحل مؤقت لتحديد
أمير ريشا تهي مشكلة قسنطينة. وبعد أن تحقق لها ذلك بدأت تسعى
لتصل من هذه المعاهدة عن طريق تفسيرات باطلة لبعض نصوصها، ولا سيما
قرة التي تتعلق بمنع توسع الفرنسيين وراء وادي خضرة. وكان هذا
مع ضرورة للفرنسيين لتأمين الاتصال بين الجزائر وقسنطينة، ولإبعاد
عن المناطق التي كانوا يعتبرونها تابعة لبيلكية قسنطينة. وكانت معاهدة
تنص على أن المنطقة الفرنسية تمتد في الشرق حتى مجرى وادي بودوار
المسمى وادي خضرة. وكان النص الفرنسي يتضمن... حتى
خضرة وما وراء... في حين تضمن النص العربي... وفي وطن
الجزائر والساحل والوطن مانع نتيجة من جهة الشرق لحد وادي

خضرة إلى قدام...
في تحديد الحدود أن يعين نص المعاهدة حدودا إلى صفة ما...
إليها تعبيرا عاما مبهما : أنه يمكن أن تمتد هذه الحدود إلى وراء ذلك.

وعلى هذا الأساس بنى الأمير حجته في إقناع حاكم الجزائر...
فألي قال فيها... أن هذه الكلمة (ما وراء) هي تعبير أعم... ولا ينبغي
شيئا. وإذا كانت فرنسية قد فهمت منه شيئا آخر فلفظا عين حسا في
الشرق. وأخيرا ما معنى الحد إذا لم يكن الخط الفاصل بين منطقتين...
فقد توسعتم إلى وادي خضرة وليس لكم أن تدعوا أكثر من هذا...
والواقع أن الفرنسيين كانوا يدركون صحة تفسير الأمير ولكنهم استلزم
يكونوا راضين عن تنازلات يجو للأمير في هذه المعاهدة. وقد حاولوا في
بادئ الأمر التمسك ظاهريا بالمعاهدة مع دفع الأمير إلى قبول تعديلات
لصالحهم، أو دفعه إلى الانحناء أمام القوة وذلك باحتلال الأراضي المتنازع
عليها.

بدأت المفاوضات بين المارشال فالي والأمير في الجزائر، ثم نقلها الأمير
إلى باريس، وبعث وزير خارجيته المولود بن عراش بصحبه اليهودي من
دران (العميل المرن الذي كان ينتقل على التناوب في خدمة الطرفين).
استقبل الملك والحكومة الوفد الجزائري استقبالا حسنا، ولكن
الحكومة الفرنسية رفضت مباشرة المفاوضات مع الوفد لأن ذلك من اختصاص
حاكم الجزائر.

عرض المارشال فالي على ابن عراش مشروع تعديل لمعاهدة نافا يدخل
الأراضي المتنازع عليها، بما فيها الطريق السلطاني بين الجزائر وقسنطينة،
في المنطقة الفرنسية. وحاول فالي الحصول على موافقة ابن عراش ونوقحه
على المشروع، ولكن ابن عراش اعتذر بأنه غير مخول بذلك ووعد برفع
المشروع إلى الأمير. وأمام الحاج فالي وضغطه قبل ابن عراش أن يكتب في

أخضعها العرب وأضربها السيف فحيث ماذا كنت تصنع أيها الجزائر ٠٠٠ (١) .
وكتب الجزائر سائر لربو يصت غلبات هذا الجيش ٠٠٠ إذا طوردوا
بمرفوق كطهور ، وأنا تراجعا بطاردونا كالدباب ٠٠٠٠٠

تجدد القتال سنة ١٨٣٩ :

استطاع الأمير بين ١٨٣٧ - ١٨٣٩ أن يتغلب على عصيان القبائل الثائرة
والطرق الصوفية وأن يسطر سلطته على ثلثي الجزائر . وظل الفرنسيون
محصورين في وهران والجزائر وفي جزء من بيلكة قسنطينة .

وكانت سيطرة الفرنسيين على قسنطينة ، وتوسع الأمير الكبير الذي
أخذ يستحوذ هذه البيلكة ، أساس التصدع الذي أصاب المعاهدة ، وأدى
إلى الحرب .

بعد التظلم على الباي أحمد صار بإمكان الفرنسيين الالتفات نحو عبد
القادر . وكان الاختلاف بين النصين العربي والفرنسي في معاهدة تافنا يفسح المجال
لحرقها . كانت الحكومة الفرنسية قد قبلت المعاهدة كحل مؤقت لتحييد
الأمير ربما تنهي مشكلة قسنطينة . وبعد أن تحقق لها ذلك بدأت تسعى
لتصل من هذه المعاهدة عن طريق تفسيرات باطلة لبعض نصوصها ، ولا سيما
الفقرة التي تتعلق بمنع توسع الفرنسيين وراء وادي خضرة . وكان هذا
التوسع ضروريا للفرنسيين لتأمين الاتصال بين الجزائر وقسنطينة ، ولإبعاد
الأمير عن المناطق التي كانوا يعتبرونها تابعة لبيلكة قسنطينة . وكانت معاهدة
تافنا تنص على أن المنطقة الفرنسية تمتد في الشرق حتى مجرى وادي بودوار
الأعلى المسمى وادي خضرة . وكان النص الفرنسي يتضمن « ٠٠٠ حتى
وادي خضرة وما وراءه ٠٠٠ » في حين تضمن النص العربي « ٠٠٠ وفي وطن
بلاد الجزائر والساحل والوطن متاع بتيجة من جهة الشرق لحد وادي

محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ص ١٨٦ .

خضرة إلى قدام ٠٠٠٠٠ . وكان النص العربي أكثر دقة ، فليس من العسير
في تحديد الحدود أن يعين نص المعاهدة حدودا إلى حدود ما ، لم يحد
إليها تعبيرا عاما مبهما : أنه يمكن أن تمتد عند الحدود إلى ٠٠٠ وراءه ٠٠٠

وعلى هذا الأساس بنى الأمير حجته في أقام حاكم الجزائر
فألي قال فيها « ٠٠٠ أن هذه الكلمة (ما وراء) هي تمنع لا نص ، وإنما هي
شيئا . وإذا كانت فرنسية قد فهمت منه شيئا آخر فلعلنا نصت حدادي
الشرق . وأخيرا ما مضى الحد إذا لم يكن الخط الفاصل بين منطقين بوهلدا
فقد توسعتم إلى وادي خضرة وليس لكم أن تدعوا أكثر من هذا ٠٠٠٠٠
والواقع أن الفرنسيين كانوا يدركون صحة تفسير الأمير ولكنهم لم
يكونوا راضين عن تنازلات يجعو للأمير في هذه المعاهدة . وقد حاولوا في
بادي الأمر التمسك ظاهريا بالمعاهدة مع دفع الأمير إلى قبول تعديل
لصالحهم ، أو دفعه إلى الانخلاء أمام القوة وذلك باحتلال الأراضي المتنازع
عليها .

بدأت المفاوضات بين المارشال فالي والأمير في الجزائر ، ثم نقلها الأمير
إلى باريس ، وبعث وزير خارجيته المولود بن عراش يصحبه اليهودي بن
دران (العميل المرن الذي كان يتقل على التاب في خدمة الطرفين) .
استقبل الملك والحكومة الوفد الجزائري استقبالا حسنا ، ولكن
الحكومة الفرنسية رفضت مباشرة المفاوضات مع الوفد لأن ذلك من اختصاص
حاكم الجزائر .
عرض المارشال فالي على ابن عراش مشروع تعديل لمعاهدة تافنا يدخل
الأراضي المتنازع عليها ، بما فيها الطريق السلطاني بين الجزائر وقسنطينة ،
في المنطقة الفرنسية . وحاول فالي الحصول على موافقة ابن عراش وتوقيع
على المشروع ، ولكن ابن عراش اعتذر بأنه غير مخول بذلك ووعده برفع
المشروع إلى الأمير . وأمام الحاح فالي وضغطه قبل ابن عراش أن يكتب لي

في الشروع انه لم يمتح عليه واستنسخه . وارسل في شهر القوسندار
سال مع اي عرائش مائة الف اير والحصول على مصادقه .

بحر الامير آنذاك مشغولا في حصار البجاني في جبل ماضي وقد سبب
هذا تأخر اجتماعه بالشعب الفرنسي حتى سنة ١٨٣٩ . وعرض الامير
الشروع على المجلس فرفضه بالاجماع . وكتب الامير عدة رسائل الى ملك
فرنسا ووزير خارجيتها وحريتها اكد فيها رغبته في السلم ، واتهم
السويديين الفرنسيين في الجزائر بالعمل على تكبير العلاقات وخرق المعاهدة (١) ،
ولكن الامير لم يتلق جوابا ، وعلى العكس فان الحكومة الفرنسية لم تقم
وردا لرفض الامير المصادقة على الشروع بل اعتبرت ان الاتفاق اصح نافذا
ونشرت الشروع كما لو انه اخذ الصفة النهائية . وقرر المارشال فالي ان
يقوم بقطعة قوة في الاراضي المتنازع عليها ليضع الامير امام الامر الواقع ،
واقام الموق دورليان ولي العهد بالاشتراك معه في هذه المظاهرة .

وفي تشرين الاول تحركت قوة فرنسية مكونة من ٤٠٠٠ جندي على
رأسها فالي والموق دورليان من ميلة الى سطيف واجتازت في اواخر تشرين
الاول مضيق ايضان المعروف بابواب الحديد حيث يجري واد صغير بين
جدران من الاحجار السوداء . ووصلت القوة دون طلقة نار الى برج حمزة ،
وعادت الى الجزائر دون ان تترك حامية في هذه المناطق . اعتبرت هذه
الحملة بمثابة رحلة استكشاف او جس نبض اكر منها عملية حربية
استراتيجية ، وجاءت سهولتها من اعتقاد السكان - كما يقول صاحب
ثخنة الزائر « ... ان حاكم الجزائر قصد بسروره بابن الملك في بلادهم
مجرد السياحة والتفرج لما هو مقرر عندهم من امر المعاهدة بين الامير ودولة
فرنسا . ولذلك كانوا يقدمون له جميع التسهيلات السفرية مسرورين
بحليف ودود لاميهم ولولا هذا ما تركوه يمر في بلادهم من غير قتال ... »
وكان بإمكان قوة صغيرة ان تحول دون اجتياز ابواب الحديد .

(١) انظر محمد بن عبد القادر : المصدر السابق ص ٢٤٩ - ٢٥٢ .

انظر الامير جمال فالي طرفا المعاهدة وعرض الشروع على المجلس
التدري فيقول المجلس اعلان الحرب . وقام الامير بخطط المارشال فالي
بقطع العلاقات واستئناف الحرب . وفي ٢٠ من تشرين الثاني ١٨٣٩
القبائل الموالية للامير هجوما كاسحا على النتيجة فغزت مزارع المستوطنين
وفتكت بالكثير منهم ، واجبرت الحاكم العام على احتلال اقل مستوطنين
الساحل والنتيجة . ويذكر ديو بريدل ونوا ان القبائل في فترة حملتها
انطلقت تقضي انها ستطرد الفرنسيين من الجزائر وانها ستجلب البحر فسيروا
على باريس وغيرها من البلاد لتعلمهم رسالة التوحيد (١) . والله اعلم
مدينة الجزائر وانتشر الذعر بين الفرنسيين الذين لجأوا اليها ومن الجمع
يتوقعون دخول الامير مدينة الجزائر مظفرا .

ارسلت الحكومة نجدات سريعة الى الجزائر ، وامرت الحكام اعمام
باختلال مدينة ومليانة وشرشال ، وتحقيق الاتصال مع قوات وهران من
طريق وادي الشلف . واستطاع المارشال فالي بفضل تعزيزات اسي
وصلته من فرنسا ان يحرز انتصارات هامة في ربيع وصيف ١٨٤٠ . سؤل
على شرشال ومدينة ومليانة ، ويخلص اطراف سهل النتيجة . ولكنه نوب
واكتفى بوضع حاميات في هذه المراكز ما لبثت ان تعرضت للتطويق فضاعت
جهوده عثا .

اثارت هذه الاحداث التي فضت على جهود عشرة اعوام صدى كبيرا
في فرنسا ، في الوقت الذي كانت فيه مشغولة بالازمة الدولية الناجمة
عن استئناف الحرب بين محمد علي والسلطان . وارتفعت من جديد اصوات
المعدين لاحتلال الجزائر . ففي الجلسة التي عقدها البرلمان ثمانية مبراة
١٨٤١ طالب بعض النواب باخلاء الجزائر ، وقال احدهم « ... ان افريقية شر وجنون ... »
هي الخراب اثناء السلم ، والصف اثناء الحرب ، ان افريقية شر وجنون ... »

(١) J. Deha - Bridel et M. Benoist : P. 126

وتكلم الجنرال بيجو في هذه المظاهرات منحاذا الى جانب الاحتلال الشامل والاستعمار العسكري متقدما سياسة المارشال فالي العسكرية . واعرب المجلس عن أمل أعبر - كما يقول جوليان - بمثابة زوال خطوة فالي بلزم لأفريقية رجل ينبغي ان يكون في آن واحد عسكريا وسياسيا وإداريا . وسيكون من الصعب العثور على هذه الصفات مجتمعة ، ولكن كل مستعمرة تتيج عاجلا أو آجلا رجلا ، ان مستعمراتنا ستعطي رجلا

كان بيجو مستعدا لتحمل مسؤولية معالجة الموقف في الجزائر ولكن ظروف الازمة الشرقية اجبرت الحكومة على الاحتفاظ به في فرنسا ليتولى قيادة على الراين .

طفئت أحداث الشرق الأوسط واحتمل نشوب حرب اوروبية على أحداث الجزائر ، وبدا بالمرتبون للرأي العام الفرنسي أكثر خطرا من عبد القادر ، وبدت الحرب في سبيل إبقاء سورية لمحمد علي أكثر قبولاً من حرب الجزائر (٢) ، واصدرت الحكومة امرها الى فالي بالاكتمال بالدفاع وفكرت بسحب جزء من قواتها من الجزائر لمواجهة الخطر في اوروبا . ولكن انتهاء ازمة الشرق الأوسط في اواخر ١٨٤٠ سمح لفرنسة بتركيز جهودها في الجزائر . فعزلت المارشال فالي وعينت الجنرال بيجو في ٢٩ من كانون الاول ١٨٤٠ . وكان بيجو قد تعهد باحتلال الجزائر كلها بدلا من احتلال المدن والمراكز وترك الضواحي والريف بيد الجزائريين . واعتبر تعيين بيجو بمثابة تحول السياسة الفرنسية في الجزائر باتجاه الاحتلال الشامل .

الجنرال بيجو وتكتيكه العسكري :

كان بيجو في بداية الامر معاديا للحملات الاستعمارية لانها تحول

الجيش عن مهمته التاريخية . وكان يعارض احتلال الجزائر والبقاء فيها ، ويرى ان الحرب في افريقية تخلف عن الحرب في افراة لان مايجري في افريقية ليس حربا بل صيدا للرجال وكان بيجو يرى ان نهاية الجزائر لا تصلح للاستعمار لانها ليست صالحة للزراعة ، وقد رد على آراء كلوزل وانصاره المتحمسين للبقاء في الجزائر واستعمارها قائلا في ١٨٣٦ ان هؤلاء الرجال يسمعون في افريقية الى الترقية والزيادة في المرتبات ، انهم يدعون ان الجزائر مستعمرة رائعة ولكني كاتب اقول لك بعد ان شاهدت الجزائر انها لا تساوي شيئا لا بالنسبة للزراعة ولا بالنسبة للحرب ، وينبغي علينا شيئا او اينا ان نغادرها عاجلا أو آجلا (١) . وعندما عقد بيجو معاهدة تافنا كان ما يزال يدين بهذه الفكرة ويعلم بالمجد السياسي أكثر من المجد العسكري . ولكن معاهدة تافنا وما رافقتها من انتقادات وتحقيقات مست سمعته وتركت في نفسه حقدا على الامر .

وفي اواخر الثلاثينات بدأ بيجو يتحول الى نصير للعمل الحازم . وعندما استؤنف القتال مع الأمير بدأ بيجو يطالب ، بعد ان رأى تمسك الحكومة واغلبية المجلس بالجزائر ، بالعمل الحازم واعلن ان الاحتلال النافس وهم ، ان احتلال الجزائر خطأ ولكن ما دمتم ترغبون فيه فينبغي ان تعملوه بقوة

كان بيجو ضابطا عمل في اسبانية أيام نابليون وعرف حرب العصابات التي شنها الاسبان على الجيش الفرنسي ، واكسب خبرة بمفوضة هذا النوع من الحرب . وكان يتقن اسلوب سلفه فالي الذي كان يعثر قواته في معسكرات كثيرة تشل حركتها دون فائدة . وفي رأيه ان الاسلوب الوحيد القادر على اخضاع الجزائر هو اسلوب الحركة لا اسلوب المراكز الثابتة الصغيرة المعززة .

(1) Ch. A. Julien : P. 171

(1) Ch. A. Julien : Histoire de l'Algerie Contemporaine P. 155

(2) Ch. A. Julien : Histoire de l'Algerie Contemporaine P. 155

قرر بجو ان يقاوم الامير بالسلوية نفسه ، وكان عبد القادر يتجنب خوض معارك كبيرة ويفضل حرب الكر والفر معتمدا على سرعة التنقل والحركة ، فقرر بجو اتباع انكبيك نفسه .

يرى بجو « . . . ان افضل وسيلة للدفاع والوقاية هو الهجوم ، وان تلحق بالعدو الاضرار التي كان يهددنا بها . . . » وبدلا من المعارك الكبيرة السجيلة وغير الفعالة ينبغي القيام بمعارك دائمة مستمرة ، وبدلا من الجيوش المجمعة ينبغي الاعتماد على طوابير صغيرة مؤلفة من بضعة آلاف جندي تطارد الامير دون توقف وترهقه وتضيق عليه .

ادرك بجو ان قوة الامير الحقيقية ليست في جيشه النظامي البسيط وانما في جنود القبائل ، فركز جهده على القبائل ، وأمر بشن الغارات عليها ليعدها عن الامير . خاطب بجو قواده وجنوده قائلا « . . . ليست مهمتكم ان تجروا وراء العرب فهذا غير مجد . ان مهمتكم ان تمنعهم من ان يبدروا او يحصدوا او يرعوا . . . » و « . . . ان الحرب التي سنقوم بها ليست حربا تعتمد على طلقات البنادق وانما هي ان نحرم العرب من مواردهم التي تتجها ارضهم . . . اذهبوا اذن واقطعوا القمح والشعير . . . » عرفت هذه السياسة باسم الارض المحروقة وتكشف عنها رسائل الجنرال سانت ارنو ، والتي تلخص بـ (دمر ، احرق ، انهب) . جاء في هذه الرسائل « . . . نحن في قلب الجبال بين مليانة وشرشال حيث نطلق القليل من الطلقات ونحرق كل الدواير وكل القرى وكل الاكواخ . ان العدو يهرب امامنا في كل اتجاه مصطحبا معه قطعانه . . . » و « . . . ان بلاد بني مناصر بلاد رائعة من اغنى ما شاهدت في افريقية فالقرى والمساكن متقاربة جدا هناك . لقد احرقنا ودمرنا كل شيء . آه من الحرب كم من النساء والاطفال ممن لجأوا الى تلوج جبال الاطلس قد ماتوا فيها من البرد والشفاء . . . » و « . . . اتنا نخرب ونحرق وندمر المنازل والاشجار . لما المعارك فقد كانت قليلة اولا وجود لها . . . » ، ويشير سانت ارنو انه

كان يتبع سير الحاكم العام بعد ان غادره من خلال التواجد الشنتة . . . لقد بقينا حتى نهاية حزيران سنة ١٨٤١ ونحن نقاتل في مقاطعة وهران وندمر جميع المدن وجميع ممتلكات الامير فقد كان على الامير ان يجد الجيش الفرنسي في كل مكان يحمل المهب يده . . . »

ورافق هذه العمليات اباداة قبائل برمتها بواسطة الحق بالدخان عندما تلجأ هذه القبائل الى مغاور الجبال . واخذت الحرب كذلك طابع (سيد الرجال) ، وقد وضع بجو جائزة لكل جندي يجلب رأسا مقطوعا .

وفي رسائل جندي لموتياك جاء ما يلي « . . . فطعت رأسه ومصممه الايسر وجئت الى المعسكر احمل رأسه على رأس الحرية وممصمه معلقا بسوار البندقية . . . تلك هي يا صديقي الشجاعة الطريقة التي يجب ان نتم بها الحرب على العرب ، يجب قتل الرجال حتى سن الخامسة عشرة وسبي جميع النساء وخطف الاطفال وتفرغ المساكن منهم وترجلهم الى جزر الماركنز او اي مكان آخر خارج الجزائر ، وبكلمة يجب سحق جميع الذين لا يركعون تحت اقدامنا كالكلاب . . . » (١) .

وبالرغم من هذه الاساليب الوحشية ، وبالرغم من حرية العمل الواسعة التي تركت لبجو ، والامكانات العسكرية والمالية الضخمة التي وضعت تحت تصرفه (٢) ، فانه لم يستطع احراز النصر والتغلب على الامير الا بعد سبع سنوات .

نجح بجو سنة ١٨٤١ في الاستيلاء على تاغدمت وطازة وبوغار ومعسكر . وفي ١٨٤٢ استولى على تلمسان وعلى اهم المراكز في اقليم وهران وفقد الامير ١/٦ اراضيه وكل قلاعه ومستودعاته ومعظم جيشه النظامي .

(١) فرحات عباس : الثورة الجزائرية ص ٨٠ .

(٢) وصل عدد القوات التي وضعت تحت تصرف الجنرال بجو ١٠٨ آلاف جندي ، اي ثلث الجيش الفرنسي . كما وضع تحت تصرفه مبلغ ١٠٠ مليون فرنك .

و بعد حلول الأمير ان يحصل على مساعدة انكلترة او الدولة العثمانية او
 حرب ، وفي سنة ١٨٤٣ اضطر الأمير الى الانتقال في الصحراء بعاصمته
 الجديدة الشفلة (الزمالة) المؤلفة من الخيام والتي كانت تضم ٣٠ الف
 شخص من أسرته والقبائل الموالية له ، تطارده قوات بيجو من مكان لآخر .
 وخلال انتقال الأمير نحو جبال عمور فاجأته قوة فرنسية بقيادة الدوق دومال
 وسجنت في الأسيرة على الزمالة ، ولكن الأمير نجا واضطر الى الانتقال
 الى المغرب .

التدخل الفرنسي في المغرب :

كان عبد القادر يتبع سياسة كبيرة لدى الرأي العام المغربي ، وكانت
 ابناء انتصاراته تقابل بالابتهاج والاحتفالات والمساعدات من كل نوع تدفق
 عليه من المغرب . وكان بيجو منذ سنة ١٨٤٢ يفكر بالتدخل في المغرب
 لمنع تدفق السلاح على الأمير . ولكن الحكومة الفرنسية آنذاك كانت تسعى
 لتحقيق سياسة الاتفاق الودي مع انكلترة ، وتخشى ان يؤدي التدخل في
 المغرب الى عرقلة هذه السياسة ، ولذلك حذرت بيجو من التدخل . وكانت
 انكلترة من جانبها راغبة في قطع الطريق على اي تدخل فرنسي في المغرب ،
 فحذرت سلطان المغرب انه ليس له ان يعتمد على مساعدتها في حالة نزاع
 مع فرنسا . ومنعت انكلترة تصدير السلاح عن طريق جبل طارق .

ولكن لجوء الأمير الى المغرب بدل الموقف . فقد اعتمد الأمير على
 مساعدة بعض القبائل المغربية للمقيام بغارات على الاراضي الجزائرية .
 ويرى جوليان ان هدف الأمير كان ان يجبر الجيش الفرنسي الى التدخل
 في المغرب ليبر يدلك نزاعا عاما تستفيد منه الجزائر ^(١) . استولى بيجو على
 لا لا مقبلة وبدأت قواته تحترق الحدود المغربية . فأرسل السلطان قواته
 الى ضواحي وجدة ، ووجه نداء الى جميع القبائل اعتبر بمثابة اعلان
 بالحصة العامة .

(1) Ch. A. Julien : P. 194

وجهت فرنسا تحذيرا الى السلطان بوجوب التحلي عن مساعدة
 الأمير وسحب قواته من وجدة ، وأرقت تحذيرها بتوجيه قوة بحرية الى
 المياه المغربية بقيادة الأمير دوجوانفيل . فخرج موقف السلطان واحترق
 ضغط الشعب المتحمس للمجاهد وبين التهديد الفرنسي . وكان بيجو متحرقا
 للعمل ضد المغرب فاحتل وجدة في ١٩ من حزيران . وبالرغم من ان
 السلطان ابدى استعداده للتفاهم على حساب الأمير فان بيجو عمل على تجاهل
 المفاوضات الدائرة في طنجة بين ممثل فرنسا وبين السلطان ، واصر قيادة
 الاسطول انه شرع بالحرب . وفي ٦ من آب شرع الاسطول الفرنسي في
 قصف طنجة ، وفي ١٤ منه احرز بيجو انتصارا ساحقا في معركة اسلي ،
 وفي ١٥ منه قصف دوجوانفيل ميناء موغادور وانزل قوة في الجزيرة الصغيرة
 التي تسيطر على الميناء . وكان بيجو يرغب في استثمار ظفريه في اسلي
 للتقدم نحو تازا وفاس ، ولكن انكلترة تدخلت وبلغت الفرنسيين احتلالهم
 لاي منطقة مغربية احتلالا دائما سيكون بمثابة حرب ، واضطر بيجو الى
 التوقف ، وقبل السلطان في اتفاق طنجة سنة ١٨٤٤ اغبار الاسير خارجا
 على القانون في المغرب ، وملاحقته وحجزه في احد الموانئ المغربية حتى
 يتسنى للطرفان باتفاق بينهما الوسائل الكفيلة بصفه من العودة الى السلاح .

اضطر الأمير الى العودة الى الجزائر وكان الطرف موافقا . فقد ادت
 وخشية الفرنسيين الى قيام ثورات متعددة أبرزها ثورة بومغرة . ظهر
 الأمير في وادي فافسا وحرز عدة انتصارات في معركة الغزوات وسيدي
 موسى وبدأ يستعيد قوته التي فقدتها . ولكن بيجو سير نمائي فرق لمطاردة
 الأمير . ولما اشتد الضغط على الأمير اضطر مرة ثانية الى اللجوء الى المغرب
 ولكن انكلترة التي كانت تخشى تدخل فرنسا جديدا في المغرب تدخلت
 لدى السلطان وذكركته انه اعتبر الأمير خارجا على القانون . وبدأت الاشاعات
 تنهم الأمير انه يرغب في انشاء دولة مستقلة في الريف وانه يسعى لخلع
 السلطان . قرر السلطان العمل وامر قواته بمطاردة الأمير وطرده من المغرب .

المصادر العربية

- ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس - تونس ١٩٦٧
- ابن أبي الضياف (أحمد) : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان - تونس ١٩٦٣
- ابن خلدون : كتاب العبر وديون المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - بيروت ١٩٥٩
- البكري (أبو عبيد) : المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب
- بوعزيز (يحيى) : الموجز في تاريخ الجزائر - بيروت ١٩٦٥
- الجزائري (محمد بن عبد القادر) : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر - بيروت ١٩٦٤
- الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ الجزائر العام - بيروت ١٩٦٥
- خوري (اميل) واسماعيل (عادل) : السياسة الدولية في الشرق العربي - بيروت ١٩٦٠
- الزياني (أبو القاسم) : الترجمانة الكبرى - فضالة ١٩٦٧
- عباس (فرحات) : الثورة الجزائرية - دمشق ١٩٦٤
- عبد القادر (نور الدين) : صفحات في تاريخ مدينة الجزائر - قسنطينة ١٩٦٥
- العقاد (الدكتور صلاح) : المغرب في بداية العصور الحديثة - القاهرة ١٩٦٢ - ١٩٦٣
- العقاد (الدكتور صلاح) : المغرب العربي - القاهرة ١٩٦٥
- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد) : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - الدار البيضاء ١٩٥٦

ولما شعر الأمير انه لم يعد هناك أمل في المقاومة فضل الاستسلام للمفرسين
مشرطاً السماح له بالسفر الى الاسكندرية او عكا ، ووافق الجنرال
لامورسير والندوق دومال . ونقل الأمير الى طولون . ولكن الحكومة
الفرنسية بضغط من المستوطنين نكثت بوعدها وحرصت على ابقائه في فرنسا
وعاملته معاملة شاذة . وظل الأمير شبه سجين حتى سمح له نابليون الثالث
سنة ١٨٥٢ بالانتقال الى دمشق ، وتوفي فيها سنة ١٨٨٣ بعد ان امضى ١٥
عاما في الجهاد و ٣٦ في المنفى .

★ ★ ★

Nouschi (A.) : Enquête sur le niveau de vie des populations Rurales
constantinoises de la conquête jusqu'en 1919
Paris 1961

Zeller (Gaston) : Les temps Modernes Paris 1953

Encyclopedie de l'islam

Revue

Journal Asiatique

La Revue Africaine

Revue d'Histoire Moderne et contemporaine

Revue de l'occident Musulman et de la méditerranée

Revue Historique

المراجع الأجنبية

Azan (General Paul) : L'Expedition D'Alger 1830 Paris 1930

Bernard (Auguste) : l'Algerie Paris 1930

Boyer (P.) : l'évolution de l'Algerie mediane de 1830 à 1956 Paris 1960

Braudel (Fernand) : La Méditerranée et le Monde Méditerranéen
à l'époque de Philippe. Paris 1949

Debu - Bridel (Jacques) et Benoist (Marc) : Alger 1830 Paris 1930

X De Grammont (H.) : Histoire D'Alger sous la Domination Turque
Paris 1887

Esquer (Gabriel) : La Prise d'Alger Paris 1929

Hanotaux (Gabriel). Martineau (Alfred) : Histoire des colonies
françaises et de l'expansion de la france dans le
monde Paris 1931

Initiation à l'Algerie : Par M. Colombe Paris 1957

Julien (Ch.A.) : Histoire de l'Afrique du Mord Paris 1952

Julien (Ch.A.) : Histoire de l'Algérie Contemporaine Paris 1964

Martin (Claude) : Histoire de l'Algérie Française Paris 1963

Maura (G) : La question du Maroc au point de vue espagnole
Paris 1911.

الفهرس

صفحة

مقدمة عامة

المغرب الأوسط قبل التدخل العثماني ٥

الفصل الأول

التدخل الاجنبي في شمالي افريقية ١٣

التدخل الاسباني

التدخل العثماني ٢٢

الفصل الثاني

الجزائر العثمانية ٥٤

الفصل الثالث

علاقات الجزائر الخارجية ١٠٨

الفصل الرابع

الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٤٧

الفصل الخامس

المقاومة الجزائرية ٢٠٥

المصادر ٢٥٩

